



مدام كوري  
ولدت سنة ١٨٦٧ - توفيت في ٤ يوليو سنة ١٩٣٤



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

٢٢ جادى الثانية سنة ١٣٥٣

١ اكتوبر سنة ١٩٣٤

## مدام كوري

في خريف سنة ١٩٢٠ ذهب الى ولاية كولورادو الاميركية جيش من العمال وقصدوا الى منطقة قاحلة في جنوبها لينقبوا فيها عن تير معين . كانوا قد بحثوا في مختلف الولايات الاميركية عن هذا التير النفيس ولم يظفروا به لذلك اضطر زعيمهم الى الاكتفاء بنوع من الرمل يكثر في صحارى كولورادو القاحلة يدعى كارتويت . فأخذ رجاله — وكانوا اكثر من ثلاثمائة — يشتغلون ليل نهار في جمع اطنان منه ثم نقلوها في صحارى لا تحترقها طرق ماء ، مسافة ١٨ ميلاً الى اقرب مكان فيه ماء حيث عنوا بتشيد معمل خاص لغسل هذا الرمل وتنقيته . هنا عولجت خمسمائة طن منه معالجة كيميائية حتى بقي منها مائة طن فقط . وما بقي سجن حتى صار مسحوقاً دقيقاً ثم وضع في اكياس نقلت بسكة الحديد الى بلدة تدعى بلايسرفل . ثم شحنت الاكياس في مركبات شحن خاصة مسافة ٢٥٠٠ ميل الى بلدة تدعى كانونزبرغ بولاية بنسلفانيا في الشمال الشرقي المتوسط من الولايات المتحدة الاميركية وفي كانونزبرغ عهد الى مائتي رجل في تحويل هذه الاطنان من المسحوق الناعم الى بضع مئات من الارطال فقط مستعملين مقادير كبيرة من الماء في غسل المسحوق ثم معالجته بمواد كيميائية وحمض لاستخراج كنز ثمين منه . لم يضع الرجال ذرة واحدة منه على رغم تعدد عمليات الغلي والتصفية والبسورة . وانقضت اشهر فاذا ما بقي من ٥٠٠ طن من رمل كولورادو مقدار يسير جداً ارسل الى معامل البحث في شركة بتسبرغ الكيميائية بحراسة حرس خاص . هنا في المعامل الكيميائية اجريت العمليات الاخيرة في استخراج بضع بلورات من ملح معين . فلما تم استخراجها كانت سنة



كاملة قد انقضت على جمع الرمل من صحارى كولورادو وانفق عشرون الف جنيه فكانت تلك البلورات اثمن مادة معروفة على سطح الارض - مائة الف ضعف اثمن من الذهب . ثم وضعت هذه في أنابيب صغيرة من الرصاص والانابيب حفظت في صندوق فولاذي كثيف الجدران مبطن بألواح كثيفة من الرصاص . ثم وضع الصندوق الفولاذي في صندوق آخر من خشب المغنة المصقول وهذا حفظ في خزانة متينة انتظاراً لقدم زائر كريم من فرنسا

وفي ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ وقف رئيس الولايات المتحدة الاميركية في ردهة الاستقبال في البيت الابيض يحفُّ به سفير فرنسا ووزير بولونيا المفوض واعضاء وزارته ورجال القضاء واكبر المشتغلين بالعلم ، ووقفت امامه سيدة نحيفة البنية وديعة المنظر مرتدية ثوباً اسود ثم خاطبها الرئيس فقال : « كان من حظك انك قت بخدمة خالدة للانسانية . ولقد عهد اليّ ان اقدم لك هذا القدر الضئيل من الراديوم . فنحن مدينون لك بمعرفتنا له وملكنا اياه . لذلك نرفعه اليك واثقين انه وهو في حيازتك لا بد ان يكون وسيلة لتوسيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس »

تلك السيدة كانت مدام كوري

نشأتها \* ولدت ماري كوري في بولونيا في ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ وفقدت أمها وهي لا تزال في طفولتها . وكان والدها الاستاذ سكلودفسكا مدرساً للرياضيات والطبيعة في مدرسة فرسوفيا العالية . وكان يقضي مساء كل سبت امام مصباحه يقرأ آيات الادب البولوني نثراً وشعراً . فكانت ابنته ماري تحفظ فقرات طويلة منها وتعيدها امامه عن ظهر قلب وراها العالم الروسي مندليف في حدائتها تخلص المواد الكيميائية في مختبر كيميائي لابن عمها في فرسوفيا فتنبأ لها بمستقبل علمي مجيد كانت بولونيا في تلك الايام مقاطعة من روسيا وحكومة روسيا تفرض اعباءً ثقيلة على الشعب البولوني المحكوم . فاستعمال اللغة البولونية كان محظوراً في الصحف والكنائس والمدارس والبوليس السري الروسي كان ألحق بالناس من ظلمهم لا تخفى عليه خافية مما يفعلون . فلما كان ماري في حدائتها اجتمع بعض تلاميذ والدها وألقوا جمعية سرية غرضها قلب الحكومة وطرد المعتدين على وطنهم وكانوا يجتمعون كل ليلة ليدرسوا اللغة البولونية وليدرسوها لجماعات من الطلاب فانتظمت ماري في احداها وتمازت فكتبت في احد الايام نشرة ثورية شديدة اللهجة ولكن البوليس الروسي نمت اليه اخبار الشبان الثائرين فقبض على بعضهم . ونجحت ماري من الشرك ولكنها اضطرت ان تغادر فرسوفيا لكي لا تشهد على اخوانها عند المحاكمة . فجاءت باريس في شتاء سنة ١٨٩١ وهي لا تزال في الرابعة والعشرين من عمرها . هنا استأجرت غرفة صغيرة في مكان حقير . فكان البرد يقرسها في الشتاء والحار يكاد يخنقها في الصيف . وكانت معيشتها شديدة البؤس لانها كانت مضطرة ان تحمل الماء والفحم الى غرفتها الكائنة على سطح المنزل فوق الدور الرابع وكانت فقيرة لا تجرؤ ان تنفق اكثر من نصف فرنك في يومها . وكثيراً ما كان طعامها ظهراً ومساءً



لا يزيد على كسرة من الخبز وقطعة من الشوكولاته . ولكن هذه المصاعب لم تقعهدها عن تحقيق رغباتها لأنها جاءت باريس لتدرس في السوربون . ولكي تتمكن من تسديد اجور التعليم اضطرت ان تغسل الزجاجات في معمل البحث في كلية العلوم وتعنى بنظافة الموقد

في سنة ١٨٩٤ التقت ببير كوري في دار احدي صديقاتها . وكان هو يشتغل حينئذ في معمل شوتزبرجر مؤسس مدرسة البلدية للطبيعة والكيمياء بباريس ومديرها . وكان قد تخرج من السوربون وانشأ يبحث مع اخيه جاك في موضوع « المكثفات الكهربائية » . فلما تعرف اليها اخذا يتحدثان في ما يهمهما من موضوعات العلم . ثم انتقلا الى بعض الموضوعات الاجتماعية والادبية . فكان ذلك مبعث سرور خاص للفتاة البولونية الشريفة لأنها وجدت على قولها : « اتفاقاً غريباً بين آرائه وآرائي رغم اختلاف وطنينا » . اما ببير فدهش لما رآه في هذه الفتاة من توقد الذهن وسعة العلم ولما اعرب لها عن دهشته ردت عليه « ترى يا استاذ من اين اتيت بأرائك الغريبة في حدود عقل المرأة » كان ببير قد كتب لما كان في الثانية والعشرين : « النابغات بين النساء نادرates . اما المرأة المتوسطة الذكاء فلا ريب في انها غائق كبير لعالم جاد في عمله » . كتب ذلك في الثانية والعشرين . وها هو ذا في الخامسة والثلاثين ، واتصاله بالحياة قد غير آراءه . ولما تحولت معرفته بماري الى صداقة متينة انقلبت آراؤه في النساء رأساً على عقب . وكانت هي قد فتنت بما عرفته في العالم كوري من صفات الشاعر والحالم علاوة على علمه الغزير . فلم تلبث حتى استأذنت الاستاذ شوتزبرجر فأذن لها في ان تصبح مساعدة للمسيو كوري في معمله

✽ الزواج العلمي ✽ تزوجا في يوليو سنة ١٨٩٥ ولم تكن مسألة فرش البيت مسألة خطيرة في نظر كائنين لا تهمهما التقاليد المرعية . فاستأجرا ثلاث غرف تشرف على حديقة وابتاعا قليلاً من الاثاث لقضاء الحاجات الضرورية . وفي ذلك الاثناء عين ببير كوري استاذاً للطبيعيات في مدرسة البلدية المذكورة وكان مرتبه ستة آلاف فرنك في السنة فتمكنت زوجه من مواصلة دروسها . ولكن دخلهما لم يسمح لهما بشيء من الكماليات الا دراجتين ابتاعاهما لقضاء رحلاتهما الاسبوعية الى الريف وفي اواخر سنة ١٨٩٥ — اي بعيد زواج ببير وماري — كشف الاستاذ وليم كورنارد رنتجن الالماني عن الاشعة السينية . ولم تكد تصل انباء هذه الاشعة الغريبة التي تحترق الاجسام الصلبة وتبين عظام الجسم ، الى دوائر العالم العلمي حتى حدثت حادثة غريبة اتفاقاً في غرفة مظلمة بمعمل الاستاذ هنري بكرل بباريس . لم تكن من الحوادث التي تعنى بها الصحف وتنشرها بأحرف عريضة في صفحاتها الاولى كحوادث القتل وفضائح الغرام ، مع ان اثرها كان اثراً عالمياً عظيماً لان سلسلة من الحوادث العلمية الخطيرة جاءت في اثرها وتوالت اخيراً بانتصار مدام كوري الباهر في كشف عنصر الراديوم فكانت حداً فاصلاً في تاريخ العلم ، انتهى عنده عصر وبدأ عصر جديد

فقد كان معروفاً ان المواد الفسفورية بعد تعرضها لنور الشمس تتألق في الظلام . وكان بكرل



يحاول ان يعرف هل هذه الاجسام تطلق اشعة كالاشعة التي كشفها رنتجن . فوضع اتفاقاً قطعة من الاورانيوم على لوح فوتوغرافي حساس كان ملقى على مائدة في غرفته المظلمة . فلما رفع اللوح في يده في اليوم التالي لاحظ انه كان قد تأثر تأثراً خاصاً حيث كان الحجر ملقى عليه . فلم يفهم لذلك علة وظن ان احدهم لعب لعبة عليه . فحاول ان يعيد التجربة ليرى هل يحصل على النتيجة نفسها فأعادها مستعملاً صخوراً مختلفة تحتوي على الاورانيوم وفي كل مرة كان يجد البقعة على اللوح حيث يضع الحجر . فخلل الصخور ووجد ان فعلها في اللوح الفوتوغرافي سببه عنصر الاورانيوم الذي فيها فصرح بكرل ان عنصر الاورانيوم كان وحده سبب الفعل الغريب الذي يقع في اللوح الفوتوغرافي . ولكنه لم يلد بتصرّحه هذا طويلاً . لانه جرب البتسبلند وهو اهم الصخور التي تحتوي على الاورانيوم — معدن يستخرج من شمال بوهيميا — فوجد فعله في اللوح الفوتوغرافي اقوى جداً مما كان منتظراً من الاورانيوم مهما يعظم قدره في هذا الصخر . فاستنتج من ذلك استنتاجاً بسيطاً وهو ان عنصراً آخر يستطيع ان يؤثر في الالواح الفوتوغرافية اضعاف تأثير الاورانيوم وكان بكرل يعرف ماري كوري وقد راقبها تعمل في المعمل ولاحظ رشاقها وخفتها في تناول الادوات الكيميائية واستنباط الحيل لمعالجة مشكلة تجد في خلال البحث وكان معجباً بصفاتها الممتازة كعالمة مجربة فأفضى اليها باستنتاجه الثاني وعهد اليها في البحث عن هذا العنصر المجهول . فأخبرت زوجها بما حدث والفرح يستحقها ففتن بحاستها . وكان هو يبحث في البلورات وهي في صفات المعادن المغنطيسية . فتركا بحبيهما الخاصين ليشتركا في مغامرة فكرية شاقة ولكنها احاذة، وهي البحث عن العنصر المجهول في البتسبلند

ولم يكونا على شيء من الثروة للقيام بنفقات البحث فاقترضا مبلغاً من المال لذلك . ولم يكونا يدريان اين يبدآن البحث ولا كيف يواصلانه والى اين يتجهان فيه . فكتبنا الى حكومة النمسا فردت عليهما باستعدادها لمعاونتهما وارسلت اليهما طناً من البتسبلند من مناخ جوا كيمستال ، فلما وصل البتسبلند الى باريس اخذا يشتغلان بلا انقطاع ، يغليان هذا الطن من التراب بعد سحبه وينقيانه لكي يستخلصا منه المادة الثمينة . وكثيراً ما كانت ماري تقف ساعات متوالية تحرك المزج وهو يغلي على النار بعصا حديدية تكاد تماثلها وزناً

وقد وصفت مدام كوري معيشتها حينئذ فقالت : « كنا في انصرافنا الى بحثنا كأننا في حلم » ولما اقبل شتاء سنة ١٨٩٦ كانا لايزالان يعالجان بحثهما في معمل خشبي يشبه طنب البدوي «تحقق فيه الارواح» . كان البرد والفاقة والاعياء والجل قد انهكت جسم مدام كوري فأصيبت بالتهاب الرئة ولزمت فراشها ثلاثة اشهر قبلما استطاعت ان تستأنف بحثها العلمي . وكان التعب قد حط من قوة زوجها كذلك فكان يعود الى بيته معي في كل مساء ولكنهما لم يتوقفا عن العمل فكانا كانا مدفوعين اليه بارادة خفية



وفي سبتمبر من سنة ١٨٩٦ ولدت مدام كوري فتاة<sup>(١)</sup>، ولكنها كانت وهي ملازمة سريرها على اثر الوضع دأمة التفكير بعملها العلمي الذي ملك عليها قلبها وعقلها. وبعد الولادة بأسبوع واحد فقط غادرت بيتها الى معملها واستأنفت البحث هناك. ولكن ما السبيل الى العناية بالطفلة ومتابعة البحث العلمي من جهة اخرى؟ وافق حينئذ ان والدته زوجها توفيت فدعوا والده وهو طبيب اعزل العمل للسكن معهما وعهد اليه في العناية بالطفلة

وبعد الاغلاء والتصفية والتنقية التي دامت اكثر من سنة تحول طن البتشلند الى نحو مائة رطل من مادة غريبة ثم تلا ذلك سنة اخرى من العمل المتواصل مرضت في اثناها ماري ثانية واخذ القنوط يتطرق الى نفس زوجها، ولكنها كانت مقدامة صلبة العود فلم تلن للمصائب. وقد وصفت اياها في تينك السنتين بقولها الشعري: « في ذلك المعمل البائس قضيت اسعد ايام حياتي »

✽ الراديوم ✽ اخيراً استخرجوا من طن البتشلند قدراً ضئيلاً جداً من املاح البرموت فثبت ان فيها مادة فعالة جداً تفوق فعل الاورانيوم ثلاثمائة ضعف. واستفردت منها مدام كوري مادة تشبه النسل وبعد ما امتحنتها بكل وسائل الامتحان الممكنة اعلنت في يوليو سنة ١٨٩٨ انها كشفت عن عنصر جديد دعت له « بولونيوم » نسبة الى بلادها. واختلف العلماء اولاً في صحة اكتشافها ثم ثبتت صحته ثبوتاً لا ريب فيه

على ان مدام كوري وزوجها لم يقتنعا بفخر الكشف عن عنصر جديد. وظلاً يواصلان البحث والامتحان حتى استخرجوا قدراً ضئيلاً من مادة ثبت انها افعال جداً حتى من عنصر البولونيوم ولما بلغا هذه الدرجة من البحث كان محتوماً عليهما ان يشددا العناية بكل ذرة من ذرات هذه المادة التي استخلصها بمجهود يكاد يكون من فوق طاقة البشر فكانت ماري تمتحن كل قطرة ماء تخرج من المرشح وكل ذرة تعلق به

وكان المعمل الذي يشتغلان فيه غرفة لتشريح جثث الموتى من قبل. فكانا اذا دخلاه ليلاً يستولي عليهما رعب لغرابة ما يشاهدان. وذلك انهما بدلاً من ان يشاهدا ارواح الجثث المشرحة زحف في فضائه كانا يشاهدان الانابيب المحتوية على هذه المواد تشع في الظلام كأنما بسحر ساحر. فعلموا من ذلك انهما على قاب قوسين من تحقيق غرضهما او أدنى. واخيراً استخلصت مدام كوري من هذه المادة بضع بلورات فكانت أول انسان التي بصره على املاح الراديوم واثبتت انه عنصر جديد واطلقت عليه اسم « الراديوم » اي « المشع » فكان كشفه منشأ لانقلابات من اعظم الانقلابات التي وقعت في ميدان الكيمياء والطبيعات

فعين الاستاذ كوري استاذاً في السوربون وعهد الى زوجته بالمحاضرات العلمية في مدرسة

(١) هي ايرين المعروفة الآن في ميدان العلوم باسم مدام كوري جوليو وقد كان لها اكبر اثر في الكشف عن النوترون (راجع المقالة الاولى في مقتطف يوليو ١٩٣٤ او فصل « لبنات الكون » في كتابنا : فتوحات العلم الحديث : صفحة ١٤٤)



المعاملات العليا في بلدة سيشر على مقربة من باريس . فكانت تعلم وتدرس وتبحث في عملها وتعلمي بابتها . ولكي تنال منصباً عالياً في ميدان التعليم كان لا بد لها من ان تنال لقب « دكتورة في العلوم » فأعدت رسالتها وقدمتها باسطة فيها جميع مباحثها في موضوع الاشعاع فدهش العلماء الكبار الذي عينوا لفحص هذه الرسالة لما وجدوا فيها من الحقائق الجديدة والمباحث الطريفة ، ولما وقفت امامهم للاجابة عن اسئلتهم كانوا بمثابة اطفال امام معلمهم لا يدرون اي أسئلة يوجهون اليها . وقرروا ان هذه الرسالة اعظم بحث علمي قدم لنيل « دكتوراه العلم » في تاريخ جامعة باريس

وذاقت الانباء ! انباء عنصر جديد تكشف عنه سيدة . املاحه تتألق وتضيء في الظلام كهصابيح كهربائية صغيرة . وتنطلق منه مقادير دقيقة من الحرارة انطلاقاً دائماً . ان حرارة طن من هذا العنصر كافية لاجلاء الف طن من الماء مدة سنة كاملة . ثم ان هذا العنصر اقوى سم معروف يفعل عن بعد فاذا وضع انبوب يحتوي ذرة منه بحجم رأس الدبوس على ظهر فأرة اصبحت بالشمل في ثلاث ساعات . واذا وضع قرب الجلد قرحة . بل ان اصابع الاستاذ كوري نفسه كانت تشل من لمسه . وذاع ان بكرل قال يوماً لمدام كوري « أحب الراديو من ولكني محقق عليه » ذلك أنه اصاب بحرق مؤلم في صدره بعد حمل انبوباً فيه ذرة من ملح الراديو في جيب صدره . بهذا العنصر كانت المكروبات تقتل والنواحي السرطانية السطحية تشفى وحجارة الماس تلون والهواء المحيط به يكهرب حتى يصبح موصلاً جيداً للكهربائية

✽ نصر وخجعة ✽ وبين ليلة وضحاها ذاع اسم الاستاذ كوري وقرينته . فأخذ السباح يتوافدون الى دارهما ومصورو الصحف ومخبروها يغزون حياتهما الخاصة بالاسئلة والصور والرسائل والبرقيات وجعلت الدعوات تنهال عليهما . فدعاهما لورد كلثن ليأتيا الى لندن ليتسلما مدالية دايثي من الجمعية الملكية فكانت هذه المدالية اول اوسمة الشرف الكثيرة التي رفضها الاستاذ كوري . ويقال انه لما عرض عليه وسام اللجيون دونور رفضه قائلاً اني افضل ان اوهب معملاتي على ان امنح اوسمة . وفي سنة ١٩٠٣ وهبت لها جائزة نوبل الطبيعية بالاشتراك مع الاستاذ بكرل فأنفقا المال في توفية الدين الذي استداناه للشروع في عملهما وللانفاق على مواصلة البحث . وقد كان بامكانهما ان يستغلا مكتشفاتهما استغلالاً تجارياً ولكن الثروة لم تكن الغرض الذي يتطلعان اليه . فبحسبهما كان بحثاً علمياً للعلم وحده وغرضهما انما كان خدمة الانسانية . وكل ذرة كانا يستخرجانها من املاح الراديو كانا يقدمانها للمستشفيات ودور البحث بلا مقابل

فطفح كأس مدام كوري عندئذ غبطة وهناء . ها هو ذا زوجها يفقد قليل من كآبه واحوالهما المعاشية اسهل من قبل وها طفلة ثانية تولد لهما فينعمان بحببتها وتربيتها

ولكن مخبراً نقر على باب مدام كوري في مساء ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ واخبرها ان الأستاذ كوري كان قبل بضعة دقائق يتكلم مع الاستاذ پران فلما غادر كلية العلوم محاولاً ان يجتاز احد



الشوارع صدمته عربة فوقع في عرض الشارع فرَّت عجلات عربة نقل ثقيلة كانت قادمة من الجهة الأخرى على رأسه فأت في الحال

أصغت ماري إلى القصة ولم تذرف دمعاً ولم تولول ولم ترفع يديها إلى السماء . بل جعلت ترد كأنها في حلم « بيير مات بيير مات » . وكادت الصدمة التي أصابتها بموته تقوى عليها . فلما ظلت مدة لا تستطيع أن تجمع قواها لمواصلة عملها . ولكن بعد انقضاء بضعة أسابيع قويت على حزنها وعادت إلى عملها أكثر صمتاً وهدوءاً من قبل

وحينئذٍ تصرفت فرنسا ذلك التصرف النبيل الذي اشتهرت به في الملمات . ذلك أنها دعت ماري كوري لتشغل كرسي استاذ الطبيعيات في السوربون الذي خلا بموت زوجها . وكانت هذه الدعوة مغايرة لجميع التقاليد . لم يعلم أن امرأة قبلها تقلدت منصب استاذ في السوربون فلما تم تعيينها وأعلن كان باعثاً على كثير القال والقليل وجعل بعض الاساتذة يهيمسون في آذان اصفياهم مستنكرين خطأ كذا . واخذ بعضهم يشيع بأن الفضل في نجاحها في كشف عنصرى البولونيوم والرايوم عائد إلى اشتغالها تحت مراقبة زوجها . قالوا : « انتظروا بضع سنوات لتعرفوا حقيقة فتجدوا أنها قد مرت على منبر العلم مرور شبح لا يترك أثراً »

❊ ماري تقوم بالعمل ❊ ثم شاع أنها ستلقى محاضرتها الأولى في السوربون . فهرع إلى باريس رجال ونساء يشغلون أكبر المناصب العلمية والتعليمية في البلاد — أعضاء الاكاديميات وأساتذة كلية العلوم وكبار رجال السياسة ونبيلات السيدات . رئيس جمهورية فرنسا كان هناك يصحبه الملك كارلوس ملك البرتغال وزوجه الملكة اميليا . ولما قرعت الساعة الثالثة دخلت من باب جانبي سيدة نحيلة مرتدية ثوباً اسود . . . . . واذا الردهة تدوي بالتصفيق . وكأن ذلك أزعجها فرفعت يداً نحيفة مرتجفة تطلب السكون . نغمت العاصفة حتى لكادت تسمع رنة إبرة تقع على الأرض وبدأت محاضرتها بصوت خافت واضح . فقتن سامعوها بقولها . لم تُشر بكلمة واحدة إلى ثبوتها بل هي استأنفت موضوع البحث في عنصر البولونيوم حيث تركه زوجها . فلما ختمت كلامها دوت الردهة ثانية بعاصفة من التصفيق . ولكن بعض المشككين ظلوا يشككون بمقدرة امرأة على ملء منصب استاذ بالسوربون ! سمعت هي بذلك ولكنها ظلت صامته كأبي الهول

على أن عنصر الاديوم لم يكن قد استفرد بعد . ولم تحضر منه إلا املاحه . فأكبت مدام كوري على تحقيق هذا الغرض الصعب لنذرة الاملاح التي يمكن تجربة التجارب بها . فحربت طرقاً مختلفة لفصل العنصر من املاحه ، على غير جدوى . وكان ماري لم تكن تعيش حينئذ إلا في عملها . فلم تخرج إلى المسرح ولا إلى الاوبرا . ورفضت ان تبالي الدعوات الاجتماعية التي وجهت إليها . وأخيراً سنة ١٩١٠ امرت تياراً كهربائياً في كلوريد الاديوم المصهور . فلاحظت تغيراً يحدث عند القطب السالب ( المهبط ) حيث رأت ملغماً يتكوّن . فجمعت هذا الملغم وأحمته في انبوب من السلكامع



تتروحين تحت ضغط مخفف . فبخر الزئبق الذي في المنغم تاركاً وراءه كريات بيضاً لامعة لم تلبث حتى اكتمدت في الهواء . تلك كانت كريات الراديوم النقي

فكان عملها هذا في استفراد الراديوم النقي وتعيين وزنه الذري تاجاً لجميع مباحثها السابقة . هذا بحث علمي دقيق قامت به المرأة — ماري كوري — بعد وفاة زوجها . ايرتاب المرتابون بعد هذا ؟ فلتخرس اللسان الطويلة ! ومنحت مدمام كوري جائزة نوبل للكيمياء اعترافاً بعملها هذا فكانت العالم الوحيد الذي فاز بشرف جائزتين من جوائز نوبل

وأقنعها بعضهم بتقديم اسمها للعضوية في اكااديمية العلوم . ولكن مانع الجنس حال دون انضمامها لهذه الجماعة الممتازة من أبناء العلم . لم يعرف من قبل ان امرأة انتخبت عضواً في اكااديمية العلوم فلماذا التكب عن هذه الطريق ؟ انت ترى مظاهر الحماسة والانفعال في الجدال المحتدم بادية على اكثر العلماء رزاة ووقاراً ! واخذت الاصوات في ٢٣ يناير ١٩١١ فاختقت مدمام كوري بصوتين . وحتى وفاتها لم تكفّر الا كاديمية عن تعصبها هذا !

ولما نشبت الحرب وأصبحت جيوش الالمان على أبواب باريس ، عمدت مدمام كوري الى الانبوب الذي يحتوي على ما عندها من الراديوم واسرعت به الى بوردو خشية ان يقع في أيديهم . فلما وضعت في بوردو في حزر حريز ، عادت الى باريس لا يقلقها فيها خطر الغزاة على أبوابها ولا طياراتهم في فضاءها . واكبت على جمع ما تستطيع جمعه من آلات المعالجة بالراديوم والاشعة ، واستنفرت بنات باريس للتمرن على استعمال هذه الآلات في معالجة الجرحى ، فلبت نداءها مائة وخمسون فتاة ، كانت بينهن ابنتها ايرين Irene وهي في السابعة عشرة من عمرها ، فأقامت شهرين تخطب فيهن وتعلمهن استعمال هذه الآلات ، ثم تعلمت هي قيادة السيارة وجعلت تنقل هذه الآلات الى مستشفيات الجيش وتقيمها فيها . وتقدمت ابنتها الى صفوف النار بل الى منطقة ايرس حيث كان غاز الكوبورين السام يقتك بالجنود فتكاً . فلما ارتد الجيش الالماني ، عادت مدمام كوري مطمئنة الى بوردو واخرجت أنبوبها الثمين من مخبئه الامين وعادت به الى باريس . وما كادت تنتهي السنة الاولى من الحرب الكبرى حتى كان قد تم في باريس انشاء معهد الراديوم وجعلت مدمام كوري مديرة له ، وانصرفت بعدها الى البحث والعلاج . ولكنها كانت تحب الحرية وتمقت الحرب فقالت لما عقد الصلح : « غمرني الصلح بموجة من الغبطة نتيجة للنصر الذي احرزناه بعد بذل عظيم . وقد عشت لارى بلادي ينتصف لها من قرن حافل بالجور والتفرقة » . ولما سئلت في سنة ١٩٢٠ عما تمنى قالت فوراً : « غرام من الراديوم اتصرف فيه كما اشاء » . ذلك ان هذه المرأة التي منحت العلم والانسانية عنصر الراديوم بكشفها عنه كانت لا تملك شيئاً منه ، مع ان مائة وخمسين غراماً منه كانت موزعة في مختلف المستشفيات ومعامل البحث . فكان قولها هذا باعثاً على سخاء الامير كيات في تقديم الغرام الذي ذكرناه في مطلع المقال



# تمحضت الفأرة فولدت جبلاً بقلم مجائب نعيم

« ووجدتهم يسلكون الى السعادة شتى المسالك . ويطرقون شتى الابواب . فهديتهم الى مسلك واحد هو أنا . والى باب واحد هو أنا . أنا هو الطريق والمحجّة . أنا هو المدخل والمخرج . تلك هي العجيبة الثالثة

« وساكنتُ الناس وآكلتهم وشاربتهم

فوجدت سلطانهم لا يساكن راعي اغنامهم . وابن اميرتهم لا يؤاكل ابن جارتهم . وقسمهم لا يشارب زانيتهم . وسمعتهم يتبرمون بذلك ويطلبون المساواة . فوضعت على اعناقهم نيراً واحداً ، وذلك النير أنا . أنا هو النير والمحراث والحراث . تحت نيري يمشي السلطان

بجانب الراعي . وابن الاميرة بجانب ابن الجارية . والقس بجانب الزانية . تلك هي العجيبة الرابعة « ودخلت قلوب الناس فألقيتها مرصوفة بالشهوات ولا رصف الحب في الرمانة . والنبيت الناس قد قسموا شهواتهم الى صالحة وطالحة . فأطلقوا الحرية للاولى واقاموا على الثانية الحراس

في سنة ١٦٢٦ لميلاد القائل « مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا » جلس القلم على عرشه ونادى بأعوانه ثم خطب فيهم هكذا :

« منذ سلمني الناس مقاليدهم وانا أدأب النهار والليل في سبيل اسعادهم . واجترح العجيبة بعد العجيبة لا تقدّم من يؤسهم وشقاؤهم

« سمعتهم يشكون تبلبل ألسنتهم . فابتدعت لهم لساناً واحداً . وذلك اللسان أنا . أنا هو الحرف والمقطع والكلمة . وحيثما اجتمع اثنان باسمي تفاهما في الحال وان يكن الواحد لا يفقه حرفاً من لغة الآخر .

تلك هي العجيبة الاولى

« ورأيتهم تتناشهم ارباب كثيرة . تخلقت لهم رباً واحداً . وذلك الرب أنا . أنا هو الوزن والميزان والدين والديّان ، وأنا يعبدني الناس بكل قلوبهم وكل افكارهم وكل نياتهم . اما اربابهم الآخرون فيعبدونهم بشفاهم لا غير . تلك هي العجيبة الثانية

هذا المقال فصل من كتاب  
« جبران خليل جبران — حياته  
موته ، اديه ، فنه » الذي وضعه  
ميجائيل نعيمه وينتظر صدوره  
قريباً



والحجّاب وظلت قلوبهم تصرخ اليّ باسم الحرية . اذ ذاك جعلت لكل شهوة ثمناً . وجعلت ثمن الشهوة الطالحة أضعاف ثمن الصالحة . فاختلط حابل الناس بنبالهم . وهكذا حرّرت قلوبهم من قلوبهم . وتلك هي العجيبة الخامسة

« ومشيت في الأرض فوجدت ان الناس قد تقاسموها بالفر والقيراط . واقاموا لقسماتهم حدوداً . واقاموا السيف حارساً لحدودهم . فلا يتعدى جارّ حدود جاره . ولا تعبر جنود مملكة تخوم مملكة اخرى الاّ بقصد الغزو . فأقمت للناس عبّارة تصل الحدود بالحدود وتهزأ بالسيف والجنود . وتلك العبّارة أنا . أنا هو العابر والعبّارة . أمرٌ حيث السيف لا يجسر ان يلمع . واعبر حيث الجيوش ترد من وجه المدفع . تلك هي العجيبة السادسة

« اما العجيبة العجيبة فهي اني قد مزجت الناس في بوتقة واحدة . فجعلتهم جنساً واحداً وكانوا اجناساً . وامة واحدة وكانوا أمماً . بل قد جعلتهم لحمًا واحداً وعظماً واحداً ودماً واحداً . لاني جعلت طعامهم واحداً وشرابهم واحداً وكذلك كساءهم ومأواهم

« انا هو الطعام والشراب والكساء والمأوى . ومنلما يشرب الناس قطرة من الماء جاهلين انهم يشربها يشربون كل اصناف التراب والمعادن والنبات والحيوان والاقذار التي مرّت بها . كذلك يقبضون الفلّس ويتعاقون به طعاماً وشراباً وكساءً ومأوى وهم لا يعلمون ماذا يأكلون ويشربون ويلبسون والى أين يأوون . اليكم هذا المثل :

« في الليلة البارحة باعت امرأة اشواق قلبها التائه واهتزات دمه المحموم بكية من الفلوس . والمرأة تلك تدعى في قاموس الناس بغيّساً ، وفي شرعهم آفة ، وفي ناموس شرفهم قاذورة يتجنبها الشرفاء والأتقياء . وفي هذا الصباح انطلقت المرأة الى الكنيسة فابتاعت ببعض فلوسها بخوراً للكنيسة وقدمت البعض تزكية الى الكاهن . اما البخور فأحرقه الكاهن تسبيحاً لربه . واما التزكية فابتاع بها لحم ضأن واكل منه واطعم عياله . او تحسبون ان ذلك الكاهن ، عند ما احرق البخور لربه ، احرق نيز جرح في قلب شجرة عطرة ؟ الحق اقول لكم انه لم يحرق لربه سوى نيز جرح في قلب بغيّ . أم تظنون انه اكل وعياله لحم ضأن ؟ الحق اقول لكم انه لم يأكل وعياله سوى لحم بغيّ ولم يشرب سوى دم بغيّ . واي الامرين اصعب : ان يؤاكل الكاهن البغيّ ويشاربها ام ان يأكلها ويشربها فيصبح الاثنان لحمًا واحداً ودماً واحداً ؟

« اليكم مثلاً آخر : امس دخل لص على ارملة عجوز كان قد سمع انها تحمل في عنقها كيساً من الفلوس . فارداها بطعنة مديدة وانتشل الكيس من عنقها مغموساً بدمها . وراح ليلته فقامر بالمال وخسره . والذي ربحه منه ابتاع به ثوباً من عند تاجر . والتاجر دفعه ضريبة للخزينة . والخزينة دفعته راتباً للقاضي . والقاضي حكم على اللص بالشنق . او تحسبون القاضي اكثر براءة من اللص ؟ الحق اقول لكم انه لص مثله . اللص اراق دماً بريئاً . اما القاضي فشر به



« اجل . لقد مزجت الناس في بوتقة واحدة فجعلتهم انساناً واحداً من حيث لا يدرون . وقد اجترحت في سبيل إسعادهم سبع عجائب كبار ما عدا الصغار . وهم ، مع ذلك ، ما يزالون بؤساء اشقياء واصواتهم ما تزال تصرخ اليّ — اعطنا السعادة اعطنا السعادة ! فيها انا عازم ان آتيهم بعجيبة جديدة »

« لقد بنيت لهم في سالف الاحقاب مدناً كثيرة . اما الآن فبخاطري ان ابني لهم مدينة تفوق كل ما بنيت . وسأعطي هذه المدينة آذاناً تسمع بها كل لغات الناس . وعيوناً تبصر بها كل اشكالهم واجناسهم . وسأجعل احشاءها اوسع من احشاء الجو . تسوق لها اليايسة خير خيراتها فلا تشبع . وتحمل اليها البحار انفس انفسها فلا ترتوي . وسيكون فيها لكل شهوة مأوى . ولكل فكر مجال . ولكل خيال مسرح . فيمشي فيها اله الناس وشيطانهم جنباً الى جنب . وتنبت اغراس فردوسهم في مجامر جحيمهم . ويجاور المعبد الحارة وبيت الدتارة . ويتعاقب المتحف والمقصف . وتتكى المدرسة والسجن على بساط واحد »

وسأحقن سكان هذه المدينة بمصل جديد . هو مصل الحركة الدائمة . فيصيلون النهار بالليل ولا يهدأون . وهكذا يكون لهم في كل ساعة ما يتلهون به عن التفكير في بوائت الحزن والام وسيكونون لي أطوع من بناني وألصق بي من ظلي . يكفرون بآبابهم اما بي فلا يكفرون . ويهربون من ارواحهم اما مني فلا يهربون . بل اليّ في كل امر يفزعون . اذا حملتهم من نفسي فوق طاقتهم لا يقولون : خفف من احمالنا . بل يقولون : زدنا من احمالك . وسيضيّق بهم سطح الارض فيتخذون في جوفها انفاقاً . ويشيدون في الجو حصوناً عالية وارجاً شائخة . وسأجعل اذنابهم طعاماً لرؤوسهم . ورؤوسهم طعاماً لاذنابهم . فيأكل كل بعضهم بعضاً من حيث لا يعلمون »

« ها انا قد بحث لكم بما في خاطري . وعليكم ان تخلقوه . وقد اخترت للمدينة العتيدة جزيرة في العالم الجديد واقعة بين مصب نهريْن . واسمها مانهاتان . وهي اليوم ملك عشيرة من العشائر الجر . فبادروا اليها في الحال وباشروا بالعمل وليقسم كل منكم يمين الطاعة قبل ان يبرح هذا المكان . وانا معكم حتى نهاية الازمان »

ما ختم الفلاس خطابه حتى قام من بين الحضور كائن مجنّح في عنقه غلّ من الذهب . وعلى عينيه برقع من الذهب . ومشى بكبرياء نحو العرش . ومشى خلفه ابناؤه العشرون — توأمين فتوأمين — وفي عنق كل منهم غلّ من ذهب . وعلى عينيه برقع من ذهب . واذ مثلوا امام العرش خرّوا ساجدين ، وعفّروا جباههم قائلين :

« نقسم بوجه الفلاس وقفاه اننا سنطيعه في كل ما يأمره وينهاه »

فقال الجالس على العرش :

« ايها الخيال ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فنّ من فنونك اثر »



ثم تقدّم شيخ جلّته هيئته اجيال كثيرة . ويداه في اصفاد من الفضة . وعلى عينيه قناع من الفضة . وتقدم وراه اولاده الخمسون توأمين فتوأمين وبدا كل منهم في اصفاد من الفضة وعلى عينيه قناع من فضة ففعلوا وقالوا ما فعله الخيال واولاده . فقال الجالس على العرش :

« ايها الفكر ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فتوح من فتوحك خبر »  
ثم نهض كهل على عينيه نظارتان كبيرتان ورجلاه مكبلتان بسلسلة من نحاس . وحبا نحو العرش على عكازتين . وحبا وراءه على عكازاتهم اولاده الثمانية والتسعون — توأمين فتوأمين . وعلى عيني كل منهم نظارتان كبيرتان . ورجلاه مكبلتان بسلسلة من نحاس . ففعلوا وقالوا ما فعله من سبقهم . فقال الجالس على العرش :

« ايها العقل ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن على كل باب من ابواب مدينتي العتيدة نظارتان كالتي على عينيك وعيون اولادك »

واخيراً تقدمت كتلة من اللحم قد نشبت فيها مسلات كثيرة فبانّت كأنها القنفذ . وقالت ما قاله الذين سبقوها . فاجابها الجالس على العرش

« ايها القلب ! لقد احسنت النطق والنية . قرّ عيناً وانعم بالآ . ففي مدينتي العتيدة ستجد منفذاً لكل مسألة من مسلاتك »

وعندها التفت الفلاس الى الوزير الجالس عن يمينه واسمه « الطمع » والوزير الجالس عن يساره واسمه « المكر » وقال لهما :

« اليوم يومكم . انطلقا الى العالم الجديد حيث القبيلة الحمراء التي تملك الجزيرة المدعوة ملهاتان وابتاعاها منها بائخس ما يمكنكما »

وكاد الفلاس يحل مجلسه عند ما انتصبت فجأة امامه فتاة عريانة تقلّب في يديها كرة كبيرة من النور الصافي المتبلور . ففرك الفلاس عينيه وقد ادهشته الفتاة وبهره جمال الكرة في يديها . وقال متلعناً من شدة دهشته

« من اين جئتِ ايها الفتاة ؟ »

« كنت هنا من قبل ان تكونوا »

« هذا مستحيل . ومن تكونين ؟ »

« انا الحياة »

« وهذا مستحيل والحياة في قبضتي . وماذا تبغين ؟ »

« سمعتكم تطلبون السعادة فجئت اهديكم اليها »

« وهذا ابعد من المستحيل . فليس يعرف بيت السعادة والسبيل اليه الا انا . انا هو السبيل

والهادي . انا هو المدخل والمخرج . وما تلك التي في يدك ؟ »



« السعادة »

« وهذا مستحيل المستحيل فالسعادة في مدينتي العتيدة التي شرعت اليوم في بنائها . ام انت  
مزحجن ؟ »

« بل انا في جدّ »

« ان في جدّك مزحاً يستفز ضحكى . لكن الكرة التي تقلبنيها في يديك جميلة فهل  
تبيعنيها ؟ »

« السعادة لا تباع ولا تشرى »

« هذا ضربٌ من الجنون . اذ ليس في مملكتي ماليس يباع ويشرى . واذا سلّمنا بمجنونك وقلنا  
ان السعادة لا تباع ولا تشرى . فكيف لمن يطلبها ان يحصل عليها ؟ »

« من قسيلي كما انا نال الجوهرة التي في يدي . مجاناً آخذ ومجاناً اعطي »

« يالك من داهية . افلا تفضلت اذن وعلمتنا كيف نقبلك لننال السعادة من يدك ؟ »

« ازل عن عرشك وانزع نيرك عن اعناق الناس ودعهم يعطون مجاناً ما يأخذونه مجاناً »

« يالك من طاهرة وقحة . لا تمجّلين حتى من ان تقفي امامي ولا كساء عليك غير جلدك .  
استروا عورة هذه العاهرة . واسكبوا في فيها رصاصاً . وشدوا رجليها بالحديد . واطرحوها في الدركة  
السابعة من دركات الجحيم . وآتوني بالجوهرة من يديها الاثيمتين »

فبادر الحراس الى الفتاة وانتزعوا الجوهرة من يدها وقدموها الى الجالس على العرش . وما  
كادوا يسترون الفتاة برداء من اريدتهم حتى التفت الفلّس الى الجوهرة في يده واذا بها حجر اسود .  
والى الفتاة فاذا بها حية رقطاء . فصاح مقهقهاً

« انها لمشعوذة كبيرة . اسحقوا رأسها ثم دعونا منها . وانصرفوا كل الى عمله . واياكم ان  
تؤجلوا الى الغد ما يمكنكم فعله اليوم . انطلقوا بسلام »

وكان كما امر الفلّس . فابتاع اعوانه جزيرة مانهاتان بثمان يوازي الاربعة والعشرين دولاراً .  
وراحوا يبنون نيويورك مدينتهم العتيدة . وما يزالون حتى الساعة يحفرون ويؤسسون . ويهدمون  
ويشيدون . وبين انقاض ما يهدمون وجدران ما يشيدون ملايين من الناس يأتون ويروحون وهم  
عن السعادة يفتشون

\*\*\*

في خريف سنة ١٩١٢ ميلاد القائل « ملكوت الله في قلوبكم » انجّ بين تلك الملايين جبران  
خليل جبران



# الزراعة والحضارة

كيف نشأت زراعة الذرة وأن

وسائل البحث الزراعي التاريخي

﴿ طرائق التحقيق والبحث ﴾ لتاريخ الذرة ، ونشوء زراعتها ، شأن خطير في نظر المؤرخ الفيلسوف لا يقل عن شأنهما في نظر علماء الزراعة والنبات ، وذلك لان الذرة من الحبوب الزراعية التي مكنت الانسان من التحضر . وطريق العالم في تحقيق أصل النبات هي ان يجمع ما يستطيع جمعه من الحقائق المعروفة . فيوفق بينها ثم يبني حكمه عليها . واذا اعوزته الادلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليه القضاة احياناً فينظر في القرائن . واذا كثرت القرائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوته ، اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما لم يكن ذلك الشيء صحيحاً او قريباً كل القرب من الصحة . واذا بدله — اي للعالم — من القرائن ما لا يلتئم مع غيره وجهه عنايته اليه وتعمق في البحث فيه حتى يتبين سبب هذا الاختلاف ، وغالباً ما يكون حل السر ، مرتبطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

واذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات التفت اولاً الى النوع البري منه وبحث عن الاماكن التي ينمو فيها ، وقاما تخطى طريقته هذه ، ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو برياً ، فيُسَدُّ هذا الباب في وجهه ، فيعمد عندئذ الى طريقة اخرى وهي ان يراقب النبات في نموه ونشوء اعضائه ، ويقابل بينه وبين غيره ، لعله يعثر على جنس يقرب منه ولو كان جبل القرابة طويلاً . او قد يطرق في بحثه ، طريقة المقابلة بين بقايا المتحجرة والنظر فيما يطلق عليه من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يعرف فيها من قبل ، ينقل اسمه كذلك ، ولا يعتد بهذا الامر ولا يبني عليه حكم الا اذا امكن تأييده بقرائن اخرى

هذه هي السبل التي سوف نشير اليها في البحث عن أصل الذرة

﴿ اختلاف الاسماء ﴾ يرجح ان الذرة لا تنمو برياً ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين ، لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة . وهذا مما جعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . وقد ذهب كثيرون الى انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالقهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل الكشف عن العالم الجديد ، مستندين في ذلك الى بعض الادلة التاريخية . واسم الذرة الشائع في الولايات المتحدة الاميركية مايز Maize وهو مأخوذ عن اصل هندي ، الا انه



لم يشع الاّ بعد سنة ١٥٧٠ وتعرف الذرة في اوربا بأسماء تشعر بأن اصلها من البلدان الشرقية .  
 فالانكليز يسمونها القمح الهندي Indian Corn والفرنسيون يسمونها القمح التركي blé de Turquie  
 وتعرف في مصر بالذرة الشامية . لكن الذرة ليست قحاً ولا هي هندية او تركية او شامية، والنسبة  
 الى البلدان لا تكون صحيحة دائماً . فالديك الذي يسمى في مصر بالديك الرومي يسمى في لبنان الديك  
 الحبشي وفي انكلترا بالتركي وفي فرنسا بالهندي . وقد قال احد العلماء — واسمه ده كنتول —  
 ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي البورين والثوج وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا  
 بإيطاليا وبالقمح الهندي في صقلية وبالقمح الاسباني في مقاطعة البيرنيه والترك ينسبون لها الى مصر  
 هل الاصل شرقي ؟ ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على  
 أثر في النقوش والكتابات المصرية ، على ما يعلم . وقد وجد أحدهم سنبلة منها في طيبة ولكن  
 لاشك في انها وصلت الى تلك المقبرة في الازمنة المتأخرة إذ لا يعقل ان يكون المصريون استعملوا  
 الذرة وعرفوها ثم اغفلوها في نقوشهم . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديماً ، ولكن البعض  
 كان يظن انه اتي بها من الشرق في القرون الوسطى ومن القائلين بذلك عالم يدعى بونا فوس وهو  
 من اكبر من كتب في هذا الموضوع في اوائل القرن التاسع عشر ثم تابعه نفر كبير وكانوا قد اعتمدوا  
 على وثيقة تؤيد رأيهم ولكن ظهر بعدئذ أن الوثيقة ملفقة في العصور الحديثة . فلم يبق للقائلين بالاصل  
 الشرقي ، من دليل يعتمدون عليه ، إلاّ صورة في مخطوط صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و ١٥٩٧  
 وتمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في أسفلها اسم الذرة في الصينية لكن البرتغاليين  
 اتوا الصين سنة ١٥١٦ أي قبل كتابة هذا الكتاب بنحو نصف قرن ولا يبعد أن يكونوا هم الذين  
 أوصلوا الذرة اليها ، ومما يؤيد ذلك انه لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين الذين لم يغفلوا ذكر شيء فيها  
 أصلها اميركي ؟ فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة ، دليل واضح على  
 انها من اصل غير شرقي وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف أميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق  
 قبل أن يأتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها ويعتنى بزراعتها قبل ذلك التاريخ زمن طويل  
 وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا زرعاً واسع النطاق عندما كشف الاوربيون تلك  
 البلاد وكانت اهم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم ويستدل على قدمها  
 وشأنها العظيم عندهم من ادخالها في اكثر شعائرتهم الدينية . وقد وجد شيء كثير منها في قبور  
 الهنود الاميركيين ، وفي هياكل المعبودات في المكسيك ، كما وجدت الحنطة ( القمح ) والشعير في  
 القبور المصرية القديمة . ويجب ان لا يفهم مما تقدم ان الاميركيين بدأوا بزراعتها لما بدأ المصريون  
 زراعة الحنطة والشعير ، فان عصر التمدن في المكسيك ويرو متأخر عن عصر التمدن المصري القديم .  
 الآن انتشر زراعتها في نواح كثيرة من اميركا وكثرة انواعها المستعملة في الزراعة تبعث على الظن  
 انها عرفت منذ زمن طويل ، وقد عثر داروين على متحجرات منها ممتزجة بالصدف على شاطئ من



شواطئ بيرو باميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطئ الآن ٨٥ قدماً عن شط البحر  
 \* اين موطنها في اميركا \* يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي هو اميركا. ولكن  
 اي اقسام اميركا هو ذلك الموطن ؟

يعرف من طبائع هذا النبات انه يوجد في البلدان الحارة فيجب ان نبحث عنه في حالته البرية في  
 سهول الاقسام الحارة ونلتزمه في السهول لان النبات الذي لا يعمر الا سنة واحدة لا ينمو في  
 الحراج والغابات. وقد كفانا علماء النبات عناء البحث الكثير اذ قد مضى عليهم اكثر من ٣٥٠ سنة  
 رادوا فيها السهول جميعاً ولم يدعوا نباتاً الا وصفوه وشرحوا طبائعه ولم يعثروا على نبات بري من  
 الذرة الا انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا ( اميركا المتوسطة ) وهو النبات  
 المعروف باسم ( تيوزنت teosinte ) فترجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول  
 والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر ، اكثر مما يختلف  
 التيوزنت عن انواعها القريبة منه ، وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن  
 جنس الذرة ، ولكن ذلك لا يمنع ان يكون الجنسان نباتاً من اصل واحد ، لا يختلف عنهما او عن  
 كل منهما ، الا اختلافاً يسيراً . واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيه عارية من الغلاف والاستغناء  
 عن الغلاف درجة من درجات ارتفاعها ، فاذا لقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض انواع  
 الحبوب ذوات الغلاف اتى النسل مغلف الحبوب ، قريباً من التيوزنت ، لا يفرق عنه الا في وجوه  
 قليلة . ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت ، والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قوياً منتجاً ، وهو من الدلائل  
 على صلة النسب بين الجنسين . وثمة وجوه شبه اخرى بين الذرة والتيوزنت لا مكان للتبسط فيها  
 هنا وكلها تثبت وتؤيد صلة القرابة بين الذرة والتيوزنت

\* صورة التطور العامة \* فاذا جمعت كل هذه الحقائق وغيرها وضمت بعضها الى بعض ،  
 امكننا الرجوع بتصورنا ، لطوي الوف السنين ، الى الزمن الذي كانت فيه الذرة تنمو في سهول  
 المكسيك وغواتيمالا وغيرها من بلدان اميركا الوسطى . وكانت سوقها اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها على  
 ارتفاع اكثر انواع الفصيلة النجيلية ، وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها  
 ثم تكيفت ، ازهارها بمرور العصور ، فأصبح بعضها يحمل البيوض ، وبعضها يحمل القمح  
 ثم ظهر نوع قصرت اغصانه كثيراً ونمت اوراقه وتكيفت حتى احاطت بالحبوب ، ووقتها من  
 الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا ، وثبت لهم نفعه فاعتنوا به ،  
 ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات . ولا شك  
 ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة ، في انتخاب انواع الذرة ، اكثر مما اظهروا في  
 تجارتهم بها مع الاوربيين الذين نزلوا بلادهم اولاً ، اذ كانوا يبيعونها اكداً مقابل ما لا قيمة له  
 من الخرز والودع وقطع الزجاج



# بين الحيوان والنبات

للمبر مصطفى الشراي

لي صديق عكف على الحيوانات فتوغل في مدارس خَلَقها وطبائعها ومنافعها ومضارها حتى اذا هضم منها ما لا يستهان به من المعلومات صار صديقاً لها يكثر من ذكرها ويشيد بفوائدها في كل المجالس . وكان يعلم انني اميل الى النباتات وانني لا اعدل بها شيئاً من الاحياء السائرة فكان يعتمد ذمها امامي ليستفزني الى مناظرته . لكنني كنت اتجنب منازلته واتحاشي مقارعته ، حتى كان يوم من الايام واذا بي اراه في المخبر وقد دخل عليّ دامراً لا مستأذناً فوجدني حانياً على بعض الازهار اتفحص عن مواقع أجزائها واتقصاها . وحانت منه التفاتة الى احدي زوايا المخبر فرأى على الارض ججاجهم بعض الخيل والانعام وعظامها وقد علاها الغبار لفرط اهمالها ، فما كان منه الا ان انفجر بحديث طويل يدل على ما يكنه صدره من الحفيظة والموجدة قال :

ان امرك مع دوحة النباتات عجب . اراك تُعنى بأشجارها وتشغف بأزهارها وتستلذ ثمارها وتستخفك خيارها لكنك تتنامى شرارها . هلاً ذكرت ان جميع الجرائم القتالة التي يسمونها ميكروبات تنتسب الى رتبة الأشنة الزرقاء فهي اذن من النبات لا من الحيوان ، وان معظم امراض الزرع والشجر مصدرها فطور دقاق مجهرية تستولي على مزروعاتك ومغروساتك فتفسدها وتبيدها وهذه الفطور هي ايضاً من النبات لا من الحيوان . وربما كان عملها هذا اي فتكها بانباء جلدها اشد واضر من فتك الحيوان بالحيوان . ثم انظر الى الاعشاب السامة ما اضرها كالشوكران والبيروج والعنصل والظيان والزؤان وغيرها ، واضر منها تلك المخدرات المذهلات الذاهبات بحسك والطامحات بلبك كالافيون والحشيش والكوكايين والنكوتين ، دع التي لا يدخل منها ذرة في جوفك حتى تبعث بك حثيثاً الى حيث استقر اجدادك في العالم الثاني كسم الاستركنين وضرابه من المواد النباتية الخفيفة . واذا لانت ملامس بعض النباتات اليس لبعضها شوك طالما آذى الناس في عيونهم وايديهم وارجلهم ؟ واذا فتكت بعض الحيوانات ببعض افنسى بعض الطفيليات من النباتات التي لا تعيش الا من ظل مضيفها اي نسغه كالـكشوث والدونون والدبق واشباهاها ؟

وبعد ان بلغ الصديق ريقه قال :

لا سبيل الى الموازنة بين فوائد الحيوان وفوائد النبات . وهاك الحمار مثلاً : يتهمة الناس بالعباوة مع انه خير للمرء من بعض ابناء جنسه المتشجين بالكاء . اتدري اننا نركبه ونحملة اثقالنا



من ايام حقبة الحجر المصقول في فجر الانسانية الى يومنا هذا وهو على جورنا صابر يقنع بالقليل من الطعام ويقوم بواجبه خير قيام لقاء قليل العلف الذي يُعَلِّفه . وهذه الصافنات الجياد من الخيل العرب شدة ما يبدو على محياها من سيماء النبل وجلال العتق . وما احقر السيارة امام عربة يقودها زوج من الجياد عليهما الاعنة المذهبة وهما يختالان كعروسين او يشتدّان عدواً رافعي الرأس شائلي الذنب ضاربي الارض بقوائم كمقامع من حديد . والعز على متون الخيل . وما ظفر الظافرون في الفتوحات الا بالجياد السريعة في جريها المروضة على الكرّ والفرّ في عجاج الحروب ورهج الملاحم وما عيشة الناس في القلوات بغير الابل . ولولاها لزالّت البداوة وفقد الانتفاع بالصحاري والمغاور . لحمها لذيد ووبرها ناعم ولبنها حلو ملين للمعدة مطهر للمعى وجلدها صالح لصنع النعال والقُرب العظام وظهورها تحمل الاحمال الثقيل ، وهي آية الصحراء التي لا تعد مناقبها ولا تذكر مثالبها . ومن ذا الذي لا يعجب بالعز التي يقات بلبنها الفقير المعدم دون ان يطعم من مال الفتي بفلس ، وبالنعجة التي نجز صوفها ونشرب حليبها ونأكل لحمها طعاماً شهياً . وبالبقرة الذي نحرق به الارض ونأكل منه اللحم ونصنع من لبنه الزبدة والجبن

وأراك تملأ الدنيا صياحاً من اضرار الحشرات . لكنك لا تذكر بخير دودة القز عندما تمتع طرفك بأثواب الحرير التي ترفل بها فواتن النساء وانت تردد بيت ابي الطيب المتنبّي

بأي الشموس الجانحات غواربا      اللابسات من الحرير جلايبا

او بيت المنخل الشكري

الكاعب الحسناء ترفل      في الدمقس وفي الحرير

ولقد سهيت عن فوائد النحل وشهده وحشرة القرمز واصباغها والحشرات الناقلات اللقاح الى سمات الازهار

ولماذا لا نتحدث عن الفراش وتزاويقها والطير وتغاريدها وصيد البر والبحر وما في اقتناصه من لذة . وهل عاش اجدادك الاقدمون الا من الصيد قبل ان يمدوا الى النباتات يداً ولما رأيت صاحبنا قد استرسل في حديثه ورأيتُه مندفعاً فيه اندفاع الودق الهطال او السيل الجرّار وربما انقضت الساعات دون ان يقف أسكتته صائحاً : على رسلك يا أخي . هوّن عليك الامر قليلاً ودع مجالا لغيرك يتكلم . لقد آمنت ببعض ما ذكرته وكفرت ببعض . فالمكروبان هي من النباتات كما قلت . لكن دقائق الدود وغلاظها كلها من الحيوان وفتكها بأعضاء الانسان كبير . والذي يسمعك تتكلم عن الحشرات وعن منافع بعضها يظن انك قد محيت بذلك اضرارها العظيمة وفظائرها الجسيمة حتى كدت تنسينا ارجل الجراد وغاراتها ودودة القطن وويلاتها وحشرات المن وآفاتنا وذبابه الفواكه وضرباتها وقتع الاشجار وفتكتها وعتة الالبسة والحساتها وسوسة الخشب ونحراتها . وكأني بك اذا ما تركتك وشأنك ستشهيني منظر القملة وتحجب اليّ رائحة البقة ونذهلني



عن لسعة البعوضة وتذسني إلحاح الذباب على الناس وتجعلني أسر لسورده وأقول مع عنتره العبسي « مزجاً يحك ذراعاه بذراعاه » الى آخر البيت المشهور . ولعلك لا يؤثر فيك لدغ الثعابين ولسع أم أربع واربعين . وستقول عما قريب ان الزناير والعقارب لاحات لها وان جميع هذه المخلوقات الخفيفة هي آية الله في ارضه رونقاً وبهاءً وبهجة واشراقاً . . . .

ومن العجيب انك تذكر بعض النباتات الطفيلية وعددها حقير لا يؤبه له وتنسى ان معظم الحيوانات لا تعيش الاً من لحم الحيوان . فكبار السمك تلتهم صغارها ، والجوارح من الطير تفتك ببغائها ، وسباع الحيوان يفترس بعضها بعضاً ، والذئبة منها تسطو على خشاش الارض ، ومن الحشرات ما هو مسلط على حشرات اخرى وهكذا تتقاتل الحيوانات وتتفانى وهي في ذلك كالانسان بحروبه الهمجية واعماله البربرية . اما النباتات فمنها الحنطة والارز والذرة وسائر الحبوب التي نقتات بها منذ آلاف من السنين . ومنها البقول التي لا يضاهاها شيء بحفقتها في المعدة . ومنها الفواكه اللذيذة والتوابل والافاويه وما يستخرج منه السكر والنشاء وما تعصر منه الزيوت المختلفة . وماذا يعدل العنب وابنة العنب التي قال فيها الشاعر الكافر « هات التي هي يوم الحشر اوزار » . ولولاها اكان يكون ابو نواس وخمرياته . وما هو قوت أم الحيوانات الدواجن التي تباهي بها . أليس هو الكلاء وسائر ما تنبته الطبيعة في المروج الطبيعية او يستنبته الفلاح في المروج الصناعية . ثم انظر الى الحراج واخشابها وتحيل فوائدها التي لا حد لها في معظم الصناعات البشرية حتى قال احدهم انه لم يهتد الى صناعة من الصناعات الا وهي في حاجة الى الخشب . ومن المعلوم ان الاخشاب تستعمل في صناعة الورق وعود النقب والفحم وفي بناء البيوت وفي تدفئة الغرف وفي رصف الشوارع وفي صنع الاعمدة والعوارض والعربات واقلام الرصاص والعصي وقبضات المظلات والخزانات والمنصات والكراسي والسلال الخ . ويستعمل لحاء بعض الشجر لاستخراج الدباغ منها كما يستخرج الفلين من احد انواع البلوط

وأى شيء اجمال في العين من زهرة ندية يروك منظرها او ريحانة عطرة تنعشك رائحتها . واي بيت من البيوت الكبيرة او الحقيرة يخلو من حديقة للزهر او من حوض او من زهرة في اصيص . ولا شك انك عليم بضروب العطور وبالمياه العطرة . ولا تجهل ان ادقها في الأنف واغلاها ثمناً تلك التي تقطر من بعض الازهار والرياحين كالورد والبنفسج والياسمين والليلك والعنبر وخيري البر والبعيثران وزهر الفصيلة البرتقالية وغيرها كثير ، دع ما يأتينا من البلاد الحارة كالبحر والجالوى واللبني وامثالها من المنعشات

واذا انتقلنا الى النباتات الطبية أسنا نرى فيها المسكنات والمعرقات والمسهلات والقباضات والمشهيات والهضومات والمنبهات والمقيثات وطاردات الدود من البطن . واذا ما اعترتك الحمى شغفت جسمك يرتعد واسنانك تصطك فهل من دواء سوى خشب الكينا وما يهيا منه . وقد



أسرفت يا صاح بذكر مثالب المكروبات الضارة ونسيت ان هنالك الخائر التي لا غنى عنها في صنع الخبز والجبن والحمر وامثالها . ونسيت ايضاً ان من المكروبات ما يستعمل مصلاً يحقن به الاضواء اتقاء للأمراض . وذكرت حشرة القرمز ولم تذكر نباتات الصباغ كالقوة والنيلة والحناء والعصفر . واطنبت بالصوف والوبر ولم تطنب بالقطن والسكرتان وهو لباس سواد الشعوب . وهذه سيارتك وافقة امام داري فهل من سبيل الى سيرها الا بالمطاط في دواليها والا بالبنزين يدفعها وهو من النفط والنفط من بقايا اشجار جيولوجية قديمة وعبثاً حاول صاحبي ان يسكتني فلم اسكت حتى قرع الباب علينا زائر . واذا به صديقنا العلامة الدكتور امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان فاحتكننا اليه لان علمه بالنبات كعلمه بالحيوان . فلم يشأ ان يحكم بيننا بل قال لا لزوم الى المفاضلة . فللنبات منافع ومضار وللحيوان منافع ومضار والامر جلي لا يحتاج الى مهادر . . . .

## زهر يتفتح ليلاً

يذهب بعضهم الى ان ما في الطبيعة من جمال الازهار وشذا عطرها، انما أبدعته الطبيعة لتكفي حس الجمال في الانسان . وهو قول شعري اكثر منه علمي ، لان بدائع الالوان وروائع العطور في ازهار النبات واوراقه ، متصلة صلة وثيقة بنشوءه وتطوره وتلقيحه واخلاف النسل فيه . فاذا أصر اصحابنا على رأيهم الشعري فلنذكر لهم نباتاً من فصيلة الصبير ، لا يتفتح زهره ولا يعبق نشره الا في الليل . فزهر هذا الضرب من الصبير، يبدأ في التفتح عند المساء ، ولا يأتي عليه الصباح الا وقد انطبقت اكمامه ، وتهدلت تيجانها ، لا حيوية فيها ولا عطر ولا جمال . ولكنها تكون في خلال ذلك قد حققت الغرض الذي انشأتها الحياة لتحقيقه . ذلك ان بعض اصناف الفراش يكون قد زارها في الليل ، منجذباً بعطرها ، فيتنقل من زهرة الى اخرى ، فيكون في خلال تنقله وسيلة الطبيعة لاجداث التلقيح . ويعرف هذا النبات باسم *Cereus* اي اللين ، لان له سوقاً طويلة دقيقة سهلة الالتواء يمتد فيها من أعلى الى اسفل اضلاع مقعرة ، فيها على فترات متساوية شوك قاس . وهذا النبات اما معترش يتسلق الأشجار او يمتد على سطح الارض . اما قطر الزهرة من أزهاره فقدم وقد يبلغ اربع عشرة بوصة . ولكنك اذا رأيت البرعم في النهار لم تستطع ان تتصور ، ما ينطوي عليه من الجمال عند تفتحه في الليل . فلون اوراق الكاس بني قاتم من الخارج ولكنه اصفر زاه من الداخل . وكأن الطبيعة اختارت هذا اللون الاصفر، لكي تزيد البهاء في بياض التاج . ولصحب هذا البهاء العذري ، عطر لطيف يفوح ليلاً فيجذب الفراش الى الازهار من مكان بعيد . والنبات متوطن في جزائر الهند الغربية ، ويرى في مستنبتات الازهار في انكلترا



# احمد زكي باشا

في ذمة الله أبي وشيخي

بقلم بشر فارس

## — العالم —

قدمت من باريس الى مصر — في فصل الصيف سنة ١٩٣٠ — أطلب طائفة من المستندات إتماماً لرسالتي « العرض عند عرب الجاهلية ». فسرعان ما كتبت الى احمد زكي استضيء بمشكاته . ولما منلت بين يديه قرأت عليه خطة رسالتي فناقشني في بعض نواحيها . والغريب انه ناظرني في مسائل فلسفية محضة لا ترجع الى العرب في شيء

خرجت من عند احمد زكي منشراح الصدر ، ذلك اني ادركت اني ظفرت بأستاذ ثقة . ومما زاد في الشراح صدري ان الرجل — رحمه الله — مال إليّ وأنس بي وحملني على ان أسير في عملي اذ جعلني اطمئن اليه بل أثق بنفسي

منذ ذلك اليوم حتى عودتي الى باريس — أي زهاء شهر — ظلت اختلف الى احمد زكي اقرأ في داره كتباً مطبوعة ومنسوخات كان يجلبها اليّ من خزانته او من دار الكتب المصرية . وكان يعلمني كيف اطالع هذه المنسوخات واتصفح تلك الكتب . ثم اني لما قفلت الى مصر في السنة الماضية ما فتئت اعتمد على احمد زكي وارجع اليه فيما اقرأ واكتب

كان احمد زكي راسخ القدم في الفنون العربية : عالماً بفقهاء اللغة وقواعدها ، بالتفسير ومذاهبه ، بالفقهاء ودقائقه ، بالتاريخ ونوادره ، بالجغرافيا وشواردها ، بتراجم الرجال المبرزين . وكان — فوق هذا — متضلعا من اللغة الفرنسية ، مطلعاً على أدبها القديم والجديد ، وكان يقرأ الاسبانية والانكليزية ، وكان يأسف على جهله الألمانية ، وطالما قال لي : تعلم الألمانية ان اردت ان تتمكن من فن الاستشراق

ولم يكن علم احمد زكي مقصوراً على شؤون العرب واللغات ، بل كان ينبسط على الفلسفة والتاريخ العام والجغرافيا العامة والقانون والاقتصاد السياسي



هذا ، وقد يظن الناس ان سعة الاطلاع كانت خاصية احمد زكي . والذي عندي ان خاصيته كانت بين البصيرة الحظافة والذاكرة المسكينة . ثم انه كان يفضل سائر العلماء باستعمال الجزازات fiches ، وهي طريقة علمية اخذها عن الفرنجة : فكنت ترى في داره خزانات يملأها جزازات مرتبة على حروف المعجم ، كل طائفة منها على حسب الفن او الباب الذي ترجع اليه . وهذا ما بين لنا كيف كان يأتي احمد زكي بالحجج القاطعة والاستشهادات الصحيحة في اسرع من ارتداد الطرف . وكيف كانت الحال فان احمد زكي كان قوي الحجة ، طلق البديهة . وقد رأيت — غير مرة — يكتب مقالاً كاملاً في جلسة واحدة . وكان يؤثر الكتابة عند الفجر

واظن المناظرة الفن الذي مهر فيه احمد زكي . وانه لا يخفى عليّ ان خصومه في العلم كانوا يخافونه لثباته وعارضته ، وربما خافوه للذعة . والحق ان قلم احمد زكي كان ينحرف الحين بعد الحين عن الهدوء فيهبج ، الا ان هيجانه لم يشدّ قط عن ادب المناظرة ، وجلّ ما يقال فيه — اذن — انه كان متهزلاً ساخراً . واني أشهد ان احمد زكي لم يعمد الى التهزل والسخرية الا ليدفع سقطة خصومه ويشلّ مكابرتهم

\*\*\*

ومن فضائل احمد زكي العالمية انه كان حرّ الفكر ، كثير التحري والتثبت ، منقاداً للحق . وكل هذه صفات العالم الحق

أما حرية فكره فانه لم يقل ولم يكتب الا ما رسخ في ذهنه . ثم انه ما تملق احداً من الناس . والمعلوم انه كان كثير الخصوم والاعداء لصراحته وصدقته . ( والله لو صانع حلّ في مقدمة الجمع العربي المصري ! ) واكبر دليل على حرية فكره انه فسّر طائفة من الآيات الكريمة مستنداً الى عقله فأقبل عليه العلماء والفقهاء بحاجّونه ولم يظفروا منه بشيء . واما تحريه وتثبته فقد عرّف المقرّبون اليه كيف كان يطيل النظر في الكتب العمدة وبوازن بينها ابتغاء الوصول الى الحقيقة ، وكثيراً ما كان يثبت المظان فلا يرسل الكلام ارسالاً كمثل غيره من علمائنا

واما انقياده للحق فقد اجتمع ذات مساء عندي بالاستاذ زكي المهندس المدرس بدار العلوم . فدارت بينهما مناظرة حول استعمال « لا » مع « كاذ » . فقال احمد زكي : تقول العرب « يكاد لا يفعل » وقال الاستاذ المهندس : بل تقول « لا يكاد يفعل » . فثبت احمد زكي عند رأيه ، وبقي الاستاذ المهندس على قوله ، حتى انصرفا جميعاً . ولما كانت الساعة الخامسة صباحاً ايقظني جرس ( التلفون ) ، واذا احمد زكي يصيح : ان الاستاذ على صواب ، ولكن أجهل عنوانه ، فأخبره لساعتك اني قضيت ليلتي في التنقيب والتصفح حتى أصبت الدليل على قوله — في القرآن — « أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين — سورة الزخرف »



ومما يؤسف عليه ان احمد زكي باشا بذل حياته العلمية في كتابة المقالات . فاذا نظرنا الى تأليفه لم نضب الا كتباً ضئيلة او محاضرات او رحلات او ترجمات وكم قلت له يا باشا توج حياتك بمؤلف ضخم لا يقدر على اخراجه الا انت . فازلت به وما زال به خالصاً ومريدوه حتى دعاني يوماً فقال لي : يا بني اني نويت ان اولف معجماً مختصراً سهل المتناول على شاكلة معجم Larousse الفرنسي مع تحق ادرج فيه اسماء الاعيان والبلدان . فصفقت لتلك النية . فقال لي الباشا : اني ارجب اليك ان تعاونني على تأليف ذلك المعجم ، وليكن عملاً موقوفاً على تهذيب المعاجم العربية بحيث تطرح الزوائد والشواهد وتقصّر الشرح على الالفاظ الحية التي بنا حاجة اليها سواء كانت علمية او عملية ، ثم اراني بعض جزايات كان قد هيأها على سبيل المثال . فاتفقنا على ان نشرع في تأليف المعجم بعد اشهر معدودات ، وقد اوصاني احمد زكي ان اجعل الامر بيني وبينه . وهأنذا اذيعه اليوم

\*\*\*

ومن مباحث احمد زكي الاخيرة انه كان يشتغل باثبات خارطة الجزيرة ولا سيما اليمن . وقد اطعني على رسم اولي لهذه الخارطة ، واخبرني انه بعث الى الحكومة اليمنية يسألها عن اشياء وانه راحل الى تلك البلاد ليحقق مولد النبي

ومن اعماله الاخيرة انه صحح طائفة من تجارب كتاب « موافقات الحديث » ، ذلك الكتاب الذي يطبعه الآن البروفسور ( فنسك ) في ( هولندا ) . وكان احمد زكي يرسل تلك التجارب بالبريد الجوي على الغالب

ومن آثاره في خزاناتنا تلك الكتب النفيسة التي صححها وطبعها وعلق عليها ، واليك مثلاً « كتاب التاج » . ولربما ظفر بكتاب فريد يحلم العلماء به فلم يدخر وسعاً في اقتنائه وطبعه الطبع الذي لا يترك غاية وراءه ( دونك « كتاب الاصنام » لابن الكلبي ) او تصويره تصويراً محكماً ( اليك « كتاب الامتاع والمؤانسة » )

ومن آثاره على سنتنا واقلامنا الفاظ ولدها واسماء رجال وبلدان احياء . اما هذه الاسماء فقد ظل يجاهد في سبيلها في الصحف ولا سيما « الاهرام » . واما تلك الالفاظ فقد برى لها قلعه . ومنها لفظة « السيارة » . واني اقف عندها لان « الباشا » حدثني عما عانى من اجلها قال : كتبت فيما مضى من الزمان اعرض لفظة « السيارة » بدلاً من لفظة « اوتوموبيل » . فسفهنني لفيف من الادباء ، على رأسهم المويلحي وظهروا عليّ . الا اني كنت في ذلك العهد صاحب السر في مجلس الوزراء ، فوقعت لأثمة « النقل » ذات يوم بين يدي ، فجعلت لفظة « السيارة » مكان لفظة « اوتوموبيل » حيث اصبتها ، ثم دخلت على رئيس الوزراء ، فوَقَّعها على وجهها ، وهكذا شاعت لفظة « السيارة »



وعلى الجملة ، ان احمد زكي كان العالم الذي يقف حياته على العلم ويتلف ماله في سبيله : ترجم وألف وكتب وخرج التلاميذ وعاون العلماء وجمع الكتب ثم بذلها للخلق . وما أظن احداً من الشرقيين لهذا العهد ظفر بالصيت الذي ظفر به احمد زكي . ولعل بعض خصومه يذهبون الى ان صيته انما رفع على حبه للعرب ودعايته لهم ودفاعه عنهم ، فاعلموا ان الرجل كان ابعد صيتاً عند الافرنج على تحديه لهم وتشجيعه للعرب وتعصبه للشرق والدليل على ذلك ان مكانته عند المستشرقين رفيعة جداً ، ولقد اتفق لي وأنا اطلب العلم في « السوربون » ان اسمع غير واحد من اولئك القوم يثني على احمد زكي ويعترف له بالعلم الغزير ، ولولا ان يكون الامر هكذا ما قصده البروفسور ( فنسك ) ولما قال فيه استاذي البروفسور (دومامبين) ما قال في المقدمة التي عملها الكتابي المذكور في مستهل هذا المقال

### — الرجل —

لازمت احمد زكي سنة ونصف سنة . فكان رحمه الله ابا لي وشيخاً وصديقاً في آن  
ان خلق احمد زكي <sup>(١)</sup> خلق عربي كريم حتى الاتلاف أبي ( لا يطأطأ ولا يلتمس شيئاً ) —  
سمح النفس ( لا ينصب عداوة لمن يخالفه في عقيدة ) — وفي ( لم يخفر ذمة ولم يخن صديقاً ) —  
عصبي المزاج ( سريع الغضب ، سريع الرضى ) — مقدم ( وانما كانت شجاعته في الرأي ) —  
ميل الى النضال ( وانما كان يبارز بالقلم واللسان ) — ثابت الرأي ( لا ينقاد لامر عن هوى ) —  
لطيف المحاضرة ، ظريف البادرة ، حلو الحديث  
بيد ان هزة الشباب ابرز ما في خلق احمد زكي  
كان — رحمه الله — وثاباً متحركاً ، لا يقعد عن الكتابة والقراءة ، ولا عن الجولان ، فتارة  
تراه في داره ممسكاً بكتاب او قابضاً على قلم ، واخرى في سيارته ، واخرى عند صديق له ، واخرى  
في دار علم او محفل قومي  
الا انه لم يتخلف عن داره بعد العشاء . وكان يفد اليه خلصاؤه في تلك الساعة ، فيتعشون معه  
ويلاعبونه « الدومينو » او يساقطونه الوان الحديث . وكما مرة قلت لصديقي الفاضل الشيخ محمد  
الغنيمي التفتازاني : هذا الظلام قد خيم على مصر ، اين نمضي ؟ فينظر كلانا الى الآخر ، وانا  
نحن نسير الى « شيخ العروبة » اندفاعاً وهل تنبسط النفس الا بين يدي صديق يضافيك الود  
وتخالصه الاجلال !

(١) اني في هذا المقال ما ازال اقول احمد زكي من دون ان اضيف الى هذين الاسمين لقب «الباشا» أو «شيخ العروبة» لان الرجل — رحمه الله — كان يقول لي اذار مال الي يفخر بنفسه او يتوعد خصماً : انظر الى احمد زكي — او : سترى ما يصنع احمد زكي



## الغريبة

مكحولة العينين ذات لمى  
البدر يطلع من رائبها  
ويزين لبتها بمجوهره  
فكان نور الدر زاد سنا  
وكان زنديها بياضهما  
جلست الى رجل يحدتها  
تصغي اليه وهو منشغل  
وجلست في سهوي حياهما  
متفرداً بين المجموع بما  
لكنها اخذت تخالسي  
فتدير نحوي الوجه في لهف  
تصغي له وتكاد تبسم لي  
وتمد الحاظاً قد اخترقت  
ماذا تريد ولست اعرفها  
ان الذي جلست تحده  
تجني عليه اذ تخالسي  
فعلى م تدنيه لتبعده  
وعلى م تغريني وما عرفت  
ما راقني ان يستباح لها  
لكنها بقيت تخالسي  
وصديقها عن ذاك في شغل  
فشعرت اني قد فقدت هدى  
وتريد في غزلي ومشغلي  
حتى تركت لها المكان ومن

احوى وثغر رائق الشذب  
والشمس صفحة خدها الذهبي  
نوط كنظم السبعة الشهب  
وجه بنور الحسن منتقب  
حاج زها في قالب عجب  
في محفل بمجموعه لجب  
معها ببعض الاكل والشرب  
لاهي النواظر غير مرتقب  
عندي من الحسرات والكرب  
نظراتها عفواً بلا سبب  
وتدير عني الوجه في ادب  
في جرأة طوراً وفي رهب  
بالسحر ما في القلب من حجب  
حتى اسلم - وهو لم يجب  
يبدو محباً والمحب ابي  
نظراتها فأراه وهو غي  
وعلى م رضيه على غضب  
اصلي ولا فصلي ولا حسي  
حلمي وان يلهي ويُبعث بي  
نظراتها وتجد في لعب  
يصغي لما في الحفل من صخب  
نقسي واي جد مضطرب  
سيان في صدق وفي كذب  
فيه ورحت ولم ارح تعي



يا بنت سأمحك الآله على ما هجت في صدري من الاله  
 ايقظت في قلبي لواعجه ودعوته عرضاً فلم يحب  
 عجباً لصبر القلب عنك ولي قلب على حب الجمال ربي  
 حواء ما انتسبت لآدم في عدن بغير الحسن من نسب  
 فأقره دون الخلود لنا وكذا ورثناه على الحقب  
 ما كنت اجهل ناظريك وقد متاً الي بكل ما سبب  
 لكن تعارضت الطريق بنا حتى تباعد كل مقترب  
 فاذا الحياة مضلة واذا معنى الخيانة جد منقلب

\*\*\*

كم عدت مرتقباً هناك وكم حاولت لقيها فلم اصب  
 هي طفرة عفو الحياة ات منهوبة لشقاء منتهب  
 بل نظرة كالبرق قد ومضت آب الدجى والبرق لم يؤب  
 يا من جهلت ومن عرفت ومن ذني مراعاة الحقوق وان  
 وامنانة للناس توجبني ودت تفرج هم مكنث  
 لكن حسنك انت ربتك اغفال حق غير مكتسب  
 خالفتك جهلاً فأوقفني هي اوردتني مورد العطب  
 ان كنت غبت الدهر عن نظري والحسن فوق العرض والطلب  
 وأظل اذكر ناظريك وما في العمر بين الويل والحرب  
 والسجل في عينيك مبتسماً فيال ذلك الوجه لم يغب  
 والنوط والدرّ التنظيم غزلاه من سحر ومن عجب  
 فيقيم اشجاني ويقعدها والنغر احوى رائق الشنب  
 اني تعذبني وتسلبني والمعصمين وخذك الذهبي  
 ذكرى فتاة حاولت صلة يوم لقيتك فيه عن كئيب  
 جهل لعمرك لا يسوغه رشدي فرشدي اي مستلب  
 هذي الغريبة ربما شعرت بفتى نخاب بها ولم تحب  
 دفع الخيانة عن اذل غي دفع الخيانة عن اذل غي  
 في العمر اني جد مغترب في العمر اني جد مغترب



## صلة الكندي بعصره

تمهيد — بيئة الكندي — الفلسفة والكلام — الحركة العلمية بوجه عام

لمحمد متولي

تمهيد

أما أن الصلة وثيقة بين الشخص وبين العصر الذي يعيش فيه ، فهذا ما لن نحاول أن نحصنه بالدليل ، لأنه ، أولاً ، شديد الظهور فلا يحتاج الى تفصيل وتدليل ، ولأنك ، ثانياً ، سوف ترى أن الكندي ، فيلسوف العرب كما يسمونه ، كان صورة واضحة لزمانه ، بحيث لو تقدم وجوده قرنين ، أو لو تأخر ، إذن لكان شيئاً آخر غير الذي سنعرفه

بلى ! ينفخ الزمان في الشخص من روحه ، ويفيض عليه من نوره ، فتكون شخصيته مشعة مع ماله من استعداد وكفاية ، ومع ما لزمانه من قوة وإشراق  
وإذ نريد دراسة عصر الكندي لتعرف الصلة بينهما ، فقد لزم أن نتغلغل في الماضي حتى نشرف على العراق في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثاني الهجري الى ما حول منتصف القرن الثالث ، فنرى كيف كانت بيئة فيلسوفنا ، ثم نحاول أن نقف على شيء من حال الفلسفة والكلام هناك ، ونحاول أن نتقصى مدى الحركة العلمية بوجه عام

— ١ —

ونحن اذا كنا في العراق ، كان علينا ان نتنقل بين الكوفة والبصرة وبغداد . فالرواة يحدّثوننا ان الكندي قضى حياته في البصرة وبغداد . وأنا سأبين لك أنه ، كذلك ، عاش في الكوفة زمناً ما والكوفة والبصرة مدينتان أنشأهما العرب في صدر الاسلام لتكونا قاعدتين حربيتين . وبغداد بناها المنصور وكانت مقراً للخلافة . فأنت ترى ان هذه المدن الثلاث قامت على أنقاض الحضارات البابلية والآشورية والفارسية واليونانية ، وغيرها من الحضارات التي تناوبت الازدهار على ضفاف دجلة والفرات . فلما سكن العرب العراق على هذا النحو ، وخالطوا اهله من الاعاجم ، كان لهم حظهم من غناه . وكان لهم حظهم من ثقافة أهله الذين قاموا بأ كبر نصيب في الحركات الفكرية مع من استقدمهم الخلفاء من علماء الامصار (١)



والكوفة والبصرة كانتا الى هذا ميداناً لتطاحن المسلمين على الامامة ومشاراً لخلافاتهم الكلامية منذ حروب علي ومعاوية . وبغداد ما كان أعلى مكانها . وهي حاضرة المسلمين يختلف اليها العلماء ليس من الكوفة والبصرة فقط ، بل ، أيضاً ، من الشام وفارس والهند وغيرها واذن فقد تعددت العوامل التي تجعل في هذه البيئة تطوراً فكرياً . والتطور الفكري يكون في جو ملائم لطبيعته كي يستطيع ان يعيش وينمو ، فكيف كانت نزعة القوم ؟ لقد يبدو انه كانت هناك نزعة ترمي الى اصطناع العقل في بعض المسائل . فالخليفة المنصور كان يدعو الى الرأي في شدة فأمر فضرِب مالك بن أنس ، ثم استقدم أباً حنيفة من الكوفة الى بغداد إعلاءً لشأن فقهاء العراق واعزازاً لقوله بالرأي <sup>(١)</sup> . والخليفة المنصور أيضاً هو الذي كان يبكي لموت عمرو بن عبيد المعتزلي فيقول « كلكم طالب صعيد غير عمرو بن عبيد » <sup>(٢)</sup> والمؤمن والمعتصم كانا معتزلين يقولان بخلق القرآن ويتشددان في إذاعة رأيهما فينكلان بمن يعارضهما ، فلم يكن نصيب احمد بن حنبل عند المعتصم خيراً من نصيب مالك عند المنصور <sup>(٣)</sup> وكان المتوكل من اهل السنة وقد وُشي له بالكندي فصادر مكتبته زمناً . ونحن لا نعلم هل كانت هذه الوشاية تتصل بكون الكندي معتزلياً أم تتصل بشيء آخر . وعلى اي حال فنحن نستطيع ان نقول ان فيلسوف العرب نعم بحريته الفكرية طول حياته ، لان غضبة المتوكل لم تكن طويلة بحيث تعطل عليه حريته تعطيلاً مؤثراً

### — ٢ —

ويحدثنا صاحب « الملل والنحل » فيقول « وروى عن علم الكلام ابتداءه فن الخلفاء العباسية هارون والمؤمن والمعتصم والمتوكل » <sup>(٤)</sup> ونحن نجب ان نستبين ماددا الى نشاط المتكلمين وبهاء الكلام فنجد ظاهرتين قويتين اما الاولى فهي آثار أصحاب الاديان القديمة الذين كانوا يعيشون بين المسلمين ، سواء من اعتنق الاسلام ومن بقي على دينه منهم ، فهؤلاء أثاروا مسائل كانت مثارة في أديانهم من قبل ، وكانوا سبباً في ان تسربت الى المتكلمين تعاليم غريبة عن الاسلام — والقول بالقدر من أمهات المسائل التي شغلت أصحاب الاديان جميعاً ، وفكرة التجسيم عند المجسمة من الشيعة قريبة منها عند الثنوية . وما يقول به أبو عيسى الوراق الرافضي في استكراهه لقتل الحمي هو بعينه ما نجد في مذهب ماني <sup>(٥)</sup> وأما الظاهرة الثانية فهي ما حصله العرب من حكمة الاوائل عن طريق العقل فيذكرون أن عبد الله بن المقفع ( ١٤٣ هـ ) ترجم بعض منطق أرسطو وفورفوروس <sup>(٦)</sup> ويذكر ان يوحنا بن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧١ — ٧٢ (٢) الملل والنحل ص ٣٤ (٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ٢ ص ٣٨ (٤) الملل والنحل ص ٣٤ (٥) الانتصار للخياط (مقدمة الناشر) ص ٥٤ — ٥٦ (٦) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨



الطريق والحجاج بن مطر (عاش ٢١٤ هـ) وقسطا بن لوقا البعلبكي (عاش ٢٤٠ هـ) وعبد المسيح ابن ناعمه الحمصي (عاش ٢٢٠ هـ) وحنين بن اسحاق (٢٦٠ هـ) يذكرون ان هؤلاء تعاونوا مع غيرهم في نقل كتب ارسطو وأفلاطون وبعض الفلاسفة الآخرين<sup>(١)</sup>

وهاتان الظاهرتان قويتا فالتا بالعقول الى نحو جديد فاذا نحن أمام ما استجد في الكلام بما أحدثته المعتزلة وبما حاربهم به اهل السنة وغيرهم، مما نجده عند ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» وعند الاشعري في «مقالات الاسلاميين» وعند سواهما من اصحاب الفرق الاخرى

والكندي لم يكن بعيداً عن حركة النقل ولا كان بمعزل عن تلك الحرب الكلامية. فهو لم يأل جهداً في معرفة فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وارسطو<sup>(٢)</sup> وهو قد اشترك في مناقشة المسائل التي تناولها معاصروه امثال العلاف (٢٢٦ هـ) والنظام وابن النجار وابن المعتز وثمامة بن أشرس والجاحظ (٢٥٥ هـ) وهشام بن الحكم ومن اليهم

فأبو الهذيل العلاف، كان يقول «ان الباربي تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدره وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته» ويقول الشهرستاني ان ابا الهذيل «انما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته — اي ذات الله — واحدة لا كثرة فيها بوجه»<sup>(٣)</sup>

وكان ابو الهذيل يقول أيضاً ان «الاستطاعة محتاج اليها قبل الفعل فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه وقد يحوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ويكون عجزاً عن فعل لان العجز — عنده — لا يكون عجزاً عن موجود فيكون الفعل واقعاً بقدره معدومة»<sup>(٤)</sup> وقال ابراهيم بن سيار النظام «ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آتاهم وقالها» وقال «ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقلب بأجزائه مداخله المائية في الورد والدهنية في السمس والسمنية في اللبن... والروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشية وهي مستطاعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل»<sup>(٥)</sup>

وقال النظام أيضاً «ان كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بإيجاب الخلقة. اي ان الله تعالى طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعاً»<sup>(٦)</sup>. ومن آثار النظام كذلك انه «وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ»<sup>(٧)</sup> وأنه انبرى للمناظرة فسفهمهم في قولهم في النور والظلمة وفي التناهي<sup>(٨)</sup>

وقال أبو الحسين بن النجار «ان الاستطاعة لا يجوز ان تتقدم الفعل وان العون من الله يحدث في حال الفعل مع الفعل وهو الاستطاعة وان الاستطاعة الواحدة لا يفعل بها فعلاً وان لكل فعل استطاعة

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٩ — ٣٨٣ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ (٢) راجع مؤلفات الكندي في الفصل الثالث (٣) الملل والنحل ص ٣٤ (٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٢ (٥) الملل والنحل ص ٣٨ (٦) الملل والنحل ص ٣٨ (٧) الملل والنحل ص ٣٨ (٨) الانتصار ص ٣٠ — ٣٤



تحدث معه اذا حدث وان الاستطاعة لا تبقى وان في وجودها وجود الفعل وفي عدمها عدم الفعل<sup>(١)</sup> وبشر بن المعتز تكلم - كأصحابه - في الاستطاعة فقال إنها « سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليها من الآفات . وقال لا أقول بها في الحالة الاولى ولا في الحالة الثانية . ولكني أقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الحالة الثانية »<sup>(٢)</sup>

وقال ثمامة بن أشرس ان الاستطاعة هي « السلامة وصحة الجوارح من الآفات » وهي قبل الفعل<sup>(٣)</sup> وذهب الجاحظ - كالفلاسفة - الى نفي الصفات عن الله والى اثبات ان القدر خير وشره من العبد . وهو إذ يصف الله بالارادة فانه يعني « انه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر »<sup>(٤)</sup> ويحدثنا ابو الحسين الخياط فيذكر ان الجاحظ أبلى في دفاعه المجيد عن النبوة بكتابته في تنبيهها<sup>(٥)</sup> وقال هشام بن الحكم الشيعي « ان الله جسم محدود عريض عميق طويل . طوله مثل عرضه . وعرضه مثل عمقه . نور ساطع . له قدر من الاقدار بمعنى ان له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه »<sup>(٦)</sup> وقال « ان مكانه هو العرش وانه مماس للعرش وان العرش قد حواه وحده »<sup>(٧)</sup> وقال « ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء » وروى انه قال « هو سبعة اشبار بشبر نفسه وانه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان » ثم قال « هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة »<sup>(٨)</sup>

وهشام يقول عن الاستطاعة انها « كل ما لا يكون الفعل الا به كالات والجوارح والوقت والمكان »<sup>(٩)</sup> فاذا تأملنا الكندي في ضوء هذه الامثال التي ضربناها وجدنا انه قد كتب في الاستطاعة وزمان كونها وفي تثبيت النبوة وفي قول من زعم أن جزءاً لا يتجزأ وفي التجسيد وفي قول من ادعى أن الاشياء الطبيعية تفعل فعلاً واحداً بإيجاب الخلقة وفي الرد على المنانية والثنوية<sup>(١٠)</sup> وأنه كان يقول بمذهب المعتزلة في صفات الله<sup>(١١)</sup>

— ٣ —

على ان شخصية الكندي بلغت من التركيب انها تكاد تمثل كل ما كان في عصره تمثيلاً صادقاً فقد اهتم العرب إذ ذاك بنقل علوم جديدة من لغات مختلفة وظهرت الوان من التطور في نواح اخرى فكان للكندي أثر في كل هذا

والمنصور اول من اهتم بالترجمة فنهض بعلم النجوم نهضة واسعة لانه كان يستعين بها في قضاء أموره فقرب اليه نوبخت العالم باقتراعات الكواكب والحوادث، وقرب ابنه أبا سهل . وكانت لابراهيم الفزاري وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابي، كانت لهم جميعاً حظوة عند المنصور . وقد

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٧٠ (٢) الملل والنحل ص ٤٥ (٣) الملل والنحل ص ٤٩ (٤) الملل والنحل ص ٥٢ (٥) الانتصار ص ٢٢ ، ١٥٠ (٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٩٧ (٧) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٠٠ (٨) الملل والنحل ص ١٤١ (٩) الملل والنحل ص ١٤١ (١٠) راجع مؤلفات الكندي في الفصل الثالث من هذه الرسالة (١١) راجع الفصل الرابع منها



ترجم له أولهم كتاب السند هند الكبير في حركات الكواكب وبقي هذا الكتاب عمدة للنجوم حتى أيام المأمون. ويذكرون أن كتاب اقليدس ترجم للمنصور أيضاً بسبب حاجة النجوم إلى العلم بالهندسة<sup>(١)</sup> وسواء كان المنصور قد استدعى جورجيس بن بختيشوع لعلته أو لسبب آخر، فهو قد استدعاه فحضر مع بعض تلاميذه وكرّمهم الخليفة فكان لهم أثر كبير في النهضة الطبية بما ألفوه وما ترجموه عن اللغة اليونانية من كتب الطب.

واهتم الرشيد بالترجمة بعد المنصور غير أنه وجه أكثر عنايته إلى نقل الكتب الطبية التي عثر عليها في انقره وعمورية. ويقولون أن يحيى بن خالد البرمكي عني بترجمة المجسطي في ذلك الوقت<sup>(٢)</sup> ولكن هذا الذي كان في أيام المنصور والرشيد لم يكن إلا تدرجاً معقولاً لتلك النهضة الشاملة التي اتسم بها عصر المأمون وما بعده فإن الترجمة في هذا العصر قد تناولت أمهات الكتب من لغات كثيرة وتناولت أكثر فروع المعرفة.

ويروون أن المأمون كان يقوم الكتاب المنقول بوزنه ذهباً. وهذا إن يكن بعيد الحصول من ناحية، فهو يدل، من ناحية أخرى، على مقدار عنايته بنقل الكتب. ويدل على تهافت المترجمين على النقل ثم تهافت الناس على القراءة والدرس — وهاك حنين بن اسحاق الذي كان يعرف اليونانية والسريانية والفارسية والعربية وقسطا بن لوقا البعلبكي وثابت بن قره الحراني (٢٢١ هـ — ٢٨٨ هـ) وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ويحيى بن البطريق الذي كان يعرف اللاتينية ويوحنا بن البطريق ويوحنا ابن ماسويه الذي عني بنقل الكتب الطبية. أولئك بعض الذين كانوا ينقلون الكتب عن اليونانية والسريانية واللاتينية بينما كان غيرهم ينقل عن الفارسية والهندية والنبطية<sup>(٣)</sup> فإذا تأملنا أثر هذه الحركة في الكندي فإننا نبلغ حقيقة كونه منجماً وفلكياً ورياضياً وطبيباً لما هو واضح في بيان مؤلفاته.

وكان للحياة الأدبية نصيبها من نشاط العرب في هذه الفترة من تاريخهم فكان من الشعراء بشار (حول ١٦٨ هـ) وأبو نواس (حول ١٩٨ هـ) وأبو العتاهية (حول ٢١٣ هـ) وأبو تمام (حول ٢٣٠ هـ) وكان من الأدباء الجاحظ والمبرد وابن قتيبة (حول ٢٧٠ هـ) والأصمعي (حول ٢١٧ هـ) وأبو عبيدة (حول ٢٢٠ هـ) وغير هؤلاء وأولئك من اعلام الادب والشعر.

وهذه الناحية إلا تكن مستحدثة في حياة العرب فقد جدّ فيها لون من الكتابة لم يكن معهوداً فامتزاج العرب بغيرهم ونقل العلوم والفنون من اللغات الأخرى ونمو الفلسفة والكلام، كل هذه كانت سبباً في أن كسبت اللغة العربية ثروة من الالفاظ الطبية والاصطلاحات الفلسفية ومن غيرها من الكلمات المعربة الكثيرة<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٩ — ١٤٠ (٣) عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٩ — ٣٩٣ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ (٤) عصر المأمون ج ١ ص ١٦٥



ثم ان معالجة الفنون والفلسفة كانت داعية الى اسلوب ضروري لها ، هو الاسلوب العلمي السهل القائم على الحجة القوية والبرهان المبين  
وصلة الكندي بهذه الحياة الادبية ظاهرة في أسلوبه العلمي الذي عالج به ما عالج من العلوم والفنون والفلسفة وفيما يروي لنا ابن خلكان من ان الكندي كان يسمع أبا تمام وهو يلقي إحدى قصائده في حضرة احمد بن المعتصم وكان آخر هذه القصيدة قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء إياس  
فلما سمعته قال « الامير فوق من وصفت » فقال أبو تمام على البديهة :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس  
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس<sup>(١)</sup>

فهل لا نجد في هذا ما يدل على ان الكندي كان على اتصال بالحياة الادبية بحيث يذوق آثارها وبحيث يستطيع ان يأخذ شيئاً على شاعر كبير كأبي تمام  
ثم انه كان من دواعي البيئته ان نشأ علم النحو ونضج في العراق . وهذا لانه كان ملتقى الشعوب الاسلامية المختلفة حيث عاش الاعاجم بين العرب وتعلموا لغتهم ودرسوا الاسلام . وحسبك سيبويه ( حول ١٨٨ هـ ) وتلميذه الاخفش ( ٢١٥ هـ ) ثم الكسائي ( حول ١٨٣ هـ ) وتلميذه المبرد والقراء ( ٢٠٧ هـ ) حسبك سكان العراق هؤلاء لتقول به موطناً للنحو ولتقول ان النحو بلغ الغاية في اواخر القرن الثاني الهجري واوائل القرن الثالث<sup>(٢)</sup>

وانت قد تعجب اذا قلت لك ان الكندي الفيلسوف كان يتصل بالنحو والنحويين ولكن هذا هو الواقع فالجرجاني يروي عن ابن الانباري انه قال « ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له : اني لأجد في كلام العرب حشواً . فقال له ابو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم . ثم يقولون : إن عبد الله قائم . ثم يقولون ان عبد الله قائم . فالالفاظ متكررة والمعنى واحد » ويروي الجرجاني رد أبي العباس على هذا :<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

والآن ، وقد عرضت عليك صلة الكندي بعصره مجملة ، فهل لا ترى أحدها صورة واضحة للآخر ؟ لقد رأيت — إذن فقل : انه كذلك

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٥٢

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧٤ — ٧٦ وفيه الاسلام ج ١ ص ٢٢٠

(٣) دلائل الإعجاز ص ٢٢٦



# الشباب والإشباب<sup>(١)</sup>

والتعمير<sup>(٢)</sup> والشيخوخة

للككتور شوكت موفق الشطي

الاستاذ بمعهد الطب العربي في دمشق

يبصر الوليد النور ويستهل<sup>(٣)</sup> فتقام الافراح في دار أبويه ويهش ساكنوه وتكثر التهاني والزيارات فرحاً بقدمه ترضعه أمه لبنها فتعطيه بذلك أعز ما لديها وهو دمه راضية هاشة ثم يدب<sup>(٤)</sup> وينفر<sup>(٥)</sup> وهو ما زال طفلاً ساذجاً لا يميز بين الجمر والتمر يأخذ بعد ذلك بالنمو والترعرع فيشتد ويسير مرحاً ثم يصير يافعاً فراهقاً حتى اذا ما اجتمعت قوته واحتلم عاد حزوراً فاذا صار ذا فتاة فهو فتى وشارخ ثم يصبح شاباً في شرخ الشباب وذلك في عشرين سنة ثم تستقر حالته وتكاد تكون ثابتة مدة عشرين سنة اخرى لولا ان بعض الوهن يعتريها

والانسان في هذا الدور قوي الجسم ، صحيح البنية ، نشيط ثم يأخذ بالتدني ويزداد ذاك شيئاً فشيئاً فبهن نشاط عضلاته وتعود مشيته بطيئة وتنحني قامته ويحدودب ظهره ونحور قواه ويبطئ عمله اجهزته وتصبح اعضاؤه كسلى وينزع الكس من عظامه فتسقط اسنانه ويشتعل الشيب في رأسه ويتناثر شعره ويحف جلده ويتحسف ، لا يقوى على النهوض هذا ان لم يك مقعداً ، لا يستطيع ان يمسك ريقه لانه ماج يسيل لعابه كبراً وهرماً اذا جاع ، لا تقوى يداه المرتعشتان على اصال الطعام او الشراب الى فمه بسهولة بل ينصب ما في المعلقة او الآنية على لحيته وثوبه ، يضعف حسه وشعوره ويخجل عقله . صورة تهلم لها قلوب من داسوا عتبة العقد السابع من العمر وترتعد لها فرائص من استوفوا السبعين لانها تمثل الانسان بأجلى مظاهر الضعف واهن الجسد والعقل مستقفاً<sup>(٦)</sup> في زاوية الغرفة معزلاً العالم وحيداً حزيناً

فلو تبصرنا في حالة الانسان في اول عمره ومنتهاه لرأينا انه بدأ حياته مقعداً لا يستطيع الحركة وانتهى عمره وهو كذلك غير ان بعد سكونه في الصغر دباً وحركة ومشياً ، وبعد قعوده<sup>(٧)</sup> في

(١) تأويل rajennissement من أشب يشب لم يرد ذكر هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة على ان الحريري صاحب القامات قد ذكرها في المقامة البكرية فقال « والضجيع الذي يشب ولا يشيب » اي يجمعك شاباً ولا يشيبك (٢) من عمره الله اي ابقاء زمناً طويلاً وقد جاء في القرآن الكريم — « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب » .. (٣) الاستهلال اول بكاء الصبي وفي الحديث « الصبي اذا ولد لم يورث ولم يرث حتى يستهل صارحاً » (٤) اللب او مشي الطفل (٥) أنغر الصبي نبتت اسنانه (٦) استقف الشيخ اذا ضمير وانحنى وانضم ومنه قيل كبر حتى كأنه فقة (٧) القعاد : الداء الذي يقعد وأقعد الرجل لم يقدر على النهوض



الكبر رمساً ولحداً ، ترافق السذاجة والبساطة كل عمل يأتي به وهو طفل وتصحب السماجة سكناته وحركانه وهو شيخ ، لا يميز في صغره الضار من النافع ولكنه مع ذلك وديع لطيف يُنظرُ بعين الرضى الى كل ما يبدو منه ، ولا يفرق في كبره بين الغث والسمين الا ان عين الغضب تظهر مساويه ، يخدم في طفولته بخنو وأمل ويقوم افراد العيلة في قعاده بواجبها نحوه وكثيراً ما يشوب ذلك الضجر والملل فالامل معقود عليه في صغره وليس الامر كذلك في كبره وقد نعت هذا السن بأنها اردل العمر وقد جاء في القرآن الكريم : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مُخْلَقَةٍ وغير مخلقة لنُبَيِّنَ لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى اردل العُمُر لكي لا يَعْلَمَ من بعد علم شيئاً <sup>(١)</sup> »

ان هذه النتيجة المؤلمة التي يؤول اليها حال الانسان وهذه الحالة المحزنة التي يبلغها جعلت له ذكرى الصبا سلوة وسيرة الشباب عزاء وعوده حلاً ولذلك اكثر شعراء العرب من وصف الشباب فيكوه وأوجسوا خيفة من الشيب فهجوه واليك بعض اقوالهم قال أبو تمام :

غدا الشيب مُخْتَضِطاً بفودي خبطة      سبيل الردى منها الى النفس مهين  
هو الزور يُجَنِّفِي والمعاشر يُجْتَنَوِي      وذو الالف يُقَالِي والجديد يُرْقِعُ  
له منظر في العين أبيض ناصع      ولكنه في القلب اسود استقع  
وقال محمود الوراق :

بَكَيْتُ لقرب الاجل      وبُعِدَ فوات الأمل  
وافق لشيب طراً      بعقب شباب رحل  
شباب كأن لم تكن      وشيب كأن لم يزل  
طوى صاحب صاحباً      كذلك اختلاف الدول

وكان ينشد ابو العتاهية شعره الآتي ودموعه تسيل على خديه

لهني على ورق الشباب      وغصونه الخضر الرطاب  
ذهب الشباب وبان عني م      غير مُسْتَنْظَر الاياب  
فلا بكين على الشبابة      ب وطيب أيام التصابي  
فلا بكين من البلى      ولا بكين من الخضاب  
إني لأمل ان أخلّد م      والمنية في طلاي

ومن ابلغ الاقوال في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب قول ابي حازم الباهلي :  
لا تكذبن في الدنيا بأجمعها      من الشباب بيوم واحد بدل



شَرَحَ الشباب لقد ابقيت لي اسفاً ما جدَّ ذكرك الاَّ جدَّ لي شكلاً  
وأحسن منه على رأي اللغوي الاديب الامام ابي هلال العسكري قول منصور النري  
مانقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شباباً ليس يرتجع  
بان الشباب ففاتتني بشرته (١) صروف دهر وأيام لنا خدع  
ما كنت اوفي شبابي كمنه غيرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع  
وقد سئل ابو العتاهية اي شعر قلته اجود واعجب اليك قال قولي :

ان الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب  
وفي قول أبي العتاهية « روائح الجنة في الشباب » على رأي الجاحظ معنى لمعنى الطرب الذي  
لا يقدر على معرفته الا القلوب وتعجز عن ترجمته الا لاسنة الا بعد التطويل وادامة الفكر الجليل  
والفكر الجزيل وخير المعاني ما كان الى القلب اسرع من اللسان  
وبكى شاعرنا ابو العتاهية الشباب بقوله المشهور

عريت من الشباب وكان غصناً كما يعرى من الورق القصيب  
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب  
غير ان الحلم الذي تغنى به ابو العتاهية بقوله « ألا ليت الشباب يعود يوماً » صار حقيقة واصبح  
رد قوة الشباب ممكناً

جدَّ الانسان منذ خلق في اجتناب الموت ولكنه رأى استحالة الوصول الى مطلبه ونظر في  
حالته التي ينقلب اليها فالن الموت خيراً منها كما قال الشاعر زبَّان بن سيار الغزافي  
اذا المرء قاسى الدهر وايضاً رأسه وتلسم تنليم الاناء جوانبه  
فلموت خير من حياة خسيصة تُباعده طوراً وطوراً تقاربه  
يبحث لذلك في اسباب العتي وسعى الى تخاشيه بوسائل مختلفة كالتأمم والتعاويد والألكسيرات  
والمستحضرات والوصفات المتنوعة وقد اشتهر امر كل منها وراج مدة من الزمن وما لبثت تلك  
الوسائل ان عادت نسياً منسياً لأنها لم تحقق الغاية ولم تنل الأرب

لجأ الانسان في الأعصر السابقة الى طريقة ما زلنا نشاهد اثرها اليوم وقد اوصى بها الطبيب  
الشهير « سيدنهام » في مذكراته اذ قال ما من وسيلة توقظ العافية في مريض مضنك انجع من العناصر  
المساعدة من انقاس شاب قوي وسليم و اشار بتنويم الشبان الأصحاء في غرف المرضى  
ليس هذا الرأي من مبتكرات سيدنهام فقد قال به من قبل ابقراط وقد روي ايضاً ان الملك  
المقدس داوود لما أثر فيه العمر وبرد جسمه وضعف واعى امره لطس الاطباء تشاور خدمه فقرروا  
البحث عن فتاة عذراء تدفئ الملك فعثروا على الفتاة الجميلة ابيكايل فصرفت عنايتها لخدمته فاصطاح حاله

(١) شره الشباب : نشاطه في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وفي الاغانى (بلدته)



وقد شاعت هذه البدعة مدة من الزمن وهنالك من الأقوال الكثيرة ما يدل على ذبوعها حتى اليوم منها المثل الشامي «لا تقترن من عجوز فتمتص ماء الحياة منك ولا تزوج ابنتك شيخاً فيمتص مائتها» وروي عن أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله تعالى عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليجود الغذاء ويتمشى بعد العشاء ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ودخول الحمام على البطنة من شر الداء واكل القديد اليابس معين على الفناء ومجاعة العجوز تهدم اعمار الاحياء . و اشار المنيني الى الاستشفاء بروائح الفتيات في شعره فقال

وفتانة العين قتالة الهوى اذا نفحت شيخاً روائحها شبا

وضع كوهاوزن ( Cohausen ) سنة ١٧٤٢ كتيباً تناول فيه تأثير انقاس الفتيان والفتيات في تحسين صحة الشيوخ فعمت هذه البدعة ووجد بعض الشيوخ في هذه السنة الطريفة ضالهم الممشودة فاستنصروا بها . و يروي لنا التاريخ بعض من اشتهروا بطول البقاء وربما كان لهذه البدعة شأن في ايشابهم منهم حيان بن قيس وقد تزوج ثلاثة اهلين فتيات ولا شك كما يستدل من شعره

لبست اناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد اناس اناسا

ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستاسا

ويدل قوله الآتي على عمره وانه ما زال قوياً

ومن يك سائلاً عني فأني من الفتيان ايام الخُنان (١)

انت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

فقد ابقت خطوب الدهرمني كما ابقت من السيف الجاني

وقد بقيت اسنانه ترف (٢) حتى مات وفي النهاية وكان فاه البرد وذكر ابن قتيبة انه عمر مائتين وعشرين سنة ومات باصبهان وما ذلك بمنكر لانه قال لعمر رضي الله تعالى عنه انه افنى ثلاثة قرون وكل قرن ستون سنة فهذه مائة وثمانون سنة ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد

ويروي لنا التاريخ ان غوته قد عشق في سنته الثانية والثمانين ماريان يونغ التي كانت في العقد الثاني من عمرها وان طوماس بار دناه ملك الانكليز في سنته المائة والثانية والثلاثين وكان تزوج في السنة المائة والتاسعة عشرة وبتر البرخت الذي عاش مائة وثلاث وعشرين سنة تزوج في سنة الثمانين ورزق سبعة اولاد وجورج دوغلاس عاش مائة وعشرين سنة وسبعة اشهر وتزوج في الخامسة والثمانين ورزق ثمانية اولاد وولد ابنه الاخير اذ كان عمره مائة وثلاث سنوات وهيرانوس وقد عاش مائة وخمس عشرة سنة . ومن منا لم يسمع باسم زارو اغا التركي الذي مات حديثاً عن عمر يزيد على المائة والعشرين سنة وقد اقترن من ست فتيات وكان يلاكم وهو شيخ حفيد حفيده الشاب

(١) زمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء (٢) ترف اسنانه اي تهرق وتتلأله



ومن غريب الصدف ان مامن شيخ من ذكرنا اسماءهم الا وقد تأهل مراراً عديدة وكانت عرائسه فتيات  
ويزعم كوهاوزن ان الهواء يدخل رئة الفتاة فيتخرج فيها بعناصر نافعة فيزفره حاملاً خواص  
غريبة تهب الشيخ النشاط وان الشيخ اذا مكث في مكان حيث يحيط به عدد من الفتيان والفتيات  
استنشق هواء ممتلئاً فتوة منشطاً للشيخ

اننا لو بحثنا في هذه الوسيلة واستترنا بنور العلم الحاضر لوجدناها مستندة الى اساس اوهى من  
خيط العنكبوت لان الهواء الذي يزفره الانسان اشيحاً كان ام شاباً وعجوزاً ام فتاة يحمل عناصر  
ضارة لا نافعة . غير ان الكشف الحديثة تفاجئنا بين الفينة والفينة بكل ما هو غريب ولا يبعد  
ان ينبه منظر الفتوة والشباب غدد الشيخ الصم فيجعلها تفرز بعد ان نضب افرازها وقد ثبت ان  
للسل (هورمون) شأناً كبيراً في الشيخوخة . وهل لا يغزر سيلان اللعاب في فمنا اذا شمعنا رائحة  
طعم ذكي او نظرنا الى طعام شهى ؟ على ان من الوسائل المتخذة اليوم في تجديد الشباب ما يتناسب  
والطريقة المذكورة . وقد قلنا في مقال سابق نشر في هذه المجلة الغراء <sup>(١)</sup> ان العلم كالتاريخ يعيد في  
بعض الاحيان نفسه مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور

ويزعم دعاة هذه الطرائق الحديثة ان حقن الشيوخ بمخلصة الاجنة ودماء الفتيان خير وسيلة  
لمكافحة العجز الشيخي . وتستند الفكرتان القديمة والحديثة الى اساس واحد وهو الاستشفاء بالفتوة  
خيل الى كوهاوزن وقد وضع كتابه قبل عهد لا فوزيه ان الهواء عنصر مركب كالدّم يفسد اذا  
خالطته مواد ضارة ويصلح اذا امتزج بعناصر نافعة ومن العناصر النافعة فيه انفس الفتيان والفتيات  
ولا يخفى ان مستنبطي الطرائق يثبتون دعواهم بالاختبار والملاحظات ولم يقصر كوهاوزن  
عنهم في ذلك فقد ابان ان معلمي الولدان اطول عمراً من غيرهم لانهم يتنفسون هواءً مشبعاً بريح  
الفتوة والصبا . وقد عرف كوهاوزن نساء بلغن من الكبر عتياً عدن نشيطات اقوياء اثر اقترانهن  
من ازواج في شرح الشباب وميعة الصبا وشاهد دوالف <sup>(٢)</sup> اشبهوا اثر اقترانهن بفتيات منهم  
(ليتيسوس) وقد تزوج وهو ابن ثمانين سنة بفتاة لها من العمر خمسة وعشرون ربيعاً فرض في  
بلدى الامر ثم عاد قوياً نشيطاً لذلك اقترح بعض المختبرين حينها ان يُستخرج من انفس الفتيان  
والفتيات الكسير للحياة وذلك بأن يتنفس عدد كبير منهم في غرفة محكمة فيها ثقب متصل بواء  
فيه ماء فتتصاعد العناصر النافعة من الانفاس فتجري في الثقب وتنحل في الماء وقد سموا هذا الماء  
المخرج بريح الصبا وانفس الفتيان ماء الحياة فباعوه بأثمان باهظة

قل بهذه الآراء في عهد غابر لم تكن العلوم فيه متقدمة هذا التقدم المدهش الذي نرى اثره  
اليوم اما الآن فقد اعدت الدول مختبرات للعلماء يشغل فيها عدد كبير من الباحثين وقد اخذ

(١) المقتطف عدد فبراير ١٩٣٤ صفحة ١٤٩ (٢) جمع دالف والدالف الشيخ البطيء المشية لثقله



هؤلاء بالبحث عن الشيخوخة تلك القضية المعقدة التي لم تنل قسطها من البحث والتي ما زالت غامضة لم يعرف كنهها ولم يسبر غورها تماماً مع ان الرغبة في الخلود والخشية من الموت رافقتا الانسان منذ الأزل واذا سُم الشيخ الحياة فليس ذلك طلباً للموت ولكن ضجراً من الضعف كما يقول شاعرنا الكبير المتنبي واذا الشيخ قال أفرفاً مـل حياة وانما الضعف ملاآلة العيش صحة وشباب فاذا ولياً عن المرء ولي

يسأل العلماء عن الاسباب الداعية الى اختلاف عمر المخلوقات فيها ما كانت حياته قصيرة لا يزيد عن سنة كبعض انواع النبات ومنها ما يعيش زمناً طويلاً كالأرز الخالد ومن الحيوان ما يعمر ساعات محدودة ومنه ما يبقى حياً ثلاثة عصور . وما هذه الأسباب الا أسرار استصعب العلماء البحث فيها لكشف القناع عنها على اختلافهم فاجتنب الحيويون التنقيب عنها زاعمين ان الشيخوخة حادثة خلقية وتركوا التقصي فيها للأطباء ولم يفحص عنها المختبرون من الأطباء لأنها حالة ليست مرضية وشغلهم معالجة المرض ولم يعرفها الفسيولوجيون ما تستحقه من الاهتمام لأنهم يرون أنها حالة طبيعية والتنقيب عنها معقد وامعن الفلاسفة فيها فكتبوا عنها ما سوت لهم انفسهم ولم تك إجماعهم مثمرة فقد اعتادوا الاكتفاء باعطاء الرأي في الغالب ، على ان هذه القضية العويصة لا تحل بنظرية فلسفية وفرضية خيالية ولا بد من الاختبار وليس ذلك رأيهم

ينسب علماء هذا العصر الشيخوخة الى اسباب عدة فيقول مشنيكوف انها انسام بانقراض الاخباران المعوية الذاتية وان للبلعرات الكبيرة نصيباً كبيراً في تكوين نسيج ضام يسيطر على الاعضاء فيشيخها ولا تنطبق هذه الفرضية على جميع المخلوقات لأن كثيراً منها محروم من الجهاز الهضمي والبلعرات مع انها تشيخ وتموت . ولو نقبنا عن هذا الرأي في كتب اطباء العرب لرأينا له أثراً اذ يقول ابن سينا في قانونه حين البحث عن اسباب الشيخوخة وضرورة الموت : « اما الاسباب الخارجة فمثل الهواء الملح والمعفن وأما الاسباب الباطنة فمثل الحرارة الغريزية التي فينا المحللة لطوباتنا والحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا وغيرها المتعفنة وهذه الاسباب كلها متعاونة على تجفيفنا » ثم يقول « وكلما اخذ التجفيف في الزيادة أخذت الحرارة في النقصان ففرض دائماً عجز مستمر الى الامعان وعجز عن استبدال الرطوبة » الى ان يقول فيزداد التجفيف من وجهين احدهما لتناقص لحوق المادة والآخر لتناقص الرطوبة في نفسها بتحليل الحرارة فيزداد ضعف الحرارة لاستيلاء اليبوسة على جواهر الاعضاء ونقصان الرطوبة الغريزية التي هي كالمادة وكالدهن للسراج لان السراج له رطوبتان ماء ودهن يقوم بأحدهما وينطفئ بالآخر كذلك الحرارة الغريزية تقوم بالرطوبة الغريزية وتحتقن بالغريبة وازدياد الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم والتي هي كالرطوبة المائية للسراج فاذا تم الجفاف طفت الحرارة وكان الموت الطبيعي »

يستنتج مما سبق ان ابن سينا يعتقد ان للحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا وضعف



الهضم تأثيراً كبيراً في الشيخوخة والموت الطبيعي ويرى ان خير وسيلة لمكافحة الشيخوخة هي منع العفونة وحماية الرطوبة الطبيعية واجتناب الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم فينسب مشنيكوف الشيخوخة الى الانسجام الذاتي وضعف انبوب الهضم ويعزو ابن سينا ايضاً الموت والشيخوخة الى العفونة والمواد الغريبة الناتجة عن ضعف الهضم وهي ليست الا الاختبارات المعوية التي بحث عنها مشنيكوف

ويرى فورنوف ان الشيخوخة تنشأ من اختلال التوازن بين الخلايا الضامة والخلايا النبيلة فتى اشتعلت هذه الفوضى في الجسد سار الانسان الى الموت لأن الخلايا الضامة تكون وسادة تضطجع عليها الخلايا الجوهرية او تضم بعضها الى بعض وتغذيها فلا ضرر منها البتة بل هي نافعة نفعاً كبيراً مازالت لا تتجاوز الحد الذي وضعت لها الطبيعة وهي شديدة الضرر متى تجاوزت حدها وطغت خفقت الخلايا النبيلة لأنها لا تستطيع القيام بما تقوم به تلك . وقاما تبدو هذه الفوضى في الحداثة لأنها مظهر من مظاهر الشيخوخة بل هي الشيخوخة نفسها . ويزعم غيره ان تعب الخلايا ونفاد فواها الحيوية الكامنة وعدم توالدها او بطوؤه من الأسباب الداعية الى الشيخوخة

ويعتقد الأزليون ومنهم اهل الكتاب ان الحياة والموت والشباب والشيخوخة حادثات كتبت منذ الأزل وان حفظ النوع يقضي بزوال الشيوخ ليحل محلهم الشباب

ويدعي بعضهم ومنهم لوميار وماراغليانو ان الشيخوخة والموت وغيرها من مظاهر الحياة حادثات لها صلة كبيرة بالقانون العام الذي يرأس الحالات الغرائية . والواقع ان التبدل الشيخوخي ولا سيما في الإنسان والحيوانات العليا ينتج من عوامل عديدة يمكن جمعها في زمرتين ١ - العوامل الباطنية : وهي عوامل ذات صلة بالأهم<sup>(١)</sup> تنظم الحد الأعظم من عمر كل منها فتجعل حياة بعض انواع النبات قصيرة لا تزيد عن فصل واحد وحياة بعضها مديدة كأنها خالدة ولم يتوصل العلم حتى الآن الى وسيلة تبديل مدة هذا الدور الحيوي الخاص بكل امة

٢ - العوامل الخارجية : وهي كثيرة ومختلفة تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها الانسان وباختلاف عمله وطوره قد تقصر عمره وتقوده الى الشيخوخة المبكرة وقد تعينه على بلوغ اعلى درجات التعمير . ويمكن تنظيمها باتباع القواعد الصحية وبجعل البيئة التي يعيش المرء فيها صالحة واخيراً حذار ايها الشيخ القارئ لمقاتلي ان تغتر بما مرّ فتلجأ الى طريقة الاستشفاء بالقوة ولا تحذرك فيها سهولتها واستحسانك لها وتذكر المثل الطبي القائل « الغادة الشابة والطعام النفيس معولان يحفران قبر الشيخ »

(١) جمع امة تأويل espèces بدلا من انواع والامة جنس كل حيوان وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد هذا المعنى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » سورة الانعام آية ٣٨



# مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعريبها

لمحمد مظهر سعيد

الاستاذ بمعهد التربية وكلية اصول الدين

## النزعات الموروثة

يطلق المصطلح الانجليزي Innate Tendencies على جميع نزعات الانسان وقواه التي تنتقل اليه من النوع الانساني عامة بطريق الوراثة فتدفعه الى القيام بأعمال معينة — تختلف ثبوتاً ومرونة بحسب مرتبة النزعة الخاصة من سلم التطور الانساني — من دون سابق خبرة او ارشاد او تعليم. وهي تتدرج من الجمود التام والثبوت على حال واحدة لا تتبدل ولا تتغير كحركة انقباض الجفن فجأة عند تحريك شيء ما بسرعة نحو العين، الى القابلية للتغيير والتبديل والتهديب نوعاً ما بالخبرة والذكاء. كغرائز الهرب من الخطر وقتال العدو، وأخيراً الى اكبر قسط من المرونة والتعديل كاللعب والتقليد. وكان علماء النفس في اوربا وامريكا الى عهد قريب جداً يخلطون بين انواع هذه النزعات خطأ لا حد له ويذهب كل منهم في تفسيرها وتسميتها ما شاء ان يذهب

أما الآن بعد ان دالت دولة التداعيين Associationists والمسلكيين Behaviourists والآليين Mechanistics وانتصرت مدرسة وليم ماكدويل الهورمية Hormic او الغائية Purposive فقد تحددت المعاني وانتظم التقسيم وصارت النزعات الموروثة تنقسم الى ثلاث طوائف رئيسية — اولها وأبسطها ركيباً طائفة الأفعال المنعكسة (او المعكوسة) Reflex actions وتتضمن الردود او التلميحات او الاستجابات reactions التي يقوم بها عضو واحد من اعضاء البدن لا البدن كله بطريقة آلية ثابتة لا تتغير في جوهرها مع الزمن والخبرة كلها وجد مؤثر طبيعي خاص، وقد يشعر بها الانسان شعوراً واضحاً او غامضاً او لا يشعر بها على الاطلاق وقت حدوثها. ولكن لا يصحبها انفعال او لون وجداني خاص بها ولا تخضع لارادة الانسان ولا لتفكيره ومنها تغير اتساع حدقة العين عند التعرض للنور والظلام، والعطش عند وجود جسم غريب يلامس غشاء الانف، وانغاض الجفن عند وجود شيء يفاجئ العين. وكل ما يحصل فيها من التعديل هو مجرد ارتباط الفعل المنعكس بمؤثر آخر غير المؤثر الطبيعي يكون قد صحبه عدة مرات كسيلان لعاب الكلب عند سماعه



رنين الجرس اذا تكرّر قرع هذا الجرس كلما وجد الطعام امام الكلب . أما الفعل ذاته او التلبية  
للمؤثر فلا تتغير في الحالتين وتسمى في هذه الحالة افعال منعكسة معدلة او محوّلة او شرطية  
Conditioned

والطائفة الثانية هي طائفة الغرائز Instincts وقد عرفها ماكدوجل « بالنزعة البدنية النفسية  
(او السيكولوجية الفيزيكية Psycho-physical ) الموروثة التي تدفع الكائن الحي الى ادراك موقف  
او مؤثر طبيعي معين ( او مجرد الشعور بوجوده والانتباه له ) . والشعور بانفعال نفسي خاص على  
أثر هذا الادراك . ثم النزوع او التصرف تصرفاً خاصاً للوصول الى غرض خاص او على الأقل  
الشعور بوجود دافع نفسي لهذا التصرف ولو لم يتم . وهذه النزعات يتعين ان تكون عامة مشتركة  
بين الانسان والحيوان وان اختلفت مظاهرها وألوانها . فلا بد اذن من توافر هذه الشروط الاربعة  
في كل استعداد او نزعة موروثة حتى يصح اعتبارها غريزة . وعلى هذا الاعتبار صارت الغرائز  
الاساسية هي مجموعة غرائز حفظ الذات كالبحث عن الطعام بصرف النظر عن طرق هذا البحث ،  
والمسكن والوقاية وغيرها من الغرائز الفردية كالهرب من المخاطر والمقاتلة والنفور والجمع والغرائز  
الاجتماعية كالتسلط والخنوع والاستطلاع والتجمع وغيرها لان كلاً من هذه الغرائز له مؤثرات  
طبيعية محدودة وتحدث في النفس انفعالات محدودة واضحة كالخوف والغضب والحنو وغيرها . وهي  
كذلك تدفع الانسان الى القيام بأعمال خاصة توصله الى غرض خاص محدود يختلف في كل غريزة عن  
الآخرى وفوق هذا كله فهي عامة عند الانسان والحيوان ومهما تبدلت المؤثرات الطبيعية بغيرها  
مما يتصل بها او يماثلها او يحل محلها ومهما تعدلت أساليب التصرف وتغيرت مظاهر السلوك بالخبرة  
والذكاء والبيئة فلا تفعال باق على ما هو عليه لا يتغير . ولا يتبدل والغرض الطبيعي الذي ترمي  
الغريزة الى تحقيقه عن طريق النزوع كذلك موجود في جوهره وان اختلف وارتقى وسما في مظهره  
والطائفة الثالثة — تناول النزعات الموروثة الراقية غير المحدودة المتنوعة الجوانب التي  
لا يميزها مؤثر خاص بعينه ولا ترمي الى غرض خاص بعينه . وأظهر ما فيها انه لا يصحب كلاً منها  
انفعال خاص يميزها عن غيرها كما هي الحال في الغرائز وان شعر معها الانسان بالارتياح عند تمام  
النزوع واشباعه او التماق والالم عند تعطيله والوقوف في سبيله او ثارت في نفسه عدة انفعالات .  
ولذلك تسمى بالنزعات الموروثة العامة او غير النوعية General or Non - specific Tendencies  
ومن اهمها الاستهواء Suggestion ومشاركة الغير في حالته الوجدانية Sympathy والتقليد Imitation  
والتعويض Compensation واللعب . وسنتحدث عن كل من هذه النزعات في شيء من التفصيل فيما بعد

\*\*\*

هذا في المصطلحات الافرنجية اما في المؤلفات العربية فلا يزال الكتاب والمؤلفون يخلطون



بين هذه الطوائف الثلاث فضلاً عن الخلاف في تسمية النزعة الواحدة مع تحديد مداها واغراضها فتجد المرحوم الشيخ شريف يقول (ص ٤٢) بواعث غريزية صرفة يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور ولا يتأثر منه بالكلية . ويقصد هنا منع وجود الانفعال . وفي (ص ٤٣) حركات غريزية غير مشعور بالغرض منها البتة او الشعور به خفي جداً كحركات الاجفان (وهذا فعل منعكس) واطلق على الغرائز في بعض المواضع بالقوة الطبيعية (ص ٣٤) الغرائز وغيرها مما ليست نفسية محضة ولا فكرية صرفة تدخل تحت القوة الطبيعية

\*\*\*

ولا يزال الكثير من الكتاب والمؤلفين يخلطون بين انواع النزعات الموروثة فيسمون الارتضاع (مص الثدي) غريزة وهو فعل منعكس معقد واللعب والتقليد غرائز ناهجين نهج القدماء من علماء النفس امثال باين وسللي وهي نزعات عامة غير نوعية كما بينا سابقاً وبعضهم يعتبر الحب والكراهية غرائز وهي عواطف

فتجد الاستاذ حامد عبد القادر في صفحة ٧٥ (في علم النفس الجزء الاول) يتكلم عن غرائز بناء الاعشاش او البيوت والغناء عند الطيور والدكتور علي عبد الواحد في مقاله عن الغرائز (العدد الاول من صحيفة دار العلوم) يذكر غريزة الجراحة عند بعض الطيور وغيرها من الاسماء الغريبة الذي تذكرنا بنزعة التقسيم والتبويب المتطرفة التي استولت على العلماء في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر فجعلتهم يعتبرون كل مظهر من مظاهر السلوك الانساني غريزة كاملة مستقلة بذاتها ويعطونها اسماً خاصاً حتى بلغ عدد اسماء الغرائز التي وردت في مؤلفاتهم مائتين وخمسين وضع منها ثورن دايك وحده اربعين . ولقد اراحنا مكدوجل من هذا الهوس فأصبحنا نعتبر هذه الغرائز الخاصة بجنس واحد من اجناس الكائنات الحية مظاهر والوان لغريزة واحدة عامة عند الانسان والحيوان فالهرب مثلاً هو اسم الغريزة او النزعة العامة عند الكائنات الحية اما التلون عند الحرياء والتماوت عند بعض الزحافات الصحراوية فالوان خاصة لغريزة الهرب وليست هي غرائز مستقلة تعطى لها اسماء خاصة بها

واعبر الاستاذ حامد في صفحة ٧٦ التعبير عما في النفس وحب الجمال وكذلك حب الثناء (ص ٨٥) غرائز ولا نعرف واحداً من علماء النفس المحدثين المعبرين قال بهذا وقال بأن التأثير للحالة الوجدانية للغير غريزة وهو نزعة عامة . ونسب الاستاذ الابراشي في الفصل الذي كتبه عن النزعات العامة في نفس الكتاب (ص ٨٩) الى العلامة ماكدوجل انه يعتبر نزعة التدين والمنافسة والتعبير عن النفس نزعات عامة تتمم مع الاستهواء والمشاركة الوجدانية واللعب والتعويض مجموعة النزعات العامة غير النوعية وهو لم يقل بغير الاربعة السابقة



اما الاستاذ قنديل فقد جمع في صفحة ١٦١ في الجزء الاول من كتابه اصول علم النفس عدة تعاريف متضاربة متناقضة للغرائز في نظر مدارس علم النفس المختلفة وعطفا جميعاً عطفاً يجعل القارئ يعتقد ان هذه التعاريف كلها مترادفة ومقبولة . ثم تتبع تقسيم ماكدوجل للغرائز ولكنه ذكر معها غريزة الاستغاثة ونحن لم نسمع بها عن ماكدوجل او غيره من العلماء

### اسماء الغرائز الاساسية

- سنذكر الآن الترجمة التي نرتاح اليها لاسماء الغرائز الاساسية بحسب تقسيم ماكدوجل : —
- ١ - Flight : غريزة الهرب ( من الخطر او المخاطر او الاشياء الخطرة ) اما الخوف فهو اسم انفعالها
- ٢ - Fighting, Combative : غريزة المقاتلة او القتال وانفعالها الغضب - Pugnacity المشاكسة ( او حب الخصام : قنديل )
- ٣ - Repulsion النفور او النبذ وانفعالها الاشتمزاز او التقزز ( للامور المادية كالمذوقات العفنة والروائح الكريهة )
- ٤ - Self-assertion اثبات الذات والتسلط والسيطرة جميعها ترجمت مقبولة اما الظهور او حب الظهور او الرئاسة فلا نرتاح اليها لانها درجات او نواحي خاصة للغريزة
- ٥ - Self-abasement الخنوع لانها تعبر تماماً عن المصطلح الانجليزي وفيها معنى الشعور بضعة الشأن وتلبها في الافضلية كلمة الخضوع اما غريزة الانقياد فلا نرضاها لانها تدخلها في النزعات العامة وخصوصاً الاستهواء
- ٦ - Gregarious غريزة التجمع ولا نرضى البتة بكلمة الاجتماع ( قنديل ) لان كل انسان كما يقول ماكدوجل يميل بغريزته الى مجرد التجمع والوجود مع بني جنسه او على مقربة منهم ولو لم يربطه بهم رابطة او مصلحة او حتى لغة للتفاهم اي انه Sociable ولكنه لا يتعين بالضرورة ان يكون عضواً في جماعة منتظمة لها مصالح او اغراض معينة society حتى يكون Social فالغريزة اذن تدفع الى مجرد التجمع لا الى الاجتماع الذي هو ارقى مراتب التجمع وأرفعها . خصوصاً وان هذه الغريزة موجودة ايضاً عند الحيوان وهو ليس اجتماعياً وان كان يتجمع مع غيره
- ٧ - Curiosity الاطلاع او الاستطلاع — اما محبة الاستطلاع ( قنديل ص ٢١٠ ) وحب الاطلاع ( حامد ص ٨٥ ) وحب الاستطلاع ( عند غيرها ) وكذلك حب الاقتناء وحب الظهور الخ لا نرضاها مطلقاً لان كلمة حب ومحبة تنقلها من مرتبة الغرائز طفرة واحدة الى مرتبة العواطف وشتان بين مجرد النزعة او الغريزة وبين الحب والمحبة



# عبقرية محيطة

ليوناردو دافنشي

لاديب عباسي

عصور الانتقال الحاسمة هي احفل عصور التاريخ بالمتناقضات وأملاها بالاضداد . في مثل هذه العصور يقترن الكفر العنيد بالايان الوطيد ، ويجاور الاخلاص للعلم الدجل والتغريب ، ويوطن التعصب القديم والخرج في التفكير الحرية المطلقة في النظر والتقدير . وعصر النهضة الذي يقع حوالي سنة ١٥٤٦ من ابرز العصور في هذه الخصائص وأقواها تمثيلاً عليها . ففيه ابيحت حرية التفكير وفيه استبيحت هذه الحرية . كان فيه العلم الراجح وكان فيه الجهل القاضح . ساد فيه الاتحاد الجريء ، وساد فيه ايمان العجائز . كان فيه حمق الجمهور وجوده ، وكان فيه تساهل العلم وسعة المعرفة . وغالى فيه قوم في تمجيد القديم والجود عليه والافاضة بذكره واغرق قوم آخرون في تحدي القدماء وقديمهم والزراية عليهم وعلى ارثهم الذي ورثوا . كان فيه الحب العذري والهوى الافلاطوني ، وكان فيه الحب الدنس والهوى الاثيم يتمتلان في قصص بوكاشيو وما يروى عن آل بورجيا من حب الاب لابنته والاخ لاخته

وتعليل ذلك - في رأينا - هو ان هذه العصور تجمي زاخرة مفعمة ، وتحمل غالباً حلولاً متعاقبة دون تمهيد طويل او سبق انذار ، فتحدث ما لا بد ان تحدث من ارتجاج في العقائد واضطراب في الاخلاق واحتراب بين الافكار في الفئة اللينة المطاوعة ، وتحدث ما لا بد ان تحدث من صلف وعناد بين الفئة الجامدة المحافظة التي تزيد محافظة وجوداً كلما ازدادت موجة التجديد في الارزخار وامعن تيارها في الهجوم . وتظل هذه الفئة على موقفها من الجود ريثما تعمل الملوحة عملها ويقعل التيار فعله من زعزعة لاركان وتقويض لبنيان في عقائد هذه الفئة واخلافا لليوناردو الذي ترجم له في هذه الصفحات يمثل لنا في شخصه معظم نواحي العصر الانبيجي البالغ تمثيل . ولا يمثلها بالوقوف منها موقف المرأة من المرنبات تنعكس عنه صور النهضة واشكالها وتترسم فيه دون ان يكون له اثر في ازجائها وازخار تيارها . انما هو يمثلها في انه كان رائداً من روادها الاولين وعاملاً من اقوى العاملين على تقويض صرح القديم واقامة الجديد على انقاضه فوباً ثابت الاساس . وهذا لم يكن بالكثير على ليوناردو ، وهو في ذلك العقل الجبار والعبقرية النادرة والاكمال الذهني المحيط . ولعل التاريخ لا يحفظ لنا اسماً كاسم ليوناردو من حيث الاحاطة



والشمول مع العمق في التفكير والاجادة في نواحي العلم والفن الى حدود العبقريّة والاعجاز . يذكر لنا التاريخ اسمين غير اسم ليوناردو — ارسطو وغوته . ولكن يقيننا انه لا ارسطو ولا غوته بلغا مبلغ ليوناردو عمقاً واحاطة في ناحيتي العلم والفن . فالاول كانت اجادته في ناحيتي العلم والفلسفة والثاني ركزت عبقريته في ناحية الفن ، وان كان له نظر صائب في بعض مسائل العلم . وهذا يفسر الى حدّ لماذا ظل اسم ليوناردو عصوراً ادلّ على الاستحالة منه على الامكان وألحق بالخرافة منه بالواقع . ويفسر لنا ايضاً لماذا احييت شخصية ليوناردو بالشكوك والظنون رغم نصوص هذه الشخصية ووضوحها . فقد اتهم بالسحر ، وهو عدو السحر الاكبر . ورُمي بالكفر ، وكانت آخر كلماته على فراش الموت في ذكر الله والفرع اليه . وروّج عنه انه يسمّ الاشجار ويدس باثمارها الى الناس ليرى هل انتقل فعل السم الى الثمر ، وهو الذي تدركه الرأفة بالطائر الحبيس ، فيبتاعه ليطاق جناحه ويهبه الحرية العالية

وليس في هذه الخصومة بين الجمهور وليوناردو خروج على القاعدة العامة التي يجري عليها التاريخ في معاملة الممتازين والعباقرة . فالعبري دائماً منار للارتياب وهدف للوقية وغرض يرمى لمخافة الجمهور وانانيته . يشعر هذا الجمهور بالخطّة والصغار وضالّة القدر اذ يقيسون اقدارهم الى قدره فيحاولون ان يترلوه الى مستواهم الذي يضطربون فيه . ذلك لانهم لا يستطيعون الدنو من مستواه ليساوه ويشعروا معه بشيء من وحدة الحال والتقارب ويخفّقون غالباً في محاولاتهم هذه فيلفنون في ضبابية من الرّيب وبجملونته بغمامة من الشكوك . ولم لا يحقد الجمهور على ليوناردو وهو القائل فيه وفي متعلميه :

« ديدان كذب وعياد لارسطو ( لاحظ هذا ! ) ، غريبان في اثواب طواويس واصدءاء تردد ما يقوله الغير ، يقتلون لانفسهم زينة ليست لهم ، ثم لا يريدون ان يتركوا الى جنى يدي التي جنبت . ان بين مستوحى الطبيعة ومقلدي القدماء فرق ما بين الجسم وصورته في المرآة . التي لا استطيع ان استشهد ، ولا احب ان استشهد بأقوال القدماء ، انما استشهد بما هو اصدق من الكتب والاقوال — استشهد بالاختيار والتجربة : « الاستاذ لكل استاذ » <sup>(١)</sup>

اضف الى ما تقدّم من عوامل المباعدة بين ليوناردو وابناء عصره انه كان يقوم بتجارب واختبارات علمية كانت تظهره في نظر معاصريه بمظهر العايب الذي يقتل الوقت ويهدر الزمن في غير طائل . فقد روي انه كان ذات يوم يحرق تجربة كيمياوية في مختبره . وفيما هو مهتم في عمله شاهد الخادم نهول ويبيدها « دلو » من الماء تهم بسكبها على المنضدة . ولولا ان امتدّت يد ليوناردو لبرقة البرق الى الفتنة ، لكأنّت افسدت عليه وعلى العالم عمل سنين واغرقت كل ما تكدّس على المنضدة من رسوم والشكال وصور ومخطوطات لا تقوّم بمال ولا تقدر بثمن . ولما سألها ليوناردو

(١) القطع المصورة بين اقوال مترجمة عن كتاب « حياة ليوناردو » لرجيمسكي



فما همّت ان تصنع اجابت : رأيت كأنّ النار تلتهم المنضدة فبادرت اخذها بدلو من الماء . فضحك عندها ليوناردو وصرف الفتاة صرفاً جميلاً بعد ان ابان لها ان ما رأت لم يكن بنار ، وانه انما كان يلهو ، وان ما شاهدته وخالته ناراً لم يكن الا دخاناً متصاعداً لبعض المساحيق الخاصة وزاد في المباحدة ما بين ليوناردو ومعاصريه ايضاً ان كانت له صفات جسمانية مميزة اشتركت مع صفاته العقلية البارزة في افراده من بين هؤلاء المعاصرين أفراداً قوياً واضحاً . فقد روي انه كان لفرط قواه الجسدية يعمد الى نعل الفرس ويلويه كما تلوى قطعة من الرصاص . وبروي التاريخ مؤكداً انه كان يرسم ويصوّر بكتا يديه في اجادة متعادلة لليدين . ثم كان ليوناردو يكتب يسراه وبشكل لا يستطيع امرؤ معه قراءة خطه الاّ معكوساً في مرآة . وكان معاصروه يتخذون ذلك حجة يؤيدون بها ظنونهم في انعكاف ليوناردو على السحر والشعوذة اذ ما حاجته الى هذا الاسلوب من الكتابة لولا ان ثمّ اموراً يودّ ان يصعب على الجمهور اكتشافها ومعرفة كنهها

هذا ما كان ليوناردو في نظر معاصريه ، ولكن من كان ليوناردو في نظر الحقيقة ؟ ليوناردو في نظر الحقيقة والانصاف رائد العصر الحديث وبشير التجديد والابداع في العلم والفن . درس مظاهر الحياة من الحياة ذاتها وليس من بطون الكتب . وكان دقيق الحس قوي الملاحظة في هذه الدراسة يقيم الدليل على آرائه ونظرياته بالتجارب يقوم بها والاختبارات يجريها في مختبره الخاص بدل ان يعمد الى الخيال يستوحيه والقدماء يستلهمهم فيما يرى ويقدر . وهو في رأي بعض العلماء مؤسس علم الجيولوجيا الحديث ، فكان بمكنته ان يعيّن عمر المتحجرات من النظر الى عدد طبقاتها المتراكمة التي تدل كل طبقة منها على عدد من السنين . وبمثل هذا الاسلوب كان يقدر اعمار الاشجار ايضاً . فكان يحدّد جذع الشجرة جذّاً افقيّاً فيعرف من عدد حلقاته المتراكمة عمر هذه الشجرة وليوناردو نباتي من الطراز الاول . وقد كانت لديه مجموعة نباتية جيدة . ولعلّه كان اول من حاول ان يدرس فعل السموم في النباتات والاشجار . وهذا مصدر ما كان يشيعه الناس من انه كان يسمّم الناس بأثمار تغذّت بالسم وهي لا تزال على اشجارها . ودرس ليوناردو الجسم البشري دراسة العالم المحقق ، فشرح الاجسام ليعرف علاقة كل عضو بوظيفته وانتهى من هذا التشرّح الى حقائق خطيرة . فكان مما انتهى اليه ان تصلب الشرايين سبب من اسباب الشيخوخة والفناء وان درم وقاية خير من قنطار علاج . ومن هنا كانت قلة ثقته بالاطباء في عصره ، وقد قال ينصح صديقاً في مرضه : نصيحتي لك ان لا تفكر في كيف تنال الشفاء : انما النصيحك ان تبتعد عن الاطباء ، وتبتعد عنهم تنال الشفاء

وهذا الاتجاه العلمي المحض من ليوناردو صيّرهُ حرباً على المشعوذين واصحاب الدجل . ادعى احد هؤلاء انه يستطيع ان يحول المعادن الخسيسة ذهباً فاستدعاه امير المدينة وطلب اليه ان يجري تجاربه امامه . وقام الدجال بتجربته وخرجت فعلاً قطعة من الذهب اثارت رؤيتها دهشة الجميع واطاعهم



الأليوناردو الذي اخذ الدجال من يده وسار به ناحية وهمس في اذنه ان لا يُعيدّها والآ اضطرّ الى فضيحتّه . ولما كابر الدجال وابى الاعتراف بالتدجيل اضطرّ ليوناردو الى التفسير وابانله أن قطعة الذهب التي خرجت كانت موضوعة في تجويف في اسفل العصا التي كان يحرك بها السائل المصهور على النار ، واراها للجّمهور وانه حينما احترقت السدادة التي كانت تسدّ على قطعة الذهب سقطت هذه القطعة فتناولها على انها خرجت من السائل بعلمه وفنه . ولم يُسرّ الدجال عندها جواباً ووعد بان لا يُعيدّها

وليوناردو واضع قانون متوازي القوى المعروف والذاهب الى ان المادة في ابسط حالاتها ذات خصائص متشابهة لجميع العناصر . وهو اول من فكّر في الطيران على اسلوب علمي محض . وقد خُصّت مخطوطاته التي تبلغ ٥٠٠٠ ( خمسة آلاف ) صفحة فوجد قسم منها حافلاً برسوم لأجهزة معقدة أعدها ليوناردو ليحاول على أساسها الطيران . ولكن لم يكن برض ولا عن واحد من هذه الاجهزة والرسوم . وقد انشأ ليوناردو واحداً من هذه الاجهزة بشكل الخفّاش ، ولكنه لم يطمئن اليه وكان يشعر ان ثمة صعاباً علمية وقتية لم يتغلب عليها بعد . الاّ ان معاونه الملحاح أصرّ على تجريب الجهاز رغم معارضته الشديدة وتحذيره اياه من سوء العقبى . غير ان هذا معاون أصرّ الاّ تجريباً للجهاز . ولم يسع ليوناردو ازاء فضوله والحاحه الشديد الاّ اجابته الى طلبه . فاعتلى صاحبنا بالجهاز ربوة عالية وهوى مع الجهاز الى اسفل . وكان ما قدّر ليوناردو وسقط صاحبه سقطّة كادت تطير معها روحه . ولم يحاول ليوناردو بعدها ان يبني جهازاً آخر للطيران الاّ أن هذا لم يكن ليزحزحه عن اعتقاده الثابت بأن الانسان يستطيع ان يطير ، بل هو لا شك طائر يوماً من الايام نأى ذلك اليوم أم دنا ، وذلك حينما تكتمل معرفته بالطبيعيّات والرياضيات . وهو يقول متنبئاً ، وقد وقف على شاق يشاهد تخليق الطيور في إعجاب كالعبادة

« سوف توجد الجنحان . وليكن غيري موجدّها اذا لم استطعها أنا . لا فرق عندي في ذلك . سوف يطير الانسان ! ان الروح لا يكذب ولا يمين . ان اولئك المجنحين سوف يكونون صنو الآلهة . سوف يُقلع ذلك الطائر الأول العظيم . وليتمجد الى الأبد العش الذي يدرج منه ذلك الطائر ! » وليس ما أسلفنا ذكره من حقائق الاّ معبراً بعض التعبير عما حفلت به مخطوطات ليوناردو من علم صائب وابتكار صادق يضعه في مصاف رجالات العلم الحديث طريقة في البحث وجلداً في التتبع والتنقيب مما جعله أسبق لعصره بنحو اربعة قرون . وهذا ما حمل عالماً وفيلسوفاً رصيناً مثل هقلوك الس على القول — بعد ان درس مخطوطات ليوناردو — بأن ليوناردو مؤسس علم الهندسة الحديث وعلم الجيولوجيا والتشريح وأنه عاظم من أعلام البحث الصائب والعلم النافع

على أن شهرة ليوناردو المستفيضة وإسمه الدائع لم يكونا من ناحية العلم انما جاءا عن طريق فنه الخالد — الفن الذي رفعه الى أعلى عليين وأحله أسمى ذرى المجد ومراتب الخلود . ويكفي التحف من متاحف الفن شهرة واجتذاباً لحجاج الفن ان يضمّ لوحة من لوحات ليوناردو الخالدة .



أما صورة العشاء الرباني — أعظم أعمال ليوناردو الفنية — فهي في نظر أرباب الفن أعظم عمل فني لفنان قديم أو حديث . . . . . وليست شهرة ليوناردو منحصرة في الفن بالتصوير ، بل هو نحات في الطراز الأول من النحاتين وموسيقي بارع وكاتب مبدع في الفوج الأول من كتّاب النهضة . والذي يدهش حقاً أن يبلغ ليوناردو جد الاعجاز وانقطاع النظير من الابداع في نواحي الفن وبعض نواحي العلم ، ثم لا يتطرق الوهن الى عمل من أعماله الفنية . ولعل هذا أن ليوناردو، رغم توزيع ميوله وبسط جهوده . ظلّ يقبل على جميع أعماله الفنية والعلمية دقيقتها وجليلها اقبالاً يكاد يبلغ حد الذهول . فهو اذا ذهب احد الامسية الى الرواق الذي كان يجلس على جداره صورة العشاء الرباني نسي العالم ونسي وجوده ولم يبق امامه الا صورة العشاء الرباني . وهو اذا جرى في يوم آخر تجربة من تجاربه العديدة في النبات او الكيمياء كانت هذه التجربة كل ما يهيمه من شؤون هذا العالم . واذا انصرف الى صنع درع تلبسها اكاديمية المصورين ( الخيالية ؟ ) في ميلان نسي ان في العالم شيئاً له خطر وقيمة غير هذا العمل التافه . وهكذا كان ليوناردو يقبل على جميع أعماله اقبال العابد وينقطع اليها انقطاع العاشق . فكان هذا مضافاً الى عبقريته النادرة سبباً في خروج أكثر آثاره في هذه الرتبة من السمو والابداع . هذا الى أنه كان يقف من فنه وعلمه موقف المحاسبة الشديدة والنقد الصارم . فلم يكن يفتنه عمل من أعماله عن اجتلاء مواطن الضعف ونواحي النقص فيها ، فيعمل على ازالتها واستكمالها . ولعل هذا كان في اول الاسباب في بقاء كثير من أعمال ليوناردو الفنية والعلمية مبتورة ناقصة

ولم يكن ليوناردو يسير في فنه بحسب الالهام والوحي فقط شأن كثير من الفنانين ، بل كان فضلاً عن استيحاءه الالهام والعبقرية يسير على هدى من العلم والمعرفة ويرصد للجانب النظري من فنه شطراً ليس باليسير من وقته وجهوده ، ولهذا الغرض درس دراسة جيدة علم التشريح وعلم الالوان والظلال فجاءت صورته وتماثيله من اصدق الصور والتماثيل في تقريب الفن من الحياة . وقد كان يقول : « الالوان الواضحة تأسر الرعاع . ولكن الفنان الذي اخلص لفنه لا يخضع لنزوات الرعاع ، انما هو يجب ان يرضخ لنخبته المختارة الممتازة فقط . والذي يفخر به الفنان ويصبو اليه ليس الالوان البراقة اللامعة انما هو ان يكون من الضوء ما يشبه المعجزة . ان الضوء والظل يجمعان السطوح المستوية مستديرة . فالذي يحترق الظلال في التصوير يشبه الثرثار الذي يضحى بالمعنى في سبيل الكلمات الجوفاء الرنانة »

هذه صورة مصغرة لليوناردو العالم الفنان . وفي فصل آخر صورة اخرى لليوناردو الانسان

بعض المصادر التي رجعنا اليها في هذا الفصل :

1 — Men of Art : Thomas Craven

2 — Leonardo Da Vinci : Siren

3 — دائرة المعارف البريطانية

4 — Lives of the Painters : Vasari



## التعقيم واصلاح النسل

في ١٩ يونيو الماضي بعث مراسل « الصحافة المشتركة » البرليني يرقية الى نيويورك قال فيها ان محكمة التعقيم النازية بينت في تقريرها الاول الذي نشر في ذلك اليوم ان ٣٢٥ رجلا وامرأة من سكان برلين عملت لهم عمليات التعقيم بخدمة الاجيال المقبلة . من هؤلاء ١٤٣ تقدموا بطلب اختصارهم لعمل هذه العملية التي تحول دون اخلافهم نسلا ، ولكن من دون ان تترك اي اثر آخر في حياتهم الجنسية . وان معظم الذين عملت لهم هذه العملية كانوا من الرجال

في ٢ يناير سنة ١٩٣٤ بدأ الالمان ينفذون القانون القاضي بتعقيم المصابين من الالمان بأمراض وراثية مثل ضعف العقل الخلقي <sup>(١)</sup> والسرسام <sup>(٢)</sup> والجنون التهيجي الانقباضي <sup>(٣)</sup> والصرع الوراثي <sup>(٤)</sup> ونقاز هنتنغتون <sup>(٥)</sup> (داء الرقص) والسكبه (العمى) الوراثي والصمم الوراثي وادمان المسكرات . وبؤخذ من انباء المانيا انه ينتظر تعقيم ٤٠٠ الف الماني مصابين بهذه الامراض او ما هو من قبيلها والغرض من ذلك تطهير الآريين من الالمان من كل شائبة تشوبهم وقد كان سن هذا القانون باعثاً على احتدام المناقشة في موضوع تحسين النسل بالتعقيم ، فسالنا القراء عن حقيقة التعقيم وكيف يختلف عن الخصي ، وما اثره في حياة الانسان المعقم بوجه عام ، وفي حياته الجنسية بوجه خاص ، واي الناس يجب ان تعمل لهم عملية التعقيم ، وفي اي البلدان تمارس هذه العملية ، وهل هي عملية اليمية وتنطوي على خطر ام لا ؟

يقدر علماء الولايات المتحدة الاميركية ، ان نحو ٢٥ مليوناً من الشعب الاميركي مصابون بأحد الامراض والعاهات المذكورة في صدر هذا المقال فلا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من تبعات ، او لا توانيهم احوال البيئة الاقتصادية على ذلك . فتوسط المرضى في مستشفيات الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣١ كان ٧٧٥٣٩٦ اما عدد المرضى في مستشفيات الحكومة الخاصة بالامراض العقلية فبلغ في آخر سنة ١٩٣٠ نحو ٧٢٤ ألفاً فزاد هذا العدد في تلك السنة عن عدد السنة السابقة بنحو ١٢ ألفاً . من هؤلاء ٦٤٢٥٣ مصابون بضعف العقل والصرع . وكان في سجون الولايات سنة ١٩٣٠ نحو ١١٧ الف سجين . وفي سجون الحكومة المتحدة ١٤٤٧٣ سجيناً . وبلغ عدد الذي حوكموا وسجنوا في اميركا سنة ١٩٣١ نحو ٧١ ألفاً . ثم ان الحكومة الاميركية تميل الى الاعتقاد بأن عدد مدمني المخدرات في بلادها سنة ١٩٣١ كان مائة الف مدمن . والاحصاء

(١) hereditary feeble-mindedness (٢) Schizophrenia (٣) manic-depressive insanity  
(٤) hereditary epilepsy (٥) Huntington's chorea



الاميركي العام لسنة ١٩٣٠ يدل على ان عدد الكمه في اميركا سنة ١٩٣٠ كان ٦٣٤٨٩ اكمه وعدد الصم ٥٧٠٨٤ اصم وفي البلاد علاوة على ما تقدم نحو عشرة ملايين متعطل عن العمل، والراجح ان خمسة ملايين منهم لن يتسنى لهم وجود عمل في المستقبل كائناً تحسن الاحوال الاقتصادية ما كان . فالقول بأن في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢٥ مليوناً من الناس لا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من التبعات - او لا تواتهم البيئة الاقتصادية على ذلك - ليس فيه غلو ولا اغراق ويذهب بعض المتطرفين من دعاة تحسين النسل في اميركا امثال وِجَم Wiggam وهنتنغتون Huntington وستودرد Stoddard الى ان الناس المصابين بأمراض او طاهات من هذا القبيل خطر على الجنس البشري . فهم يعتقدون ان هؤلاء الناس يورثون امراضهم وطاهاتهم ، وان الحضارة التي بنيت بأرواح الانبياء وعقول العباقرة ، انما تخالف ، لا قزام الجسم والعقل والروح . ويضيفون الى وجوب تعقيم اصحاب الامراض والطاهات الوراثية التي تقدم ذكرها ، وجوب الحيلولة بين بعض المجرمين واخلاف النسل

وهناك طائفة اخرى من دعاة تحسين النسل، تذهب الى ان الخطر ليس من الشدة بحيث يصوره وِجَم وهنتنغتون وستودرد . فهم يقولون ان اصحاب الامراض والطاهات المذكورة لا يزداد عددهم اكثر مما كان يزداد في الماضي ، وان زيادة عددهم في دفاقر الاحصاء ، ليست الا زيادة ظاهرة ، سببها شدة العناية الآن بفحصهم وتشخيص امراضهم وطاهاتهم والتبليغ عنها وتدوينها . ثم ينادون فيقولون ان الحضارة الميكانيكية بحاجة الى امثال هؤلاء ليقوموا بالاعمال الآلية التي لا تحتاج الى قدح زناد الفكر

\*\*\*

وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اسبق الامم الى سن قوانين تقضي بتعقيم المصابين بأمراض وراثية . ففي سنة ١٩٠٧ سنّت ولاية انديانا اول قانون من هذا القبيل ، وكانت ولاية ميشيغن قد حاولت سن مثل هذا القانون سنة ١٨٩٧ فرفض مشروعه في مجلسها النيابي . وفي اميركا الآن سبع وعشرون ولاية من ثمان واربعين ولاية سنّت فيها هذه القوانين ويبلغ عدد الذين عملت لهم عمليات التعقيم ودونت اسمائهم ١٧٨٩٨ شخصاً وهناك من عملت لهم هذه العملية ورفضوا تدوين اسمائهم خشية بعض العقد القضائية وتبعات الولايات المتحدة الاميركية في هذا ، ولاية البرتا - وهي احدى ولايات كندا - سنة ١٩٢٨ وبلاد الدنمارك وفنلندا ومقاطعة Vaud في سويسرا سنة ١٩٢٩ وولاية فيراكروز بالمكسيك سنة ١٩٣٢ والمانيا سنة ١٩٣٣ هذه هي الحكومات التي اصدرت تشريعاً بهذا المعنى . ولكن حكومات انكلترا والنرويج والسويد وغرب استراليا ، تعنى الآن بدراسة الموضوع توطئة للتشريع فيه



والمرأة من الناحية الجنسية . خفيض المرأة مثلاً لا يتأثر بها . ولكن اذا تقدم رجل وزوجته للتعقيم من تلقاء نفسيهما فالاطباء الاميركيون يفضلون ان تعمل العملية للرجل ، لأنها اسهل وتكفل تحقيق الغرض منها

\*\*\*

يظهر من مقالات متتابعة في هذا الموضوع نشرتها مجلة السينتك اميركان ، ان علماء تحسين

النسل ( اليوجينيين )

مجمعون على ان المتوكلين

— مثل المتعطلين عن

العمل والصم والكمه —

ومقترفي الآثام — امثال

المتشردين والمجرمين —

والمناحطين امثال العاهل

الصاديين Sadists ومدمني

المخدرات — والمولوتين

— امثال المصابين بالدرن

والزهري — يجب ان لا

يخضعوا لقانون التعقيم

رغمًا عنهم لان اصاباتهم

هذه مكتسبة في الغالب لا متوارثة . ولكن

هناك طائفتان من الناس اولاهما طائفة المصابين

بأمراض عقلية مثل المجانين ، والثانية طائفة

ضعاف العقول مثل المعتوهين والبله . وقد اختلف

العلماء في اسباب اصاباتهم

ومما لا ريب فيه ان الوصول الى رأي قاطع

في الموضوع لا ندحة عنه لكل مشروع غرضه

تحسين النسل عن طريق التعقيم

وكانت بعض المحاكم الاميركية قد حكمت بأن هذه القوانين غير دستورية ، لما كانت طريقة التعقيم محصورة في الخصى في الرجل او في ما يقابله في المرأة . فلما استنبطت طريقة جذ الأسهر (القناة المنوية) Vasectomy في الرجل وجذ قرن الرحم في المرأة salpingzectomy زال اعتراض المحاكم

وعملية جذ الأسهر عملية صغيرة بسيطة تقوم

على جذ القناتين المنويتين

وربطهما فيمتنع بذلك

افراز النطف المنوية .

اما عملية جذ قرن الرحم

فأخطر من عملية جذ

الأسهر ويحتاج فيها الى

شق البطن وجذ قناتي

المبيضين وربطهما حتى

يتمتع وصول البيضة

من المبيض الى الرحم .

والعملية الاولى تتم في

حوالي ١٥ دقيقة وألمها

قابل والنقمة منها لا

يستغرق الا بضعة أيام من دون ان يحول بين

الرجل وقيامه بعمله اليومي . اما العملية الثانية

فتقتضي استعمال مخدر عام وشق البطن فهي

من قبيل عملية استئصال الزائدة الدودية .

ولا بد للمرأة من ان تبقى في المستشفى تحت

اشراف الطبيب والممرضة مدة عشرة أيام .

ولكنهما — اي العمليتان — على كل حال

لا تؤثران اي تأثير غير طبيعي في حياة الرجل

رأى الدكتور اولف لورنر

الجراح النسوي المشهور

أؤمن بالتعقيم لان الواجب على الطب ان يمنع المرض ، والتعقيم وسيلة من وسائل منع المرض العقلي وغيره . واعتقد ان التعقيم يجب ان يشمل جميع اصابات الامراض العقلية ، والاصابات الوراثية من مدهني السكر والمجرمين وضعاف الاخلاق . والامل ان تصيب هذه الطريقة في المانيا نجاحاً والراجع انها تصيبه . فتنتشر بعدئذ في جميع الامم كوسيلة للتخلص من حثالة الانسانية



فمعظم علماء تحسين النسل متفقون على ان الامراض العقلية مكتسبة اكثر منها متوارثة ولكن كثرتهم تذهب الي ان الضعف العقلي متوارث اكثر منه مكتسب . والامر الذي يجعل الحكم في هذا الموضوع متعذراً انك قد تجد أبه مولوداً من أب وأم سويين ولكنهما يحملان في عقود كروموسوماتهما عيوب الضعف العقلي . فالخطر على المجتمع في حالة كهذه ليس الأبله — لأن الأبله لبله قلماً يخلف نسلأ لا عراض النساء عنه — بل الوالدان السليمان في الظاهر

اما احصاء العمليات في اميركا فيدل على ان عمليات التعقيم لا تماشي الرأي العلمي السائد في في هذا الموضوع . ففي ١٥ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية ، عملت ٩٢٦٠ عملية تعقيم اجبارية منها ٦٢٤٦ عملية لاشخاص مصابين بالجنون Insanity و ٢٩٣٨ عملية لاشخاص مصابين بضعف العقل و ٥٥ عملية لاشخاص مصابين بالصرع و ١٦ عملية لمجرمين و ٥ عمليات لاشخاص مصابين باضطراب الاعصاب . فيبدو من هذا الإحصاء ان العمليات التي عملت لاناس مصابين بالجنون هي ضعف العمليات التي عملت لاناس مصابين بضعف العقل ، مع ان علماء تحسين النسل مجمعون او يكادون ، على ان ضعف العقل اكثر انتقالاً بالوراثة من الجنون

\*\*\*

وقبل ان نختم هذا المقال نريد ان نذكر الطريقة التي تجري عليها حكومة ولاية كاليفورنيا في تطبيق قانون التعقيم . فقانون التعقيم الكاليفورني ، يجعل عملية التعقيم اجبارية للمجانين وضعاف العقول الذين في منشآت الحكومة مثل السجون ومستشفيات الامراض العقلية . فاذا ظهر لمدير القسم الطبي في أحد هذه المنشآت ان تعقيم احد هؤلاء مرغوب فيه ، حماية له وللمجتمع وللذريات المقبلة ، قدّم تقريراً في الموضوع الى القسم الصحي في حكومة الولاية ومدير قسم المنشآت كالسجون والملاحىء ، فاذا حكما بوجوب العملية وجب ذلك . ولكن في الواقع يستشار اقرب اقرباء المريض اولاً ويطلب اليه ان يعلن قبوله كتابياً . وقد اثبت الاختبار ان اقرباء المريض كانوا في الغالب يرحبون اشد الترحيب بالعملية ، بل كثيراً ما كانوا هم البادئين في الحث على عملها . فطريقة تنفيذ القانون الكاليفورني يجمع جمعاً عملياً بين عنصري الاجبار والاختيار وعنصر الاجبار في هذه القوانين ، اصبح مبدأ قانونياً معترفاً به في اميركا . ففي سنة ١٩٢٧ نظرت المحكمة الاميركية العليا في حكم محكمة بولاية فرجينيا فقررت ان للولاية ان تنص على مبدأ الاجبار في احوال معينة . وكتب الحكم القاضي الاميركي المشهور اوليقر وندل هومن فقال « يكفيننا ثلاثة اجيال من البله » ثم قال ان احداً لا ينازع في حق دولة من الدول ان تبذل حياة ابنائها الممتازين عقلاً وحيوية ، في الحرب ، فمن المستغرب ان ينازع في حقها ان تطلب في ايام السلم من ابنائها المنحطين تضحية صغيرة في سبيل حماية الذريات المقبلة



نماذج قانس ومدرايين في متحف فؤاد الاول  
الزراعي بالدقي . والاصل بدار تحف القاهرة  
[ تصوير الدكتور حسن كمال ]



الصف العلوي : مجرأتان مصريتان قديمتان في متحف فؤاد الاول  
الزراعي والاصل بدار تحف القاهرة وقد ورد وصفهما في المقال  
الصف السفلي : فلاح مصري قديم يستعمل قانساً في الحقل .  
متحف فؤاد الاول الزراعي بالدقي — تصوير الدكتور حسن كمال



نماذج للمؤوس المصرية قديمة في متحف فؤاد  
الاول في والاصل بدار تحف القاهرة  
[ تصوير الدكتور حسن كمال ]





# الادوات الزراعية الفرعونية

الشادوف — الفأس — المحراث — المنجل — المدر

للمكنوز حسن كمال

﴿ الشادوف ﴾ — كثيراً ما تشاهد بالمقابر رسوم لترع توزع مياه الفيضان على الحقول وذلك بحضور السيد الذي يركب وقتئذ قارباً صغيراً مصنوعاً من سوق البردي . وما أكثر النقوش التي تمثل السفن النيلية ناقلة محصول الاراضي وكذلك الحيوانات على اختلاف انواعها من الحقول واليهما . وعند ما يزول الفيضان يعمد الفلاح الى حراثة ارضه الرخوة التربة بالمحراث الذي تحره ثيران كما هي العادة الآن . وتمتد الترعة من اقاصي الاراضي جنوباً الى نهايتها شمالاً . ومن هذه الترعة تتفرع قنوات صغيرة لتوزيع المياه على اجزاء الحقول بالتساوي وفقاً لما تتطلب جغرافية الارض وترتيبها

ومعلوم ان فيضان النيل يبدأ عادة في نهاية شهر مايو او بعد ذلك بقليل . وفي منتصف شهر يونيو يكون الفيضان بلغ درجة محسوسة وحينئذ تشاهد مياه النيل ضاربة الى الاحمرار نتيجة مزجها بالغرين الآتي من بلاد الحبشة . وبعد زوال الفيضان يخضر لون المياه النيلية . واعتقد القوم وقتئذ في عدم صلاحيتها للشرب فكانوا يخزنون مياه الفيضان في الزلع الكبيرة لشربها زمن التحاريق . قال ارستيديس Aristides ان مصر هي الامة الفردة التي يخزن اهلها المياه ويحفظونها زمناً معيناً كما يفعل غيرها بالنبيذ

وفي اوائل شهر اغسطس تطلق المياه في الترعة من النيل فتغمر الحياض . ولما كانت الاقاليم المجاورة للصحراء هي اوطا الاقاليم منسوباً كانت المياه تغمرها اولاً بخلاف الاراضي القريبة من النيل فلها مرتفعة نسبياً ولذلك كانت تغمر اخيراً . وهذا الامر يشاهد فقط في الصعيد اما في الوجه البحري فان اراضيه تقع في مستوى واحد تقريباً . لذلك كانت الدلتا تغمر كلها وقت الفيضان بالمياه ما عدا المدن والقرى لان مستواها اعلى بكثير من مستوى الاراضي المجاورة . وكلما ارتفع منسوب الفيضان وغمرت المياه الاراضي زاد اهتمام القوم بنجاة بهائمهم التي في الاراضي المنخفضة كما هو مشاهد بمقابر بني حسن . وهذا المجهود وهذه العناية يتجسمان تماماً اذا ما انقطع جسر وفاضت مياه النهر نجاة واغرقت الاراضي المجاورة . وفي هذه الاحوال يشاهد القوم



واضعين ملابسهم على رؤوسهم وجاذبين اغنامهم وبهائمهم من المياه وواضعينها في السفن . وهناك مناظر اخرى يُرى فيها القوم يشدون الثيران وهي عائمة في المياه الى اقرب اكمة . واذا كان هناك زرع يمكن الانتفاع به بعد اقتلاعه عمد القوم الى ذلك وشحنوه في القوارب

والمعروف ان القطر المصري كان منذ عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠—٢٢٧٠ ق.م.) يروى بالحياض . وهذه كان يصرف اليها ماء النيل بواسطة ترع كبيرة تحت اشراف المدير او الحاكم المحلي (راجع مقبرة زخمارا حائط A و B لوحة ١١ و ١٤ و ١٥) الذي لا يسمح بارسال الماء الا بعد ما يبلغ ارتفاعاً خاصاً . وكانت المياه تصرف الى الجهات بمنتهى الحكمة والعدل وفق ما تقتضيه طبيعة ارضها ونوع زراعتها . وعند ما يهبط مستوى مياه النيل تغلق الفتحات الرئيسية لمنع تسرب المياه الى النيل بسرعة حتى تكتسب الارض اكثر ما يمكن من الغرين

اما الاراضي المرتفعة التي لا تصلها مياه النيل وقت الفيضان او التي تصلها بصعوبة فكانت تروى بواسطة الشواذيف التي تصب مياهها في ترع او قنوات صغيرة موصلة الى الجهات المذكورة ويرجع استعمال الشادوف في القطر المصري الى الزمن السابق لعهد الفراعنة . ويظن البعض انه وجد مرسوماً على جدار بمقبرة بمدينة السكاب (راجع جرين وكويل في كتاب هيركونبوليس طبعة ١٩٠٢ ج ٢ لوحة ٧٤ و ٧٥) . وقدر بعضهم مقدار المياه الممكن رفعها بهذه الآلة في الساعة الواحدة بما يتباين من ١٦٥٠ الى ٣٤٠٠ لتر (راجع كتاب Barois و Ringelmann عن الزراعة الريفية *Essai d'hist. du genie rural* ج ١ ص ٢٠٤) وهناك عدة طرق لري الحدائق منها تخزين المياه في حوض كبير وسط الحديقة ثم ارسال المياه منه بواسطة ميازيب صغيرة الى اجزاء الحديقة المختلفة . ومنها ايضاً نقل المياه بواسطة آنتين معلقتين في طرفي قضيب خشبي يحمل على الكتفين الى النبات المطلوب ريه (راجع كتاب البرشة للاستاذ نيوبيري لوحة ٢٦)

ويشاهد استعمال الشادوف بوضوح في جدار مقبرة (ابوي) التي يرجع تاريخها الى زمن رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق.م.) وقد ورد وصفها في المجلد الخامس من سلسلة كتب بعثة العاديات الفرنسية المطبوع عام ١٨٩٤ ص ٦٠٤—٦١٢ . اما صاحب هذه المقبرة فكان حفاً في خدمة المعبود آمون بطيبة الغربية — وفي هذه المقبرة رسمٌ لمدخل منزل هذا الموظف ويتكوّن من سلم ذي ست درجات يصل الى المدخل الرئيسي ذي العمود المتوجة بباقه براعم اللوطس والبردى . وتحت الاشجار يشاهد شادوفان لري الحديقة . والاشجار المذكورة تحمل ثماراً متباعدة كالجزير والبرتقال وغيرهما . وكل شادوف مكوّن من قضيب خشبي مثبت في ثلثة الاوسط على جدار وينتهي طرفه المؤخر بكتلة طينية . اما الطرف الامامي فينتهي بمجل طويل يحمل دلوّاً من الجلد له يدان . والفلاح في كل حالة يقبض على الجبل بيديه . وبذلك يمكنه ان يؤدي حركة الملء والتفريغ باستمرار وهو واقف من دون ان يناله تعب . وذلك بحركة الموازنة بين الثقلين



بطرفي القضيبي . وهناك شادوفان آخران، مقابلان للسابقين . وعلى ذلك تكون حديقة أبوي المذكورة فسيحة لأنها تطلبت شواذيف أربعة أنقار للقيام برها .  
وعلى أثر زوال الفيضان السنوي عن الأراضي تشاهد أعشاب نامية وأيضاً بعض النباتات الوحشية آخذة في الظهور في عدة جهات من الحقول . كذلك تلاحظ أحجار قذفتها مياه النيل وقت غمرها الأراضي . لذلك تجد الفلاح المصري من أقدم العصور يهتم باستئصال هذه الأعشاب والنباتات وإزالة الأحجار من حقله قبل الشروع في زرع . وإذا لاحظنا أن تعداد القطر المصري كان يقرب في عهد الفراعنة من الستة ملايين نسمة وأن القطر كان يورّد لممالك البحر الأبيض المتوسط القمح الكثير امكنا أن نستنتج شدة عناية المصريين بتحويل أراضي الوادي إلى حقول زراعية

وتشاهد في مقبرة (نخت) بالأقصر مناظر لفلاح يستأصل بفأس خشبية النباتات النابتة على حافة النهر كما أورد (لبيوس) في الديكمار ج ٢ لوحة ١٠٧ من زاوية المتين رسماً لفلاح قديم يبعد الأحجار عن طريق المحراث بواسطة عصاة طويلة

✽ الفأس ✽ حافظ الخط الميرغليفي على رسم الفأس القديمة كحرف هجائي مركب مدى التاريخ . واستعمل المصريون في عهد الأسر الأولى الفؤوس في الفلاحة والهدم . وكانوا إذا قرّر أحد ملوكهم تشييد معبد قبض على فأس واشترك في العمل . ومنذ مبدأ التاريخ المصري القديم (٣٤٠٠ ق.م) حتى العهد الصاوي (٦٦٣ — ٥٢٥ ق.م) كانت الفأس تتركب من قطعتين خشبيتين غير متساويتي الطول . وكانت إحدى هاتين القطعتين تستعمل يداً وهي مستقيمة وأقصر من القطعة الأخرى المستعملة أداة للحفر . ويختلف طول القطعتين طبعاً باختلاف طول صاحبهما . لكن متوسط طول اليد يبلغ خمسين سنتيمتراً . ومتوسط طول الحد سبعين سنتيمتراً . ويلاحظ في الحد أنه مقوس قليلاً وأنه تارة مدبب وأخرى مفرطح وطوراً مفرطح ومشعب في آن واحد

ويثبت الحد في اليد بالحفر الخشبي أو بوثاق أو قضبان خشبية . وقد اتضح أن الفؤوس صنعت من المعدن منذ عهد الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق.م) (راجع كتاب العدد والأسلحة للاستاذ بتري لوحة ١٩ رسم ١٣) . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق.م) وبالأخص بمقبرة (نخت) و (أوسركاسب) و (شامته) يظهر أن الفؤوس كانت تصنع من المعدن واستمرّ القوم يستعملون الفأس الخشبية طول مدة التاريخ القديم وزودوا بها تماثيلهم الصغيرة التي كانوا يضعونها مع موتاهم لعمل الفلاحة اللازمة لهم في الدار الآخرة . وفي عهد الامبراطورية الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق.م) غير البنائون والنجارون شكل الفأس فجعلوا أحياناً القطعتين متساويتين طولاً وأحياناً جعلوا اليد أطول من السلاح . والفأس المدببة كانت تستعمل في حفر الأراضي الصلبة . أما المفرطحة فكانت تستعمل في حفر الأرض الرطبة وتنظيف الترع



وقد سبق ان اوردنا رسماً لأحد ملوك مصر الاول يحتفل بحفر قناة مستعملاً الفأس الخشبية المديبة (عن كوبييل هيرا كونيوليس ج ١ لوحة ٢٦) . وهناك لوح اردوازي يرجع تاريخه الى اكثر من ٣٤٠٠ ق.م وقد نُقش عليه ملك مصر مرموزاً له بحيوانات وألوية مختلفة قابضاً على فأس يهدم بها قلاع الاعداء . واورد الاستاذ پتري رسماً في كتابه عن المقابر الملكية للأسرة الاولى جزء أول لفأس يظهر منها انها خشبية ويشاهد فيها تساوي اليد والحد طولاً وتثبيتها احدهما في الآخر بطريقة الحفر وبقضيبي خشبي . وهذا القضيبي كان يستبدل احياناً بوثاق . واورد ولكنسون في كتابه عن عادات قدماء المصريين واخلاقهم ج ٢ ص ٢٥٢ رسماً لفأسين خشبيتين تستعملان لحفر الأرض الرطبة سلاحهما مصنوع على شكل المجرفة وهو اطول من اليد ومثبت بالحفر الخشبي وبوثاق وهذا الاخير يطوق احد الاسلحة ويحترق الآخر . والفؤوس الخشبية الواردة بالدنكمار ج ٢ لوحة ١٢٧ التي يرجع تاريخها الى الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق.م ) يشاهد فيها قصر اليد وقوس السلاح الواضح ودبابة نهايته وتثبيته في اليد بوثاق . وورد بمقبرة نخت بالا قصر رسم لفأس كانت تستعمل لاستئصال الاعشاب وهي خشبية مقوسة اليد في موضعين وهي اطول من السلاح . وقد اوردت للقاريء رسوماً لعدة فؤوس محفوظة بدار تحف القاهرة وعمل منها نماذج لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما كنت قائماً بإنشاء قسم الزراعة المصرية القديمة هناك . وعددها خمسة يشاهد فيها تبان طول اليد والسلاح وطرق تثبيت الاثنتين في بعضهما واستعمال الحبل ووثاقاً واحياناً القضيبي الخشبي بدله . اما طريقة استعمال هذه الفؤوس فقد وردت في كثير من المقابر مرسومة بوضوح . وقد سبق ان اوردت رسماً لتمثال لفلاح مصري قديم قابضاً على فأسه ورجلاه غارتان في الطين وهو قائم بعملية حفر الارض

✽ المحراث ✽ واصلاً فأس كبيرة . وقد نسب المصريون الى معبودهم ( ازوريس ) طريقة استعمال المحراث في الفلاحة . ولا يبعد ان المحراث كان يحرق في بادئ الامر بالعمل دون الثيران لبساطته وخفته وقتئذ . واول ما ظهر المحراث في شكله المعروف كان بحجة ميدوم ( أسرة ثالثة ٢٧٨٠ - ٢٧٢٠ ق.م ) (راجع كتاب پتري عن ميدوم لوحة ١٨) وهناك لوحظ انه يحرق بواسطة الثيران اما كيفية اشتقاق المحراث من الفأس فتتلخص فيما يلي : زيد في طول يد الفأس حتى بلغت الثلاثة امتار تقريباً وصار ( نافاً ) واستعوض من الوثاق تدريجاً بوصلات خشبية في نفس الموضع . فتنتج عن ذلك ان السلاح صار اقصر كثيراً من الناف

وللتمكن من ارسال سلاح المحراث في باطن الارض صنع له يدان يضغط بهما الفلاح . وهاتان اليدان تتغيران باستمرار على مدى التاريخ في شكلهما وارتفاعهما ومقدار ميلهما وطريقة وصلهما مع الناف . وقد يستغنى عن احدهما ويكتفى بواحدة . وتقدمت صناعة المحراث منذ عهد المملكة الوسطى ( ٢١٠٠ - ١٧٠٠ ق.م ) فصار السلاح ضخماً وثقيلاً . ولا يبعد انه كان يصنع وقتئذ من حجر



الظّر أو المعدن لكن لم تتأ كد للآن من تاريخ العهد الذي ظهرت فيه صناعة المحارث المعدنية بالقطر المصري كما اننا لم نتأ كد من نوع المعدن وهل كان حديداً أو برزاً

وفي عهد الامبراطورية الحديثة ( ١٥٥٥ — ٧١٢ ق. م ) ازداد اليدان طولاً ووصلتا بعدة فضبان خشبية وزاد ثقل المحراث فصار قادراً على الغور الى مسافة أبعد في جوف الارض بسهولة

اما الناف فينتهي اماماً بقضيب خشبي مستعرض يثبت في قرون الثيران بوثاق . وقد اوردت القاريء هنا صورتين لمحراثين صغيرين محفوظين بدار تحف القاهرة . وقد عمل انموذجان لهما عندما الثأت قسم الزراعة المصرية القديمة بمتحف فؤاد الاول الزراعي وهما يمثلان نوعي المحراث الخفيف الذي يتولى استعماله رجل واحد والثقل الذي يتطلب استعماله رجلين . والانموذجان يمثلان بوضوح عملية الحرث التي لم يعترها تبديل ولا تغيير منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة الى الآن

واوردت ايضاً رسماً لمحراث وجد منقوشاً على آثار بسقارة يرجع تاريخه الى عهد الامبراطورية الحديثة وهو يمثل النوع الثقيل الطويل اليدين الصلب التركيب وقد بلغ اليدان خاصرة الفلاح القائم بعملية الحرث . وهذا النقش عمل منه ايضاً انموذج واودع بمتحف فؤاد الاول الزراعي بالدي بالجزيرة . واورد الاستاذ بيري في كتابه عن ميدوم رسماً لمحراث خشبي خفيف من الاسرة الثالثة

( ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق. م ) . له يدان يضغط بهما الفلاح لارسال السلاح في جوف الارض والسلاح مثبت بقضيب خشبي كي لا ينفصل وقت الحرث . واورد الاستاذ نيوبيري في كتابه عن البرشة ج ١

لوحة ٣١ رسماً لمحراث من الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق. م ) له يدان تكتونان مع السلاح زاوية تقرب من ٩٠° . واليدان مثبتتان احدهما في الاخرى بوثاق مستعرض . اما السلاح فثبت بمحل

مع اليدين وباقي المحراث بوثاق وينتهي بحدة مدبب يظهر من شكله انه معدني المادة . واورد الاستاذ روزليني في مذكراته ج ٢ لوحة ٣٢ رسماً لمحراث طويل السلاح مرتفع اليدين تنتهيان بنقوس افقي بهيئة مقبضين . ويظهر عليه انه معدني السلاح وان يديه ونافه مثبتان فيه . واورد

الاستاذان تيلور وجريث في كتابهما عن بقرة باحرى لوحة ٣ رسوم لمحراث من الاسرة الثانية عشرة ( ١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق. م ) من مدينة الكاب نافه مثبت في سلاحه بقضيب خشبي . وله يد واحدة

طويلة تستعمل للتوجيه والضغط عند اللزوم

﴿ المنجل ﴾ ذكر المسيوده مرجان في ( Recherches I ص ١٣٢ ) انه يستحيل التمييز بين مناجل العصر الحجري ومناشيرهم . والمعروف ان المناشير في العهد الاول كانت تستعمل في قطع

الاخشاب والعظام ثم استعملت بعد ذلك في الحصاد . وقد عثر الاستاذ بيري ( راجع كتابه عن كاهون وجوروب والهوارة لوحة ٧ شكل ٢٧ ولوحة ٩ ) على منجل من عهد الاسرة الثانية عشرة

( ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق. م ) له حدة مسنن مصنوع من الظّر ومنزل في دائر خشبي ويستعمل المنجل في الخط الهيرغليني كحرف مركب ، لكن كتّاب العصور الاولى لا تميز في



كتاباتهم اجزاءه بوضوح ولا حتى المواد المصنوعة منها. اما نقوش ميدوم الملونة (الاسرة الثالثة ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق. م.) فتظهر بوضوح اجزاء المنجل. فيلاحظ ان اليد وبعض السلاح ملونان بلون اخضر. اما السلاح المصنوع من الظرف فلون بلون ابيض ويسرى بارزاً من الجزء الكاسي له واستمرت هذه الآلة رسم بهذه الصفة في الخط الهيروغليفي في عهد الاسرة الخامسة (مقبرة ني) والاسرة الثانية عشر (مقابر بني حسن). اما النقوش التي يرجع تاريخها الى العهد الاخير فلم يوضح بها بالدقة اجزاء هذه الآلة حتى تعذر معرفة اليد من السلاح بالتأكيـد (الدنكايـلـر ج ٢ — ٩) ولا يمكن الحكم بالضبط على العهد الذي ظهر فيه المنجل المعدني بمصر. وثمة في دار تحف اللوفر منجل بحد حديدي. اما المنجل المعدني المحفوظ الآن بدار تحف (جيميه) بباريس فقد عثر عليه بالدير البحري وهو مكوّن من حد حديدي ويد مصنوعة من خشب الجميز (راجع كتاب الزراعة المصرية القديمة لهارتمان ص ٨٣)

وتتلخص طريقة استعمال المنجل فيما يلي: يقبض الفلاح على جملة من سيقان القمح ويقطعها اسفل السنبال بمنجل بيده اليسرى. وهذه الطريقة بقيت مرعية على مدى تاريخ مصر القديم ورسم المنجل الوارد في الخط الهيروغليفي من عهد الاسرة الاولى (حوالي ٣٠٠٠ ق. م.) غير واضح الاجزاء (راجع كتاب المقابر الملكية للأسرة الاولى للاستاذ بـتري جزء ١ لوحة ٢٥ شكل ٥٣ — ٦ وج ٢ لوحة ٢٠ و ٢٤)

وتختلف رسوم المناجل القديمة على مدى العصور في اجزائها المتباينة. فالسلاح يكون احياناً ماضياً وطوراً مسنناً. ومرة مستقيماً وأخرى مقوّساً. ودرجة الزاوية التي بين السلاح ويد المنجل غير ثابتة الانقراج

✽ المدراة ✽ — في دار تحف القاهرة قطعتان خشبيتان يقبض على كل منهما بيد وتقربان احدهما من الاخرى فينتج من ذلك مسطح تقذف بواسطته الحبوب الى اعلى ثم تفصل اليدان فتسقط الحبوب الى الارض ويقذف الهواء القش والقاذورات بعيداً كما هي الحال الآن. وهذه القطع الخشبية عمل مثلها لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما قت بانشاء قسم الزراعة القديمة فيه وهي معورة في الشكل المرفق بهذه المقالة. وهناك مدراة طويلة اليد مشعبة النهاية كالمستعملة الآن كانت تستعمل ايضاً من عهد المملكة القديمة كما هو واضح في لوحة من قبر بدار محف القاهرة

✽ البلطة ✽ — اخذت البلطة تتحسن تدريجاً في الزمن السابق للعهد الحجري وفي العهد الحجري ايضاً حتى عهد الاسر الاولى حيث ذكر المسيو ده مرجان رسماً لبلطة على اسطوانات العراة سلاحها الحجري منزل في يد خشبية (١). وكان السلاح حينذاك مثبتاً في اليد بواسطة ثقب صغير اسفل السلاح (٢). وهذه الثقوب تشاهد كثيراً في بلط وادي النيل والقصد منها تثبيت السلاح



في اليد وزيادة في هذا التثبيت ومنعاً لكسر اليد استعان القوم على تثبيت هذين الجزئين بواسطة وثقة جلدية. ويلاحظ في البلطة الحاملة لاسم الملك تحوتمس الثالث أن سلاحها مصنوع من البرنز على الشكل المنبع في الأسرتين الأوليين وكانت تستعمل في اوقات العبادة على روح هذا الملك العظيم فقط<sup>(١)</sup> وفي زمن الأسرة الثالثة ظهر رسم البلطة في الخط الهيروغليفي بشكل يتبين منه أن السلاح كان يصنع من المعدن (النحاس والبرنز) كما يستدل عليه من اللون الأصفر أو الرمادي الضارب إلى الخضرة<sup>(٢)</sup> وفي عهد الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بلغت صناعة البلط حد الكمال من حيث تثبيت السلاح في اليد. فالبلط التي عثر عليها جهة رفح<sup>(٣)</sup> تتكوّن من سلاح مستدير تقريباً وطرفه (أو طرف واحد أحياناً) ينتهي بخطاف وبين هاتين الطرفين تشاهد عدة ثقوب (اربعة أو خمسة) لوضع اوتاد خشبية فيها لتثبيت اليد

ومنذ الأسر الأولى حتى العهد الصاوي استعمل الخطّاب البلطة ذات الحد المستدير (بتاح حوتب ج ١ لوحة ٣. البرشة ج ١ لوحة ١٣) واليد المستقيمة أو المقوسة يسيراً وذلك وقت قطع الأشجار في أثناء تهيئة الحقول للفلاحة

✽ المديّة ✽ — ان أقدم المدي المصرية هي المصنوعة من حجر الظرف. وقد اعتنى القوم بصناعة هذه الآلة كثيراً. فكانوا بعد ما يقطعون من الحجر القطعة المراد صنعها مديّة بيداً أو في نحت الحد القاطع على عدة دفعات حتي يصير ماضيّاً جهد الطاقة (راجع كتاب نقادة والبلاص للاستاذين بيري وكويل ١٨٩٦ لوحة ٧٦). ثم كسا القوم الجزء الآخر من المديّة بالمعادن كالنحاس وجعلوا منه يداً لهذا السلاح<sup>(٤)</sup>. والخط الهيروغليفي في مبدئه يظهر المديّة كاملة التركيب. فعلى شاهد قبر (جايوسوكارى) رسم لاشارة هيروغليفيه تمثل مديّة ذات يد خشبية او معدنية<sup>(٥)</sup>. وفي مقبرة بتاح حوتب (ج ١ لوحة ١٣ رقم ٢٧٣) يشاهد رسم للمديّة المصرية القديمة ذات اليد الخشبية. واخيراً عثر على مديّة من هذا النوع (راجع كتاب الآلات والأسلحة لبيري ١٩١٧ لوحة ٢٤ رقم ٣٥، ٣٦). لكن بالرغم من كل هذه التحسينات بقيت المديّة الحجرية مستعملة على الدوام في الحفلات الدينية

✽ أدوات أخرى ✽ وهناك أدوات أخرى كان يستعملها الفلاح في معيشتهم كالمشاط التي كان يفصل بها خيوط الكتان والمطارق والمدرّاة البسيطة والمشعبّة والمكينة المصنوعة من القش والغربال والعصي وغير ذلك. (وجميع هذه الأدوات ذكرتها Jane Ellen Harrison في مجلة The Journal of Hellenic Studies ج ٢٤ سنة ١٩٠٤ ص ٢٤١ — ٢٥٤)

(1) Maspero. Hist. Ancienne t I p. 60 fig. — Birch Cat. of Collect. of Egypt. Antiqu. at Almwick Castle London 1880 pl. B No 1482

(2) Medum pl. 10, 13, 14. (3) Petrie Gizeh & Rifeh 1907 pl. 3 No 108-113

(4) Capart Les debuts de l'art en Egypte p 68 fig.

(5) Weill, Les orig. de l'Egypte pharaon. p 247



# استدراك على معجم الحيوان

وبحث علمي طريف

بفلم الفريق امين باشا المعلوم

— ٤ —

لما نشرت معجم الحيوان سنة ١٩٠٨ وما بعدها ثم في طبعته الأخيرة سنة ١٩٣٢ كنت اكتب للخاصة الذين يعرفون شيئاً عن هذا العلم . ثم رأيت الآن ان اشرح اموراً ظننتها واضحة في أول الامر فاذا هي غامضة على بعضهم منها ما يلي فقد قلت في الصفحة ٩٣ ما يأتي :

Pongiidae

فصيلة السعالي

قرود شبيهة بالانسان منها الغورلي اي الغول والبعام والسعلاة والشيق . انظر ص ١٩ و ٢١ و ١١٥ من هذا المعجم . انتهى

وقولي هذا المعجم يراد به معجم الحيوان . أما سبب تسميتي لهذه الفصيلة باسمها العلمي هذا فعن الكتاب الآتي وقد ذكرته بين أساندي وهو من أحدث الكتب وأوسعها في المقدمات وهي الرتبة العليا من رتب الحيوان والكتاب هو

Elliot, A. Daniel. A Review of the Primates, New York 1912

فقد جاء ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم في المجلد الثالث ص ١٨١ وفي الحاشية ما ترجمته :  
« لما كان نموذج القرود المعروفة باسم سيميا هو قرد المغرب فان سيمييدا لا يمكن ان يتخذ اسماً لفصيلة القرود العظيمة . ولما كانت كلمة بنجواقدم اسم جنسي اقترح لهذا الحيوان فانه ينبغي اتخاذه اسماً للفصيلة لذلك كانت كلمة بنجييدا الاسم الصواب » . انتهى والترجمة حرفية  
ثم بحث الدكتور اليوت في ص ١٧٢ في قرد المغرب وناقش العلماء في صحة هذه التسمية مما لا حاجة الى الاسهاب فيه . ولا يخفى ان اسم الفصيلة Family مأخوذ من اسم الجنس النموذجي لذلك يقال فصيلة البشر من « هومو » اللاتينية اي الانسان في آخرها لاحقة من أصل يوناني فتصير هوميديدا وترجمتها ابناء الناس اي البشر وهذه اللاحقة معناها في الاصل ابن كما قال اليونان جفنيدي وعباسيدي اي ابن جفنة وابن العباس وعند المحدثين فيليبديس وقسطنطينيديس ابن فيليب



وابن قسطنطين وعند العرب في اسماء الحيوان ابن كقولهم ابن آوى وابن عرس والجمع بنات على ما هو مشهور . وهذا الاستعمال اصطلاح حديث جرى عليه العلماء وهو في الاصل قديم في اليونانية كما تقدم في قولهم ابن جفنة وابن العباس فيجب ان يكون الاصطلاح العربي كما هو عند العلماء اي يؤخذ الاسم الجنسي وتصاغ الفصيلة منه فيقال فصيلة البشر وفصيلة السراييب وفصيلة الابل وفصيلة الابل وفصيلة الداسيق من اسم الجنس وهو الانسان والبعير والابل والدعسوقة على الطبيع والنشر ومثل ذلك فصيلة السنابير وفصيلة الكلاب وهلم جرا . اي ان الفصيلة ينبغي ان تكون باسم الجنس النموذجي او اقدم جنس وضعه علماء الحيوان فان اقدم جنس من هذه الفصيلة اي بنجييدا هو الجنس المعروف باسم بنجو فيكون من الطبيعي ان تسمى هذه الفصيلة باسم بنجييدا كما اثبت الدكتور اليوت . ثم ان بعض العلماء منهم ليناس سموا هذا القرد باسم سيميا ومعناه القرد وسموا هذا القرد عينه سيميا ساتيرس اي القرد ساتيرس ومعنى ساتيرس كما بينت في معجم الحيوان ص ١٥ وما بعدها السعير او السعلاة وكان الها عبده اسلافنا فضلت السعلاة أي جريت على تسمية العلماء ومن شاء زيادة ايضاح في ذلك فليراجع ما كتبه بلنيوس وما جاء في اساطير اليونان عن ساتيرس وما كتبه علماء التوراة في كلمة ساتيرس لانه كان الها عبده الساميون . فلو كان اسم هذا القرد عفريتاً لكانت القاعدة ان تسمى الفصيلة فصيلة العفاريث ولو كان ملاكاً فصيلة الملائكة اي ان الفصيلة يجب ان تسمى باسم هذا القرد عينه لا باسم قرد آخر

\*\*\*

هذا وقد ثبت اخيراً ان علماء الحيوان قد اخذوا برأي الدكتور اليوت اي بعد مضي عشرين سنة او اقل من ذلك فقد اطلعت على كتاب في اللبونات جمعه الميجر فلور لجمعية الحيوان البريطانية وهو عضو فيها والكتاب آخر كتاب تعتمد عليه الجمعية في اسماء الحيوان وهو مطبوع سنة ١٩٣٠ اي انه احدث من كل كتاب آخر في تصنيف الحيوان والأسماء المعتمدة في بريطانيا واميركة وقد جاء فيه ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم العلمي اي بنجييدا ونبد الاسم القديم اي سيمييدا مع الاشارة اليه بين قوسين في قوله ان بنجييدا هو سيمييدا عند بعض المؤلفين اي ان جمعية الحيوان البريطانية اتبعت في ذلك تسمية الدكتور اليوت الاميركي فالعلماء لا يبالون بصغار الامور كما يفعل بعض المشارقة في ايماننا فلا يقول الواحد منهم مثلاً هذه كلمة وضعها كوفي او بصري او عربي او فارسي او عراقي او سوري او مصري وينبغي ان ارفضها او اغير فيها بعض التغيير او امحذلق فيها بعض المحذلق لان واضعها ليس من قومي بل يقولون كما قال النبي الكريم اطلبوا العلم ولو بالصين الى آخر الحديث . فالميجر فلور الانكليزي وعلى شدة تعصب الانكليز لقومهم قبل التسمية التي وضعها الدكتور اليوت الاميركي اللعين وقبلتها جمعيتها البريطانية الانكليزية لانها صواب



ونما يسرني ان صديقي الاستاذ اسمعيل مظهر جرى على مذهب كبار العلماء فنبد كل كلة قسم لانها خطأ وكان يقولها قبلاً وقبل كلة قبيلة وكان قبلاً يقول القبيل لان القبيلة اصلح او لعله اصابه ما اصابني فجمع القبيل على قُبُل فانصرف ذهنه الى المفرد ونقيضه كما انصرف ذهن صفي الدين الحلي فنظم فيه شعراً اي صفي الدين يعده ارباب الفن من جيد الشعر . واملي كبير ان الصديق المحقق يقبل اصطلاحات اخرى متى وجدها صواباً فيكون عمله هذا قدوة تحتذيها

\*\*\*

انتهت المداعبة الى اجل . قلت وقد اخطأت في الشقوق وجعلتها في معجم الحيوان من فصيلة السعالي وكان يجب اخراجها وجعلها فصيلة على حدة كما فعل الميجر فلور في كتاب اللبونات المشار اليه والميجر فلور كما لا يخفى كان مديراً لحدائق الحيوان في مصر وهو مواليدي مشهور كذلك ابوه قبله . اما الفصيلة التي وضع فيها الشقوق فهي الفصيلة الآتية

Hylobatidae. The Gibbons. فصيلة الطافرات في الشجر وهي الشقوق او الجبابين

والواحد جبَّون

الطافرات في الشجر فصيلة من مرتبة اي رتبة البشرات وهي اي الفصيلة تشمل الشقوق على أنواعها والكلمة يونانية الاصل في صيغة لاتينية ومعناها الماشيات في الشجر وربما كان قولنا الطافرات في الشجر اصلح منها لانها اكثر ما ترى في الشجر تطفر فيه من غصن الى آخر . اما قولي الشيق بمعنى الجبَّون فقد ذكرته في معجم الحيوان ص ١٥ وذكرت السبب الذي دفعني الى تسميته بهذا الاسم . وقد قلت البشرات ترجمة لكلمة انثروبويدا كما قال الاستاذ اسمعيل مظهر لا كما كنت اقول قبلاً لان البشرات اصلح

وايضاحاً لما تقدم أقول :

Primates

رتبة المقدمات

هي رتبة من طائفة اللبونات تشمل مرتبتين البشرات والشبهيات

Anthropoidea

مرتبة او ردف رتبة البشرات وهي تشمل البشر وجميع القروء

Lemuroidea

مرتبة او ردف رتبة الشبهيات وهي تشمل الهوابر على أنواعها

اما أشباه البشر ففصيلتان وقد تقدم ذكرهما فهاتان الفصيلتان يقال لهما الاشباه او اشباه البشر فلو خصصنا الفصيلة الواحدة بالاشباه فماذا نسمي الفصيلة الثانية . هذه هي المسألة الدقيقة لذلك أرى ان خير الامور هو اتباع العلماء في تصنيف الحيوان لاننا اذا تصرفنا في التصنيف فان المسألة تصير فوضى او تزيد عرقلة



# العنصر الثالث والتسعون

## كشف طبيعي خطير

تختلف العناصر في وزنها الذري (Atomic weight) من الايدروجين (وزنه الذري واحد) الى الاورانيوم (وزنه الذري ٢٣٨) وتختلف كذلك في خواصها الطبيعية والكيميائية . فبعضها غازي كالكسجين والايدروجين والنيتروجين والكلور وبعضها سائل في الاحوال العادية كالزئبق والبروم ، والباقي جامد كالذهب والفضة والكربون والفسفور . بعض المعادن صلب قاس كالبلاتين والاريديوم وبعضها لين كالصوديوم والبوتاسيوم . الليثيوم معدن خفيف يطفو على سطح الماء مع ان الاسميوم معدن يفوق وزنه النوعي specific gravity وزن الماء النوعي اثنين وعشرين ضعفاً ونصف ضعف . ثم ان هذه العناصر تختلف لوناً . فالححاس احمر والذهب اصفر واليود رمادي قائم والفسفور ابيض . وبعض الفلزات كالنيكل يصقل حتى يخطف البصر بلعانه ، وبعضها يمكن صقله ولكنه يظل مكمداً فلا يلمع . الذهب لا يكمد عند تعريضه للهواء وأما الحديد فيصدأ وأما اليود فيتصعد . وبعض هذه العناصر يتحد بذرة واحدة من الاكسجين وبعضها بذرتين وبعضها بثلاث ذرات . ومنها طائفة قليلة كالپوتاسيوم والفلور شديدة الفعل يصعب تناولها بالانامل ومنها عناصر لا يطرأ عليها تغيير ما طال الزمن . تباين في الصفات والخواص يحير اللب ! ولكن العناصر مع ذلك لا تخرج عن كونها اثنين وتسعين عنصراً ، من الايدروجين ورقه الذري atomic number واحد الى الاورانيوم ورقه الذري اثنان وتسعون

فما هو السر في ترتيب العناصر ترتيباً عديداً صاعداً من ١ الى ٩٢ يتفق وتدرجها في الوزن ؟ ظل هذا السؤال من دون جواب ، حتى قام موزلي قبيل الحرب بمباحثته الخالدة ، فبيّن الصلة بين هذه الارقام الذرية وعدد الكهارب في كل ذرة من الذرات او بالحري بعدد الكهارب حول كل نواة منها فقد كانت الذرة في نظر علماء عصره ، مبنية من نواة حولها كهارب . وكانت النواة في رأيهم مبنية من كهارب وبروتونات ، ولكن عدد البروتونات فيها يفوق عدد الكهارب اي ان عدد الشحنات الموجبة في النواة يفوق عدد الشحنات السالبة . واذن فلا بد ان يكون حول النواة عدد من الكهارب يقابل عدد البروتونات الفائض في النواة

وعلى ذلك كانت ذرة الايدروجين - وهو أبسط العناصر وأخفها - مبنية من نواة فيها بروتون واحد وحولها كهر واحد . والهليوم يلي الايدروجين . ورقم الهليوم الذري ٢ فما الصلة بين هذا الرقم وبناء ذرته . ان النواة في ذرة الهليوم مبنية من اربعة بروتونات وكهرين . اي ان الشحنات الموجبة فيها تزيد شحنتين على الشحنات السالبة . واذن فالذرة تحتاج الى كهرين حول النواة لتعديل فعل البروتونين . واذن فرقم الهليوم الذري يتفق وعدد الكهارب التي حول النواة . اما الاورانيوم فهو أثقل العناصر وعدده بينها ٩٢ ورقه الذري ٩٢ كذلك . فهل ثمة صلة بين رقمه الذري وعدد



الكهارب حول نواته كالصلة بين رقم الهليوم الذري والكهرين اللذين حول نواته ؟ ان نواة ذرة الاورانيوم مبنية من ٢٣٨ بروتوناً و ١٤٦ كهرباً فعدد البروتونات الذي يفيض على عدد الكهارب في نواة الاورانيوم ٩٢ بروتوناً فهي تحتاج الى ٩٢ كهرباً لتعديلها واذن فرقم الاورانيوم الذري متفق وعدد الكهارب حول نواته . وقد تغير الآن النظر في بناء النواة ، ولكن ذلك لم يغير الصلة بين الرقم الذري وعدد الالكترونات التي حول النواة في كل ذرة من كل عنصر

هذا البناء يعمل فعل الاشعاع . ان ذرات العناصر الثقيلة غير مستقرة البناء فتتحلل الى ذرات عناصر أخف منها وفي خلال انحلالها تطلق نواها بعض الدقائق . فالاورانيوم يتحول مثلاً الى راديوم . والراديوم يتحول الى رصاص فتنتطق منه في خلال هذا التحول دقائق الفا ( وهي نوى عنصر الهليوم ) ودقائق بيتا ( وهي كهارب ) واشعة غاما ( وهي من قبيل الاشعة السينية ) ولكنها أشد اختراقاً منها للمواد

أفلا يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم ؟ أي ألا يمكن ان يكون عدد العناصر اكبر من ٩٢ عنصراً ؟ كان الرأي انه لا يمكن ان يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم لانه اذا وجد انحل لساعته ، إذ لا بد ان تكون ذرته أقل استقراراً في بنائها من ذرة الاورانيوم . ولكن المباحث النظرية التي قام بها جينز وادلفتن وغيرها حملتهم على القول بأنه اذا لم تكن الاحوال على الأرض موافية لوجود عنصر أثقل من الاورانيوم فالراجح ان في قلب النجوم عناصر مشعة لا يقابلها الاورانيوم والراديوم وقد ذهب ادلفتن الى ان عدد العناصر هو ١٣٦ عنصراً على الاكثر

وفي اوائل هذه السنة كشف الاستاذ جوليو الفرنسي وقرينته ( وهي ابنة مدام كوري ) ان في الامكان احداث اشعاع وقتي في بعض العناصر غير المشعة باطلاق هليومات ( اي نوى ذرات الهليوم ) عليها فأطلقا هذه الهليومات على عناصر البور والمغنيسيوم والالومنيوم فنشأ منها اشكال مشعة — ولكن اشعاعها وقتي — من عناصر النتروجين والسلكون والفسفور . وما لبثت مباحث جوليو وقرينته حتى تأيدت نتائجها بنتائج التجارب التي أجريت في جامعتي كمبريدج وكاليفورنيا . ولكن الباحثين في انكترا استعملوا البروتونات بدلاً من الهليومات وفي كاليفورنيا استعملوا الدوتونات ( نوى الايدروجين الثقيل ) وكان الغالب في تجارب هؤلاء العلماء ان اطلقوا مقذوفاتهم على بعض العناصر الخفيفة . ولكن فرمي — وهو عالم ايطالي شاب في الثانية والثلاثين من عمره — اطلق النوترونات على العناصر الثقيلة ومنها الاورانيوم أثقل العناصر على الاطلاق ، فتكوّن لديه عنصر أثقل من الاورانيوم دعاه بعضهم « سوبر اورانيوم » — اي فوق الاورانيوم — واطلق عليه غير « العنصر الثالث والتسعين » والظاهر ان النوترون الذي يطلق على الاورانيوم ينقسم الى قسمين عند اصطدامه بالذرة فيندمج البروتون بنواة الذرة فيزداد وزنها الى ٩٣ وينطلق كهربه ولكن هذا العنصر غير مستقر كما يتوقع فلا يكاد يتكوّن حتى ينحل



## أخونا سليم

لما توفي شاهين بك مكاريوس سنة ١٩١٠ نعاه الدكتور صرُوف — رحمة الله عليهما — في المقطم بعنوان « أخونا شاهين » فقال : — « أصبحنا نحن الثلاثة اصحاب هذه الجريدة اشبه الناس في اعتبار الجمهور بالشخص الواحد ، منا بثلاثة اشخاص . فكم من كتاب يأتينا كل يوم معنوناً باسم « الدكتور صرُوف نمر » او باسم « نمر مكاريوس » كان لا فرق في اعتبار الكاتب بين يعقوب صرُوف ، وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس . وكثيرون من الذين يفرقون بيننا ويعلمون اننا ثلاثة لا واحد ، يحسبوننا ثلاثة اخوة ابناء اب واحد وام واحدة ويظهرون من العجب والدهشة ما لا يوصف ، كلما علموا اننا ثلاثة رفقاء لا قرابة بينهم ولا نسب . . . »

تآخى الآباء وتآزروا ، فلا عجب في ان يمتد أثر تآخيمهم وتآزرهم الى الابناء ومن يلي الابناء من الاهلين مع ان الاسر الثلاث ما تزال حتى الساعة لا تربط بينها رابطة نسب . وكذلك رزى اليوم وقد قضى الموت علينا بنعي سليم مكاريوس الى قراء المقطف ، ان ادل كلام على مكانته في نفوسنا ، وحسرتنا على فقده ، هو قولنا : « أخونا سليم »

\*\*\*

نشأ سليم مكاريوس في بيت علم وفضل واجتهاد فطمح من صباه الى التشبه بأساطين العلم وكان له من ذكائه النادر ونشاطه العجيب ما بعث فيه الرغبة وأحيا فيه الامل فطلب العلم في مدارس بيروت ومصر ونبع بين اقاربه فكان أنجب طلبة جامعة بيروت الاميركية الى العام الذي أتم فيه دروسه فيها . وعلق الفلسفة وأحب بحوثها حباً جماً وأحاط بغذائها ولا سيما الحديث منها وآثر من هذه فلسفة هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي فكان يعرف اصولها وفروعها معرفة تامة فلما زار صاحبها في داره في مدينة بريطن بانكلترا وحادثه ولم يكن قد جاوز الحادية والعشرين دهش الفيلسوف لسعة علمه وصحة مداركه وامتلاكه لناصية الانكليزية وأعجب بهذا الشاب الشرقي الأسمر اللون فلما فارقه الفقيه ليزهد الى لندن وباريس اعطاه كتباً من كتب التعريف والتوصية الى جماعة من خيرة اعضاء نادي الاثنيوم وهو ندوة العلماء والكتتاب بلندن فتوصل من هناك الى معرفة طائفة من كبار رجال العلم والصحافة كالبرنس كروبتكين والمستر سدي وب (اللورد باسفلد الآن) وفريته والسر راي لنكستر والطبيب السر لودر برتن والسر ميخائيل فوستر الفسيولوجي وشارل جيد العالم الاقتصادي الفرنسي وغيرهم

ودرس الحقوق في مدرسة الحقوق الفرنسية واجتاز امتحاناتها السنوية في فرنسا بنجاح عظيم



فلما اراد اجتياز امتحان المعادلة كان بين ممتحنيه المرحوم رشدي باشا فطرح عليه سؤالاً عادياً فأجابه الفقيه عليه وقال لرشدي باشا لماذا لا تتفضل بأسئلة أصعب من هذا السؤال السهل فدهش رشدي باشا وابتدعه بأسئلة عويصة فكانت اجوبته عليها في منتهى الاحكام ومن ذلك الحين اتخذه صديقاً وقدمه الى المرحومة قرينته الاولى . ولقي مثل هذه العناية من السر ملىكم مكرات المستشار القضائي في ذلك الحين ففتح له أبواب مكتبته يطالع فيها ما يشاء ويأخذ منها ما يشاء وبعد ما اشتغل بالحمامة مدة رغب عنها الى الصحافة وقد نشأ في وسط صحافي فأنضم الى قلم تحرير المقتطف ثم عين مكاتباً في مصر لجريدة الديلي مايل فظل يكتبها نحو عشرين سنة ودعته ادارتها الى ان ينتظم في هيئة تحريرها بلندن فلجى الدعوة ، وقدر لورد نورثكليف صاحب الديلي مايل كفاءته واخلاقه فانزله منزلة رفيعة من الاعتبار وبلغ من دالة الفقيه عليه انه كان يستعمل مكتب اللورد الخامس كأنه مكتبه بل فعل ما لم يتفق مثله في ادارة جريدة كبيرة فانه كتب مرة مقالة عن « كسوف الشمس » وبعد ما دارت آلات الطباعة مدة خطر له ان يبدل عبارة في المقالة وينقل موقعه من اسفل المقالة الى اعلاها فنزل الى مكان المطابع وأمر بوقف الطبع وبديل العبارة واقتضى ذلك تبديل الصفحات التي هي فيها ونشأ عن العمل ان تأخر توزيع الجريدة في شمال انكلترا . ونفي الخبر الى اللورد نورثكليف فأرسل اوامر مشددة بمعاقبة من يعد مسؤولاً عن الحادث حتى ابلغه رئيس التحرير ان الآلات وقفت « بأمر مكاربوس » فعدل عن العقوبات ولكنه افهم الفقيه ان ما صنعه محذور لم يسبق له مثيل ولا يجوز ان يعاد . ولم يستقل من مكتبة الديلي ميل الا في مطلع الثورة المصرية لانه اختلف وهيئة تحريرها في الرأي وعرف هناك اللورد رودمير شقيق نورثكليف ثم اللورد بيربروك صاحب الديلي اكبرس وكنا يزورانه في منزله عند زيارتهما لمصر ويرحبان به في لندن ويعداناه من اصدقائهما

\*\*\*

ولما كان في لندن حينئذ زارها الوفد البرلماني العثماني برئاسة طلعت باشا الصدر الاعظم الاسبق وكان حينئذ رئيساً لمجلس المبعوثان فطاف بهم الفقيه على ادارات الصحف وانشأ لهم اتصالاً بهيئتان سياسية وعلمية وادبية واقتصادية واعجب طلعت باشا بمقدرته ونفوذه فعرض عليه ان يتقلد منصب مستشار للسفارة العثمانية في لندن فاعتذر الفقيه عن القبول بحجة انه يؤثر العمل الصحافي على سواه . ثم زار استانبول بعد ذلك وكان طلعت باشا قد قلد وزارة الداخلية فاحسن استقباله وكان يأخذه معه الى الباب العالي وقد اشتبك ذراعهما واعاد طلعت باشا في استانبول ما عرضه عليه في لندن فأبى قبوله معتذراً وشاكراً . ومن الزعماء الدين توطبت صلة الصداقة بينه وبينهم المستر مكدونالد عرفه في مطلع حياته السياسية ولقيه لما زار مصر سنة ١٩٢١ وشرب الشاي عنده ولما زار الفقيه لندن في صيف ١٩٢٩ دعاه المستر مكدونالد الى زيارته في داره في ١٠ دونج ستريت البقية في باب الاخبار العلمية



# احداث معجزات الصوت

الاصوات الحادة النبرات تحلل السوائل وتقتل البكتيريا وتساق البيض سلقاً خفيفاً  
وتهدم المباني الضخمة وتشل الافاعي بالانغام المنتظمة  
نقلًا عن مجلة العلم العام الاميركية : ترجمها عوض جندي

جاء من امريكا انه قد تم اطلاق مدفع ضخم من المدافع الحربية الساحلية ٧١ طلقة في ميدان من  
مياذن التجارب الحربية ، طوله اربعة اميال ، حيث نصبت عدة ميكروفونات على ابعاد يسيرة  
بعضها عن بعض . وكان ذلك الميدان مجهزاً عند القيام بالتجربة ، بفلم متحرك ، يطبع عليه بطريقة  
اوتوماتيكية ، عند كل طلقة ، خط متمعج يبين سرعة موجة صوت المدفع في الثانية الواحدة . وكانت  
الميكروفونات متصلة باجهزة مركزية دقيقة جداً تقدر الزمن تقديراً صادقاً . وقد قسمت فيها الثانية  
لواحدة الى ١٠٠٠ جزء . فاسفرت التجربة عن تمكن الدكتور ديتون ملر ، الاستاذ بمدرسة العلوم  
التطبيقية في كليفلند بولاية اوهيو ، من جمع المعلومات التي تدرع بها الى تحديد سرعة الصوت في  
الثانية الواحدة تحديداً صحيحاً . وبعد ما حسب حساباً لعوامل الحرارة والرطوبة والضغط الجوي  
والانحماط الارياح وسرعتها استدلل على ان سرعة الصوت المضبوطة في الهواء ١٠٨٧٦١٣ من القدم في  
الثانية وكانت قبل تختلف من ١٠٨٥ قدماً الى ١٠٨٩ قدماً في حساب العلماء

ويتوقع العلمون ان هذا المقياس الصحيح لسرعة الصوت سوف يفيد فوائد جليلة في كثير  
من ميادين العلم . ذلك لانهم اصبحوا يستخدمون الصوت خدمات شتى تبعث على الدهشة . فترى ربانة  
السفن مثلاً يتلمسون طرق مراكبهم ، عند انتشار الضباب الكثيف ، بوساطة جهاز يسجل الاصدااء  
الخافتة التي ترد من اجسام في طريقهم ، يحجبها الضباب عن انظارهم وكذلك يتسنى للخبراء الحربيين  
معرفة مواقع الطيارات الخفية المحلقة في اجواء بلادهم ، وتعين مواقع مدافع الاعداء القاصية  
بوساطة جهاز دقيق يسمى ( محلل الصوت )

ثم ان الاجهزة المستعملة لسبر اعماق البحار تمكن السفن المستخدمة لعملية المساحة البحرية  
من رسم خرائط الجبال والادوية الغائرة في اليم على عمق الوف من الاقدام . ويتضح من تجارب  
جربت في كاليفورنيا من عهد قريب ان امواج الصوت الوثابة قد ترشد الطيارين الذين يضلون طريقهم  
الى مبلغ ارتفاعهم الصحيح عن سطح الارض . وتقوم امواج الصوت في معامل الكيمياء بسلق  
البيض وكى الاصابع وتطهير اللبن مما يشوبه من الجراثيم وتغيير المواد الكيميائية وغيرها من الغرائب  
وقد عرض منذ عهد قريب الدكتور بيرس استاذ الطبيعة ( كرسي رمفورد ) في جامعة هر فرد



جهازاً يجعل « الاصوات الصامتة » مسموعة كأنها قصف الرعد . وهو جهاز حساس جداً يفهم صوت اشتعال ثقاب تفخياً شديداً جداً فيصيره كأنه قعقة عجلة في مركبة ثقيلة ، ويصير شخصاً قصاصة الورق كأنها دوي مدفع رشاش ، ويجعل انفاس طائفة من الناس الصامتين تدوي كقطع من الاقبال المجفلة ، حتى خشخشة النسيج في ثوب قشيب ، يتاح تفخيخها فتسمع في اطراف الحجرة التي يجتازها اللابس . ويتسنى التذرع بكشاف من هذا النوع الى التقاط الاشارات الواردة على الملتقط من عمق عشرة اميال في الماء ، لان سرعة اختراق الصوت للماء تفوق سرعة اختراقه للهواء اربعة اضعاف . ويمكن استخدام هذا الجهاز ايضاً في اثناء الحرب لارسال الاشارات لانه يلتقط الامواج الصوتية الدقيقة جداً ولا سيما السريعة التذبذب التي لا تستطيع الاذان البشرية سماعها اما خبراء مختبر « بل » التليفوني ، فقد عرضوا على مؤتمر المعهد الامريكي للمهندسين الكهربائيين ظواهر صوتية مذهشة ، فركبوا طائفة من الميكروفونات ومفخات الاصوات اللاسلكية ولسلك منها دائرة كهربائية خاصة فاستطاعوا ان يولدوا موسيقى ذات « ثلاثة ابعاد » واذاعوا الاصوات المطبوعة على اسلوب المتكلم من بطنه . ذلك ان النظارة وهم جلوس في الغرفة سمعوا ازيز طيارة محلقة فوق رؤوسهم فأشربوا اليها وشاهدوا دهشين مبوقاً يتمشى على مسرح بينما كانت الحان بوقه تنبعث من الموضع الذي كان واقفاً فيه ، ثم رأوا راقصاً يرقص متجهاً الى جهة واحدة ووقع اقدمه يسمع في الجهة الاخرى وعرض من يضع سنين في انكتر طائفة من الجرذان المغنية فتحتمس لرؤيتها فريق من المشاهدين واعتقد الفريق الآخر أنها تدجيل فلم يكتروا لها . وأسفر البحث عن كون الفريق الذي اعتقد أن الامر خداع ، ان افراده لم يستطيعوا سماع الاصوات الحادة التي كانت تصدر من الجرذان وهي تشدو بعضها مع بعض . والواقع ان آذاننا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً في قدرتها على التقاط الحان ، وان أخفت صوت نسمعه مؤلف من زهاء ٤٠ موجة في الثانية . وان أعلى صوت نسمعه مؤلف من ٤٠٠٠٠ موجة . وان طبقة الصوت تموقف على عدد موجاته ، وارتفاعه يتوقف على اطوال موجاته . واما سبب سماعنا طنين النحلة الطنانة حينما تحرك أجنتها ، وكوننا لا نسمع شيئاً عند ما يحرك امرؤ ذراعيه ، فلأن الانسان لا يستطيع تحريك ذراعيه بمثل السرعة التي تحركها النحلة اجنحتها فتولد موجات في كل ثانية تحدث صوتاً مسموعاً

وقد أعلن السير « فرنسيس غالتون » العالم البيولوجي البريطاني المشهور ( ١٨٢٢ - ١٩١١ ) أن السناير أحد الحيوانات سمعاً لأخفت الاصوات ، وعزا ذلك الى أجيالها التي عركها الدهر في صيد الفئران في الدجى فأضطرت الحياة الى ارهاق وسائل السمع . ومن ادوات التجارب التي اشتهر بها عصا كانت تعرف باسم « صفارة غالتون » وهي عصا ذات مقبض تُثبَّت فيه عجرة من الصمغ المرن تُركَّب في رأسها صفارة صغيرة . وجعل غالتون يطوف كل يوم في حديقة الحيوانات في لندن متوكئاً على تلك العصا وكان يقف هنيئة عند حظيرة كل طائفة من الحيوانات ثم يذني العصا من



الحيوانات ضاغطة مقبضها ، مراقباً كل حيوان يرهف أذنيه لسماع اللحن الحاد النبرات . وكان غالتون إذا لقي كلباً في طريقه ، صفر خلفه بعصاه ، فكانت الكلاب الصغيرة تلتفت إليه ، وأما الكبيرة فلم تحفل بالصفارة لعجزها عن سماعها

وفي أحد المختبرات العلمية في كليفورنيا تذرّع العلماء بمصابيح غاز النيون للكشفة ، إلى استنباط حقائق أخرى خاصة بتغريد الطيور البرية ، ف يرى المرء هاتيك المصابيح الكهربائية « تصور بالنور » أغاريد تلك الطيور وما فيها من الامواج الصوتية . والجهاز المستعمل لتلك الغاية من صنع الدكتور ملتن ميتفسل رئيس دائرة السيكولوجيا في جامعة كليفورنيا . وبيان ذلك أنه يمكن أحداث تقلبات في شدة استضاءة غاز النيون بواسطة صدح الطيور المحبوسة في الاقفاص فنظبع تلك التقلبات على قرص دوّار (كاسطوانة الجراموفون) بواسطة مجرى من النقط تمثل صورة الاغردة ، فاستدل من تلك المباحث على مبلغ تفوق الطيور على الانسان في مدى الالخان وجاء من جامعة جونز هوبكنز نياً استنباط بديع خاص بالأصوات المرتفعة الطبقات اذ تحقق الدكتور هبرد Hubbard أنه يستطيع تحليل السوائل المجهولة التركيب في معمل التحليل الكيميائي بإمرار امواج صوتية سريعة التذبذب لان لكل مادة من المواد المعروفة ميزة في توصيل الامواج بسرعة خاصة تختلف عن سرعة غيرها كل الاختلاف . فاذا مرّت الامواج في محلول ما بسرعة معينة ، استطاع المحلل الكيميائي معرفة كنه ذلك السائل والوقوف على عناصر تركيبه وتحديد مقدار كل عنصر منها ، وادرك أنني هو أم مزيج

وتجملت للباحثين حقيقة أخرى وهي استخدام امواج الصوت في تحليل اللبن اذ اعلن كل من الدكتور لولي تشمبرز والاستاذ نيوتن جاينز من اساتذة جامعة تكساس المسيحية ، انه اذا مرّ الحليب في قمع مثبت فيه انبوب من النيكل يخترقه عند مرور الحليب فيه صوت حاد ، قتلت امواج ذلك الصوت ما قد يوجد فيه من البكتريا وذلك بنسبة تتراوح بين ٨٠ في المائة ومائة في المائة حتى بعض الميكروبات التي لا تؤثر فيها البسترة ( تطهير اللبن بطريقة باستير ) تقتلها تلك الامواج

واعلن الدكتوران تشمبرز وفلوسدورف من اساتيد جامعة بنسلفانيا انهما استطاعا تضييب<sup>(١)</sup> بيضة دون رفع درجة حرارتها . لأن الصوت الحاد يولد تأثيرات كيميائية « تفاعلات » تجمد بروتين البيضة . ثم انهما تذرعا ببوق من ابواق الغواصات ، ذوات الامواج الصوتية الثاقبة التي تستعمل لتبادل الاشارات في اغوار البحر ، فتيسر لهما توليد غاز الاسيتلين من الزيوت النباتية واستخراج سكر العنب من سكر القصب وتحويل خلاص الاتيل الى حامض خليك ، بتوجيه صوت ذلك البوق اليها . وتفسير ذلك اللغز العلمي ان الامواج الصوتية تعجل بطريقة خفية ، سير الجزيئات في المواد التي تعالج بتلك الوسيلة ، فتحدث فيها تفاعلات كيميائية ذاتية

(١) ضهب البيضة — ساقها سلقاً خفيفاً من ضهب الشهيء تضييباً شواهد على حجارة دحمة وشواه ولم يبا لغ في تضجها — الفيروز يادي



وطالما اعلن العلماء ان امواج الصوت تدك الابنية المتينة وهذا حقيقي ، ولكنه عسير جداً . لانك اذا توخيت ذلك وجب عليك تسخير ٣٠ مليوناً من المبوقين لينفخوا في الصور بأقصى جهدهم لكي يولدوا ما يعادل قوة حصان بخاري واحد من الصوت . وعلى هذا الاساس يرى احد العلماء الأمريكيين انه يتاح صدع صرح الامبيرستيت <sup>(١)</sup> ثم هدمه ، متى استطعت توليد اللحن الصائب لذلك ، وواظبت عليه زمناً طويلاً موفور الضخامة . وهذا هو التعليل الذي يعلل به العلماء دائماً حادث سقوط اسوار أريحا من تبويق رجال جدعون

ومن هذا القبيل ما حدث في مصنع من مصانع احدى الاقاليم الشرقية بالولايات المتحدة من عهد قريب . وذلك انه كان في المصنع مروحة كبيرة تمتص الهواء من داخله ثم تدفعه في مدخنة من الآجر لتجديده . وكانت المدخنة بمثابة جزء متمم للجهاز المتحكم في هواء المصنع . فاذا دبرت المروحة دورانياً سريعاً ، أثرت في المدخنة تأثيراً شديداً يعرضها للتداعي فالانهيار . فخيل الى المهندسين ان العيب في المحرك الكهربائي ، فوضعوه فوق قاعدة صلبة من البرقاء <sup>(٢)</sup> فلم تنقطع الذبذبة بل ظلت على حالها . وحينئذ ضاق ارباب المصنع ذرعاً بالمدخنة فاستعانوا على تثبيتها بخبر من خبراء الصوت فجاء وخص الجهاز ، فتبين له ان المروحة متى دارت ، دفعت كل ريشة من ريشها موجة من الهواء في المدخنة . فاذا دارت المروحة بأقصى سرعتها اصبحت تلك الامواج الهوائية بمثابة امواج صوتية تحقق خفقاناً مطرداً فتشدد ذبذبة المدخنة اكثر فأكثر حتى تكاد تنقass . ثم استصوب معالجتها بتخفيف سرعة المروحة قليلاً فضؤل الخفقان وزال الخطر

ووقع في مدينة درويت حادث صناعي كان يلابسه اغز من الالغاز العلمية حلّسه علم الصوت ، وذلك ان مصنعاً من مصانع السيارات ، عرض ذات يوم نموذجاً جديداً من مركباته ، فكانت تلك المركبة اذا سارت بسرعة معينة ، ولدت صوتاً اشبه بطنين شنيع . فظنّه مهندسو المصنع ناشئاً من تروسها ، فقاموا بفحصها فلم يعثروا على اي عيب صناعي فيها واتفق ان كان احدهم من هواة علم الصوت ، فأدرك ان لذلك الطنين نبرة معينة تعادل ١٨٠ موجة في الثانية . وشاهد ايضاً ان السرعة التي تولد الطنين تجعل العجلتين الخلفيتين تدوران دورتين فقط في الثانية . فأحصى العقد المانعة الانزلاق فاذا هي تسعون عقدة في كل طوق من اطواق العجلات ( المصنوعة من الصمغ المر ) فاذا دارت العجلة دورتين في الثانية ولدت ١٨٠ هزة وهي التي يؤلف منها الطنين فاستبدلوا الاطواق بصنف آخر ، فانقطع ذلك الصوت الشنيع

واسفر استخدام الصدى عن استنباط مقياس جديد لقياس ارتفاع الطيارات في الجو بوساطة

(١) اعلى مباني العالم (٢) الابرق والبرقاء — الخرسانة — غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة — الفيروز ابادي — وقد أقرني على استعمال هذا اللفظ الدكتور معلوف باشا وقال انه مستعمل في العراق . انظر مقالنا ( الطبيعة رائد المخترعين ) في مقتطف فبراير الماضي



الصوت فيمكن الطيار معرفة مبلغ علوه عن الأرض ، وهو مثل المقياس الصوتي الذي يدل الملاحين على بعدهم عن قعر اليم . ومخترع هذا الجهاز هو الدكتور ( ليود لاساسو ) أحد علماء جامعة كليفورنيا . وقد جرّبه من عهد قريب بقرب لوس انجليس حيث حلّق في بلون من بلونات الاستكشاف حتى بلغ ارتفاعه ٧٠٠ قدم عن سطح الأرض وحينئذ ضغط زرّاً كهربائياً مسلطاً على بوق كهربائي فانبعث منه صوت مرتفع النبرة فاق دوي المحركات ووصل الى سطح الأرض في هنيئة ثم عاد الى البلون حيث التقطه ميكروفون منتخب منظم لالتقاط الاصوات الفريدة النبرة ، فلم يلبث الجهاز حتى حول الزمن المستغرق الى اقدام ، دلت الطيار على مقدار ارتفاعه عن الأرض

وقد قوبلت مقاييس الارتفاعات التي قيست بهذا الجهاز ، بما قيس بغيره من الآلات المعروفة فاختلفت عنها اختلافاً يسيراً ، لا يعدو قدماً واحدة في كل ٧٠٠ قدم . ودلت التجارب التي جربت فيما بعد ، ان ذلك الجهاز يكاد يستطيع التقاط الصدى في اثناء زول المطر وتخيم الضباب بسهولة كما يلتقطها في الجو الصحو . وبناءً على ما تقدم تقوم هذه الآلة الجديدة بإيضاح ارتفاع الطيار عن الأرض التي يحلق فوقها ، لا عن نقطة قيامه خصب ، بعكس المقاييس العادية . ومن ثم يرجى منه خير جزيل في الطيران الذي يحصل على غير هدى . ولم يبق أمام مخترعه إلا عقبة واحدة يرجو تذليلها وهي تأثير الاشجار والغابات في اخفات الاصوات ومنع صداها . ويتوقع الخبراء لهذا المقياس الجديد وامثاله فوائد شتى ، ولكنهم يرون انها سوف تصبح بلا فائدة ، حينما تخترع الطيارات السريعة التي تسبق الصوت ! ! والمعروف ان طيارات السباق قد تمكنت من قطع ٤٢٠ ميلاً في الساعة ، فلا يبعد ان تزيد سرعتها ٣٠٠ ميل أخرى فتصل الى ٧٢٠ ميلاً في الساعة وهي المسافة المساوية لسرعة الصوت وعرض المستر ( تشستر ريس ) أحد مهندسي شركة الكهرباء العامة في اميركا في فصل الصيف الماضي جهازاً آخر ، مما تستخدم فيه امواج الصوت بمثابة مساعد للملاحة ، وهو كناية عن آلة تعين الموضع بوساطة الصوت اذ تلتقط اصداء الصوت من الزوارق والعوامات واحواض السفن وقد تمكن بها المخترع من ارشاد زورق موطري وسقه ١٧ طنّاً الى السير في الضباب الكثيف في بوزار لوج بلند . واتيح له ايضاً الاهتداء الى البواخر التي كانت تبعد عنه نصف ميل ، والكشف عن الزورقات التي كانت سائرة بالمقاذيف على بعد ٨٠٠ قدم منه في الضباب . ولذلك يؤتى بثلاثة ميكافونات <sup>(١)</sup> وتوضع على دعامة صغيرة فوق السطح الاعلى للمركب على شكل مثلث فيصدر من احد الميكافونات صفير حاد يتجه اتجاهاً مستقيماً ، فاذا صادف شيئاً في طريقه انعكس الصوت عنه ، وكان الوقت الذي يستغرقه الصوت في اثناء انعكاسه ، والجهة التي ينعكس منها الصدى ، دليلين على المسافة والموقع اللذين فيهما نقطة الخطر . واعلى صوت سمعه العالم حتى اليوم ، هو انفجار بركان



« كراكاتوى » في جزائر الهند الشرقية الهولندية ، الذي حدث سنة ١٨٨٣ وسمع صدها كأنه قنبلة ضخمة صدمت الجو صدمة شديدة جعلت الامواج الهوائية تؤثر في الباروجرافات <sup>(١)</sup> تأثيراً دام مشاهداً طول الزمن الذي استغرقته ثلاث سياحات متوالية حول الكرة الارضية

وقد اتيح للعلماء حديثاً اختراع اجهزة تدل على الصوت وتطبع ارتفاع الاصوات العادية بوحدات تسمى decibels فاستدلوا بها على ان هزيم محرك الطائرة اشد من ازيز مصنع المراحل واستعمل المستر ريموند ديتمارز المشرف على قسم الحيوانات الثديية والزواحف في حديقة الحيوانات في نيويورك ميكروفونات ومنفخات للصوت حساسة جداً واخذ يصغي للاصوات المنبعثة من قرية الارضة فتسنى له بجهازه الدقيق التقاط اللفظ الناشئ من حركاتها في طرقاتها

وحدث مثل ذلك في تجربة اخرى في دار الاقاعي بالحديقة نفسها حيث قام المستر ديتمارز بتجربة تحرر بها تحقق تأثير الموسيقى في الشعابن فجاء بقيثارة شرقية من صنع الهند واخذ يعزف بها خلف حظيرة الصل المصري المعروف بالناشر ( حية الحواة ) وهو المعروف هناك بالملك الناشر لضخامته اذ يبلغ طوله ١٣ قدماً فجعل الصل يثب في الهواء عند ما سمع النغمة الاولى من نغمات القيثارة . وما لبث عند سماعه لحناً حاداً ان ترنح ترنحاً ضئيلاً وارتعد عنقه ثم سقط على الارض كأنه ميت وبقي على تلك الحال عدة ثوان ثم استأنف الثوب في الهواء

اما تأثير الموسيقى المسكنة والاصوات الجشعة في انفعالات البشر ، فمشهورة . وقد اظهرت المباحث الحديثة مبلغ ما يحدث في الدماغ والمعدة عند ما يطرق اذني المرء صوت جش . ودلت الآلات الصوتية الحساسة انه اذا انفجر كيس من الورق قريباً من اذن امرئ ، ارتفع الضغط في دماغه اربعة اضعاف الضغط الطبيعي . وثبت ايضاً في تجربة اخرى ان عمل المعدة الطبيعي يتعطل ثلثه من جراء اي صوت عنيف مزعج

اما الاصوات التي لا نستطيع سماعها على الاطلاق فقد تؤثر ايضاً تأثيراً ضاراً في اجسامنا كما ثبت ذلك في تجربة مذهشة قام بها الباحثون اذ استخدموا تياراً كهربائياً قوياً متناوباً فجعلوا طبقاً من البلور الصخري وضع في قعر باطية زجاجية كبيرة مملوءة ماء ، ينبض نبضات سريعة جداً بلغت تموجاتها ٦٠٠٠٠٠ في الثانية وحينئذ بدت للمشاهدين مناظر غريبة اذ اخذت الاعشاب العائمة في ذلك الماء تتفتت والسمك والضفادع <sup>(٢)</sup> تهلك كأنها اصيبت بأفة ذريعة خفية وهي متأهبة للسباحة . وكذلك شعر الناس الذين غمسوا اصابعهم في الماء نفسه بالآلام حادة جعلتهم يرفعون اصابعهم حالاً . ثم جيء بحيط طويل من الزجاج فوضع طرفه بين الاصابع ووضع طرفه الآخر في الماء فاكتوى الجلد كما يكونه سلك محمي لدرجة الاحمرار

(١) الباروجراف : بارومتر تنطبع فيه انطباعاً او توماتيكياً تقلبات الضغط الجوي

(٢) راجع فصل « غرائب امواج الصوت » في كتاب « فتوحات العلم الحديث » صفحة ١٨٩



(١)

## روسيا بعد القيصر

من لنين الى ستالين

لم يلق البلاشفة عناء كبيراً في تقلد ازمة السلطان . فكادت ثورتهم في نوفمبر ١٩١٧ ان تكون ثورة بلا دم . وتسنى لهم ان يصدوا شبح الجوع ، صدًا وقتيًّا بمصادرة الطعام . وعقدوا الصلح مع المانيا في برست ليتوفسك . ولكن المشكلات المعقدة كانت لا تزال امامهم ويجب ابداع حلول لها . كيف ينشئون نظاماً شيوعياً في بلاد سكانها نحو ١٥٠ مليوناً موزعين في مساحة تقدر بنحو ثمانية او تسعة ملايين من الاميال المربعة ويتكلمون اثنتين وستين لغة مختلفة ؟

كان سقوط القيصر ايذاناً بنشوب حرب اهلية . ولكن لو كان اعداء لنين وصحبه ، محصورين في الروس المقاومين للشيوعية لكان الامر قليلاً على اصحاب النظام الجديد . غير ان الحلفاء كانوا قد عزموا ان يبذلوا ما في وسعهم لنزع السلطان من الحزب الذي حمل روسيا على عقد الصلح مع المانيا فأيدوا الروس البيض (المقاومين للبلاشفة وهؤلاء يعرفون بالروس الحمر) بالمال وفي ربيع سنة ١٩١٨ انتهى الى لنين في بتروغراد ان فرقاً من جيوش الحلفاء والروس البيض كانت تجمع قواها على حدود روسيا لمناصبة البلاشفة العداة

كان الاميرال كولشاك في الشرق يقود جيشاً من الروس البيض ويحاول ان ينشئ حكومة روسية معادية للبلاشفة في سيبيريا . وكان اليابانيون يؤيدونه ويشدون ازره . بل علاوة على ذلك كان ثمة جيش تشكوسلوفاكي مؤلف من ٤٠ الف جندي يحاول الاتصال به . وكان التشكوسلوفاكيون من ابناء امبراطورية النمسا والمجر ، فأرأوا في الحرب الكبرى فرصة سانحة للفوز باستقلالهم . وكان بعض رجال هذا الجيش قد فرّ الى روسيا ليحارب في صفوف جيشها . وبعضهم كان في صفوف الجيش النمساوي فأسره الروس بملء ارادتهم . فلما وقع الانقلاب الروسي ، كان جميع التشكوسلوفاكيين المقيمين في روسيا ، قد نظموا فرقة كبيرة تعرف بالفرقة التشكوسلوفاكية ، وكان البلاشفة قد سمحوا باعادتهم الى بلادهم عن طريق سيبيريا وأميركا ولكنهم اشتبكوا على ما يقال بفريق من مسرحي الاسرى الالمان والنمساويين فصدرت الاوامر اليهم بالقاء اسلحتهم . فرفضوا وتمردوا على الاوامر . فحاول الروس تفريقهم . اما الذين كانوا منهم الى شرق جبال الاورال فتمكنوا من الاجتماع والاتحاد . وأما الذين كانوا الى غرب الاورال فحاربوا حرب اليأس المستميت حتى تمكن معظمهم من الاجتماع



برفاقهم . فاستبشر الاميرال كولشاك بقول جيش مستميت يحارب به الروس الأحمر وكانت الحالة في الجنوب تبعث على اليأس ، في نفس غير راسخة العزم . ولكن لنين امتاز بعزمه الحديدي ، وارادته التي لا تقهر . ذلك ان قوزاق مقاطعة الدون كانوا قد اتحدوا وانشأوا حكومة ، غرضها مقاومة اية حكومة تحاول ان تنتزع منهم الاملاك التي ما زالوا يتوارثونها من مئات السنين . وفي غرب القوقاس ، قام قائد يدعي دينكين فجمع جيشاً وحارب به البلاشفة في شتاء سنة ١٩١٨ الى صيف ١٩١٩ وكان في قبضة يده اهم مدن روسيا الجنوبية . وكان دينكين كالاميرال كولشاك يتناول مدداً مالياً وعسكرياً من الحلفاء . ففرنسا كانت قد بعثت بفرقة من جيشها الى مدينة اودسا ، والانكليز ارسلوا طائفة من سفنهم الحربية الى باطوم وباكو اما في غرب روسيا ، فكان الالمان قد آتدوا فريقاً من شعب اوكرانيا ، فأنشأ حكومة مقاومة للشيوعية . وفي بولونيا ، كان الجنرال بلسودسكي ، على رأس حركة قومية عنيفة بلغت في فتوحاتها مدينة كييف . وفي الشمال كان الانكليز قد انزلوا شراذم عسكرية في مدينة أركنجل ، وكانت بوارجهم رابضة في خليج فنلندا . وكان الانكليز يؤيدون في عملهم هذا قائداً يدعى يودنتش أعداً خطة لمهاجمة بتروغراد ، في ربيع سنة ١ٹ١٩ بجيش من الروس البيض والاستونيين والبريطانيين . فلما عرفت في بتروغراد أبناء هذه الخطة ، حدث فيها زعراً أو ما هو من قبيل الذعر . فسكان المدينة كانوا يعلمون انهم لا يستطيعون المقاومة فجعل الشعب يستعد لاستقبال الفاتحين . حتى لنين نفسه كان قد ضيّع كل أمل في الفوز . وكان في نيته ان يخلي بتروغراد وينقل الحكومة الى موسكو . ولكن تروتسكي اقنعه بالصبر ، وبعث بشاب شيوعي من سكان جورجيا — يدعى ستالين — ليجمع جيشاً من عمال المصانع ففاز بمشهد مجموعة بأسة من الرجال . وقد وصفهم الجنرال كراسنوف ، وهم مسوقون الى الدفاع عن بتروغراد فقال : « صفر الوجوه ، يعلو جباههم تقطيب ، غاروا الحدود والعيون ، ضيقوا الاكتاف ، مرتدون سراويلات طويلة ، وأحذية كبيرة . . . »

ولكن جيش ستالين وتروتسكي اتى الرعب في قلب يودنتش ، فترجع قليلاً ينتظر المدد الانكليزي . ولكن المدد الانكليزي لم يصل وكذلك انقذت بتروغراد الحمراء هنا انقلب التيار . ففي الشرق تعذر على كولشاك ان يجمع بين فرق التشكوسلواكيين وجيشه فتمكن الشيوعيون من هزيمتهم ، كل فريق منهم على حدة . وفي الجنوب تلقى ستالين من لنين امراً بانشاء فرقة من الفرسان الأحمر ، فأنشأها وردّها بها الجنرال دينكين الى البحر ، فلم يبق من جيش دينكين الا شرذمة في القريم بقيادة الجنرال قرنجل . ولكن الجيش البولوني ظل خطراً يهدد البولشفية . فردّ الخطر في اكتوبر سنة ١٩٢٠ لما عقدت روسيا الصلح مع بولونيا ، وخرجت ظافرة ، بعد ثلاث سنوات من الحرب والنزاع

وقد يتعذر على الباحث ان يعلل ظفرها . والغالب ان الباعث الاول على ظفر البولشفيك انما



كان تفرق الكلمة في صفوف أعدائهم . فقد قال المؤرخ الانكليزي ستيفن غرايهم في كتابه عن ستالين ما معناه : كان لا بد من انتصار البيض ولكن رأيهم السياسي كان موزعاً . فما كان يعملون في سبيل من يحاربون ، أفي سبيل جمهورية دستورية او في سبيل القيصرية . . . . . وزادت البلبلة في مجالسهم بوجود وكلاء انكليز وفرنسيين . وجل عناية هؤلاء كانت موجهة الى الاعمال المالية الكبيرة لا الى روسيا . اما اعمال الارتكاب والفساد في جيوشهم فكانت تكون علنية . والواقع ان حديث المقاومة للشورة البولشفية حديث بشير الاشفاق على القائمين بها .

وكان يقابل هذا في صفوف البلاشفة اتحاد كل الاتحاد ، وحاسة كل الحماسة ، في سبيل فكرة عظيمة ، وغاية يرنون اليها ، ألا وهي روسيا الشيوعية . فعوضهم ذلك شيئاً مما كان يعوزهم من النظام والمؤونة والملابس . ان حكايات انتصاراتهم في هذه الحروب ، لمن أمجاد هذا الجيل من الروسيين . وقصص بعض الابطال الذين استشهدوا في معاركها ، أصبحت أشبه بالاساطير التي تروى عن أبطال القدماء .

ثم ان جانباً كبيراً من ظفر روسيا في هذه الحروب ، يرتد الى شخصية زعيم البلاشفة الحربي - ليون تروتسكي - فقد قضى تروتسكي سنوات هذه الحروب ( ١٩١٨ - ١٩٢٠ ) في القطار متقللاً من مكان الى مكان ، ومن ميدان الى آخر . كان تحت امرته ، في ميادين الحروب المختلفة ستة عشر جيشاً روسياً ، وكان عليه ان يبقى على صلة بها جميعاً للاشراف على خططها واعمالها ، وليكون صلة بينها وبين الحكومة البلشفية الجديدة . فكنت تراه يوماً في بتروغراد وآخر في سامراء وفي سمولنسك وفي كييف وفي كرونستاد . ولا تنس ان روسيا المترامية الاطراف كانت تحارب في الشرق وفي الغرب ، في الشمال وفي الجنوب فكان تروتسكي في ناحية يحمي الجيش المحارب بضباط يتولون قيادته ، وفي ناحية اخرى يوزع الاحذية والملابس ، وفي ثالثة الخرائط والخطط ، وفي رابعة يحول الاسرى من الروس البيض الى فرق عسكرية في الجيش الاحمر بعد ان يلبس نفوسهم بخطبه النارية . وفي خلال كل ذلك كان على اتصال تلفوني دائم بالعاصمة . وكذلك كان وصول قطاره الى أقصى الميادين ايذاناً باتصال الجيش في ذلك الميدان بالجيش الاحمر قاطبة في سائر الميادين . ويقال أنه قطع في خلال تلك السنوات مسافة لا تقل عن مائة الف ميل او قد تزيد .

ولكن العامل الأ كبر في فوز روسيا ، كانت شخصية لينين لأن جميع اعمال الحكومة كان مرجعها اليه .

وكان انتهاء الحرب ، ايذاناً للزعيم لينين بمواجهة أعقد المشكلات . ففي خلال الحرب ، كان حكمه قائماً على اساس من دكتاتورية عسكرية شيوعية ، فكل ما يحتاج اليه الدولة من المؤن والذخائر ، كانت تصادره . بل كانت الحكومة تتناول المواد الخام من المنتج وتوزع عليه - على قدر - الخبز والملابس والاحذية . فكان هذا النظام قريباً بعض القرب من المثال الذي بنيت عليه



جمهورية أفلاطون . ولكن الفلاحين لم يقتنعوا بأن يعملوا عمالاً لا يجنون منه ربحاً ما . وكانوا علاوة على ذلك يلومون الحكومة ، كلما اضطرب أمر من أمورهم أو اختل شأن من شؤون حياتهم . ففي السنتين اللتين تلتا الحرب الاهلية أصيبت روسيا بجفاف أضرَّ ضرراً بالغاً بمحصول سنة ١٩٢١ فمات ملايين من الفلاحين جوعاً . فرأى لنين ببصيرته النافذة ، ان الفلاحين لا بد أن يحجموا عن الزرع لمحصول السنة التالية ، الا إذا أرضاهم بعض الارضاء . وكانت الطريقة الفردة لهم على الزرع ، وعدمهم بجانب من الربح . ولكن ذلك يعني التخلي عن بعض المبادئ الشيوعية الاساسية ، والارتداد الى اصول الحكم الذي قضى عليه لنين وصحبه

وكذلك وجد لنين نفسه في مأزق . أبتخلى عن مبادئ حزبه ، او يتمسك بها وهو مقتنع بأن تمسكه يعني امتناع الزراع عن الزرع ؟ ومما يدلُّك على جرأة لنين انه فضل الاول ، وهو يعلم ان ذلك الى حين ، فأعلن خطة اقتصادية جديدة تعرف بهذا الاسم عند الافرنج ويرمز اليها عادة عند الانكليز بالحروف اللاتينية الثلاثة N. E. P أي New Economic Policy وبمقتضى هذه الخطة اذن للفلاحين في ان يحتفظوا بمحصولهم ، وان يبيعوه في الاسواق بأنفسهم ، وفرض طبعاً على المحصول ضريبة تجنيها الحكومة . ولكنه سلم بمبدأ الملك الخاص ، وهو ما يتناقض مع مبادئ الشيوعية . اما الشيوعيون المستقيمون الرأي فرأوا في خطة لنين الجديدة قضاءً على الشيوعية ، وكان تروتسكي في مقدمتهم . الا ان لنين كان يعلم ان هذه الخطة هي الطريقة الفردة لاجتناب الموت جوعاً . فلما كانت سنة ١٩٢٤ وقد نسي الناس الجوع وشبحه ، شرع لنين يتراجع رويداً رويداً على الخطة الاقتصادية الجديدة ، واخذ ينشئ تدريجاً ، الشيوعية الخالصة من شوائب الملك الخاص . فشجع الفلاحين على ادماج حقولهم الصغيرة في حقول كبيرة ، يكون ملكها مشتركة بينهم . وأغرام بعد ذلك بتوزيع الارباح المشتركة في المزارع المندمجة على أصحابها . أما في المدن فكانت الدولة مهيمنة على المصانع ، لان أصحابها ما كانوا يستطيعون انشاءها او العمل فيها إلا باعتمادان تفتح لهم في البنوك . والبنوك كانت ملك الدولة . وكذلك تحولت القوى الاقتصادية في روسيا رويداً رويداً الى الخضوع لسيطرة الحكومة ، فأصبح الدولة الروسية دولة اشتراكية ، نظراً وفعلاً وبعد ما فاز لنين بمحل المشكلتين الحربية والاقتصادية ، واجه المشكلة السياسية . هنا أمه عدد ابنائها نحو ١٥٠ مليوناً يتكلمون نحو ٦٢ لغة ، فكيف ينشئ منها دولة اشتراكية مندمجة بالمعنى السياسي ! فكان ردُّ لنين : حكومات سوفيتية ( مجالس عمال ) مستقلة استقلالاً ذاتياً ، وللحزب الشيوعي الروسي ، الاشراف والسيطرة عليها

فعهد في كل قرية وكل مدينة ، الى مجلس سوفيتي في الاشراف على حكومتها المحلية . وفرض على كل مجلس سوفيتي في القرى والمدن ان يبعث بممثل الى المجلس السوفيتي الخاص بالمقاطعة ، ومجالس المقاطعات تبعث بمندوبيها الى مجلس الولايات ، ومجالس الولايات تبعث بمندوبيها الى مجلس

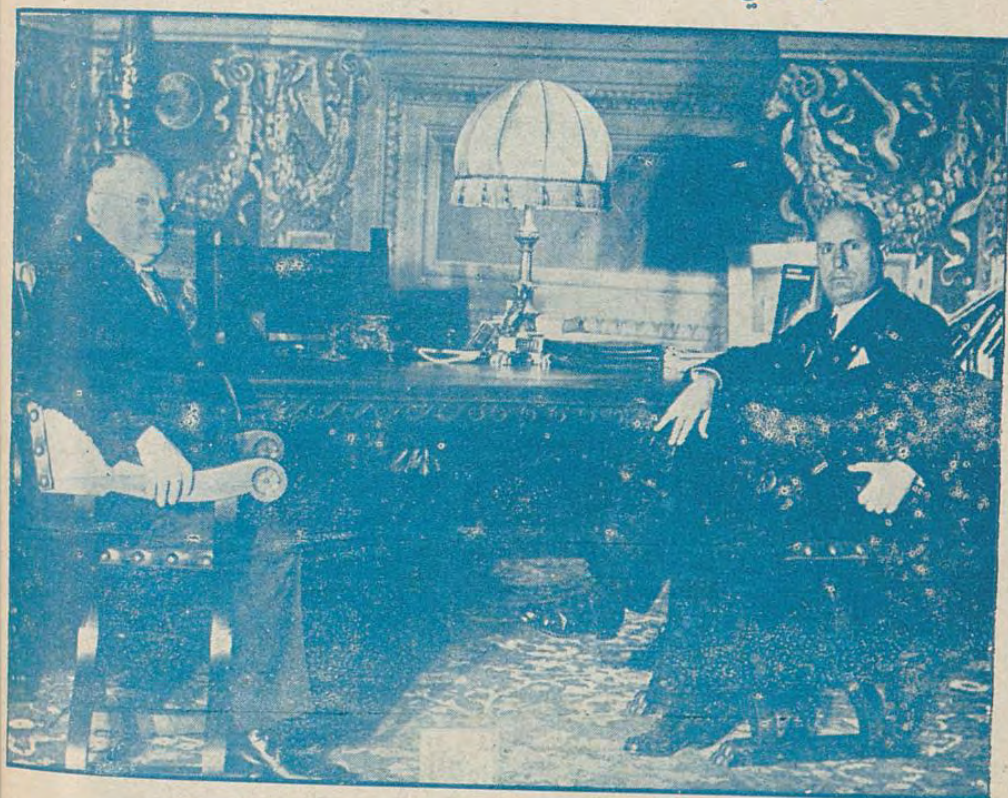




ستالين



زوتسكي



لتفينوف وزير خارجية روسيا (يسار القاري) والسنيور موسوليني  
مقتطف اكتوبر ١٩٣٤  
أمام صفحة ٢٠٥



السوفيت الأعلى للجمهورية. وقسم البلاد الى ست جمهوريات - هي جمهورية روسيا وجمهورية روسيا البيضاء ، وجمهورية اوقرانيا ، وجمهورية عبر القوقاس (وهي مؤلفة من جورجيا وارمينيا وازينيان ) وجمهورية أذربك وجمهورية التركمان . من هذه الجمهوريات الست ينتخب اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، وهو ما يعرف اليوم عادة باسم روسيا عند ما نقول مثلاً ان لتفنينوف وزير خارجية روسيا - ويرمز لروسيا عادة بالحروف التالية U. S. S. R. فكل جمهورية من هذه الجمهوريات تبعث بممثلها الى مؤتمر اتحاد السوفيت الاعلى ، والمؤتمر ينتخب لجنة لتصريف شؤون الاتحاد ، تعرف باللجنة المركزية القومسارين . ولتفنينوف في هذه اللجنة قومسير الشؤون الخارجية

ولولا الحزب الشيوعي وسيطرته على المجالس السوفيتية من ادناها الى اعلاها ، لنتفرق شمالها ولغلبت عليها الثروة . والحزب الشيوعي فريق مختار من الرجال والنساء قد لا يزيد عدد اعضائه على المليون كثيراً . وهم يتصفون بالحماسة لنظامهم الجديد وبمعرفة مبادئه وأساليبه ، وخاضعون لنظام دقيق ازمته في ايدي لجنة الحزب المركزية . وكذلك يتاح للجنة الحزب المركزية ان تسيطر على اعمال كل مجلس سوفيتي في روسيا فتصدر المجالس قرارات في الشؤون المختلفة بحسب التعليمات الواردة اليها من هذه اللجنة . ولنين نفسه لم يكن رئيساً لاتحاد جمهوريات السوفيت بل سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي ، وهذا المنصب جعله دكتاتور روسيا ، وقد خلفه ستالين فيه بعد موته

تم وضع دستور اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في سنة ١٩٢٣ ولكن الجهد الذي بذله لنين في معالجة مشكلات روسيا الكبرى من ناحية الفلسفة الشيوعية ، كان فوق طاقة الجسم البشري وكان في سنة ١٩٢٢ قد اصيب بشلل موضعي فلما اتم وضع الدستور الجديد ، كان جسمه قد اقوى فتوفي في يناير سنة ١٩٢٤ ولكن روسيا كادت لا تصدق ان لنين قد مات . كان قد مضى عليه ست سنوات وهو حاكها المطلق . بل هو الذي انشأها على المثال الجديد ، وأفرغها في هذا القالب الفذ . انقذه من القيصر ومن الدول المركزية ومن دول الحلفاء ، ومن الموت جوعاً ومن التفرقة والانحلال السياسي . كان الروسيون يصغون الى خطبه باجلال ويقرأون كتاباته باحترام . كان لنين بطل جيل بأسره من الروس . فكيف يموت هذا الرجل ؟ !

\*\*\*

نظر شيوعيو روسيا بعين الاحتقار والامتهان الى الدول الاوربية وهي تحاول ان ترم حضارتها بعد ما كادت الحرب الكبرى ان تأتي عليها . فالنزعة الوطنية التي اكتسحت اوربا الوسطى لم تكن في رأيهم الا عذراً لظلم الاقليات وتوطئة لحروب وطنية مقبلة . والنزعة الامبريالية التي سادت بريطانيا وفرنسا كانت عندهم ، وسيلة للاستبداد بالشعوب المتأخرة وتمهيداً لحروب امبريالية قادمة . والنظام الاقتصادي القائم على المزاحمة والمنافسة لم يكن الا اسلوباً من اساليب تجميع الثروة في ايدي الطبقة العليا من المجتمع الاوربي والاستبداد بالعمال . اما في اتحاد جمهوريات روسيا



السوفيتية فكانت جميع القوميات والطبقات متساوية في الحقوق . فليس ثمة طبقة تستبد بطبقة لان جميع الروس كانوا طبقة واحدة ، ذلك ان جميع الروس كانوا عمالاً

ولكن هذه النظرة لم تكن ان الشيوعيين حلوا جميع مشاكلهم . بل الواقع انهم كانوا في مطلع الكفاح لحلها . وكان لنين قد عين الاغراض التي يتجه اليها الحزب الشيوعي الروسي ، وخص بالذكر منها غرضين : اما الاول فتتظيم اتحاد جمهوريات روسيا السوفيتية ، حتى يرتفع مستوى المعيشة فينعم كل واحد من السكان البالغين ١٦٠ مليوناً ، بالرغد والرخاء . وأما الآخر فهو نشر التعاليم الشيوعية حتى تعم الثورة الشيوعية انحاء العالم

فأي غرض من هذين الغرضين يقدم على الآخر ؟ هذا هو السؤال على قول هملت . فكان رأي تروتسكي ، ان الشيوعية ، دولية في نزعها ، واذاً فالواجب على الشيوعيين الروس ان يبذلوا ما في وسعهم لاحداث الثورة العالمية . وكان شعاره شعار الاشتراكيين القديم : « يا عمال العالم اتحدوا » . غير ان لنين كان يعتقد ان الغرض المقدم ، انما هو تنظيم روسيا على اساس اشتراكي . فاذا تم ذلك امكن الاهتمام بالغرض الآخر واصبح تحقيقه اهون منلاً . فاذا حاول الروس احداث الثورة العالمية قبل تنظيم بلادهم ، لم يكن من شأن الشيوعية الا احداث فوضى عالمية . وكذلك قرر لنين ان ينصرف عن السعي لاحداث الثورة العالمية ، الى العناية بتحقيق سياسته الاقتصادية الجديدة فأعاد الى الحياة الاقتصادية الروسية ، شيئاً من نزعة المنافسة الرأسمالية في الصناعة والتجارة ، لئلا ينفر منه جماعات الفلاحين المحافظين

فلما توفي لنين في سنة ١٩٢٤ اعيد النظر في السؤال نفسه : اتقدم الثورة العالمية على تنظيم روسيا الاقتصادي او تسير روسيا بحسب الخطة التي وضعها لنين قبيل وفاته ؟ وكان المرجح ان يخلف تروتسكي زعيمه لنين . ولكن زعماء الحزب الشيوعي الروسي ، كانوا قد اخذوا يشكون في صلاح تروتسكي لمنصب الزعيم ، لشدة معارضته في خطة لنين هذه ، ولقوة ايمانهم بها . وكان كنيف وزينوفيف من اتباع لنين وأيدهم في ذلك سكرتير لنين المعروف باسم ستالين . فتمكن هؤلاء الثلاثة من اخراج تروتسكي من الحظيرة المختارة في الحزب الشيوعي . وتسلموا هم مقابلد الامور . ولكن حكم الثلاثة لم يدم طويلاً . فقد كان كنيف وزينوفيف من رجال الثورة والشعب المتمرسين بأساليهما . ولكن الحزب الشيوعي حينئذ كان لا يحتاج الى امثالهم من الرجال ، بل كان في حاجة اشد الى رجال يحسنون الادارة والتنظيم . فالبث ستالين حتى اسقطهم من مكانهم وأصبح هو وحده يحكم الحزب الشيوعي ، بل وروسيا كما فعل لنين حكماً دكتاتورياً

كان ستالين ، مجهولاً عند سواد الروسيين ، عند ما تسلم مقابلد الحكم ، بل وكان من قبل يعرف في صفوف الحزب الشيوعي باسم « سكرتير لنين الصامت » . ولكنه في الواقع كان قد بذل احسن سني حياته ، من مطلع القرن العشرين ، في سبيل الشيوعية



وهو ليس روسي المولد . بل مسقط رأسه ولاية جورجيا في القوقاس . ولد سنة ١٨٧٩ من صانع احذية يدعى دوجاشفيلي ، وكل جل رجاء والده ، ان يصبح ابنه قسيساً . ولكنه قبل ان يدرك العشرين من العمر ، ادركه كتاب ماركس فقرأه . وفي سنة ١٩٠٣ التقى بلنين فتم اعتناقه للذهب الشيوعي . وبدلاً من ان يصبح قسيساً مسيحياً ، اصبح مبشراً بالشيوعية . قضت عليه سنوات ، وهو يعمل في هذه السبيل في مدينة تفليس ، في صمت وهدوء . وقبض عليه ما لا يقل عن خمس عشرة مرة فنفي او سجن . وكان في كل مرة يفر من السجن او من المنفى . فاطلق عليه لين لقب « الرجل الصلب » — ومن هنا اللقب الذي اشتهر به اي « ستالين » . فلما كان شهر يونيو سنة ١٩١٧ سئحت له فرصة للظهور . وكان الحزب الشيوعي في حاجة ماسة الى المال . فعلم ستالين ان مبلغاً كبيراً من المال — مقداره ٢٤٠ الف روبل — على وشك ان ينقل الى بنك في تفليس . وان اوراق النقد سوف تكون في كيس يحمله الصراف وتحرس مركبته سيارة بوليس وزمرة من فرسان القوزاق . فلم تكد العربدة تخرج من المحطة يحيط بها الحرس ، حتى انفجرت قنبلة تحتمها ، فانقذف الصراف من العربدة ، واطلقت الخيل العنان ، واضطرب الحرس واختلط الحابل بالنابل ، وفاز رجال ستالين بالمال

عند ذلك اصبح ستالين محل ثقة الزعيم لينين . وهو من ناحيته آيد زعيمه بوجوب الاعتماد على العنف في اغتصاب مقاليد الحكم . وسار وراءه في انقلاب اكتوبر سنة ١٩١٧ . وفي خلال الحرب الاهلية كان لينين يعهد اليه في ادق الامور . ولما هددت جنود الروس البيض مدينة تسارنس ، نظم ستالين شؤون الدفاع عنها . فصمدت في وجوه المحاصرين . وظل فيها يثير روح الحماسة ويتولى اسباب النظام حتى استدعاه تروتسكي غير منه على ما يقال . وقد كان الدفاع عن هذه المدينة من عجائب افعال البولشفيك في الحرب الاهلية . لذلك اطلق عليها بعد انتهاء الحرب اسم ستالينغراد نسبة الى ستالين ، منظم الدفاع عنها . وفي سنة ١٩١٩ بعث بستالين لمقاومة الاميرال كولشاك في سيبيريا . فلما هدد بودنتش مدينة بتروغراد استدعاه لينين الى مركز القيادة العامة . ثم لما هاجم الجنرال دنيكين المنطقة الصناعية في حوض الدونتر ، ارسل ستالين للدفاع عنها ، فنظم فرقة من الفرسان الحمر ، واكتشف جندياً عبقرياً لقيادتها يدعى بودني ، فطرد دنيكين من تلك المقاطعة ولكنه استشهد بعيد ذلك فأصبح اسمه عالماً من أعلام الوطنية الجديدة ونسج حوله خرافات سداها ولحمها احاديث البطولة والشجاعة والاستشهاد

وفي سنة ١٩٢٢ خلا منصب السكرتير للحزب الشيوعي فعرضه لينين على تروتسكي فرفضه ولكن ستالين قبله لأنه أدرك ان هذا المنصب يقرّبه من لينين السكرتير العام ، ويمكنه من القبض على اعنة الحكم متى سقطت من يدي الزعيم . وقد كان ما توقع



# تجار الحرب

اصحاب مصانع الاسلحة خطر على السلام

منذ ما وضعت الحرب اوزارها وانظار الشعوب تنو الى ما وعدهم به رجال السياسة من ان الغرض من الحرب الكبرى انما هو القضاء على الحروب او بكلام الرئيس ولسن الغرض منها « ضمان سلامة العالم للحياة الديمقراطية ». لذلك توالى المحادثات في موضوع نزع السلاح وخفضه وتحديد من مؤتمر وشنطن البحري ( سنة ١٩٢١ - ١٩٢٢ ) الى مؤتمر نزع السلاح الذي اصبح في عرف الناس جميعاً مؤتمراً للتسلح . في خلال هذه السنين ، اذ كان الوزراء ودعاة السلام يتحدثون في نزع السلاح في عواصم الدنيا الكبرى ، في وشنطن ولندن وباريس وروما وطوكيو ، كانت مصانع السلاح ، تصنع المدافع والدبابات والطائرات والدروع والقنابل والغازات الخائقة والسكيمات الواقية منها ، بل ان اصحاب هذه المصانع ، كثيراً ما روجوا اشاعات الحروب ، ونشروا الدعايات القائمة على أنباء مختلقة في صحف اشتروها بالمال ، لكي يثيروا المخاوف في صدور الناس ، ويحملوا الحكومات المتنافسة على شراء الاسلحة والذخائر واعدادها لليوم العصيب . هؤلاء هم تجار الحرب ، الذين يثرون من تأجيج نيرانها ، فلا يتورعون عن أية وسيلة في سبيل تأجيجها

\*\*\*

ولعل المستر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح وهو الداعية الجواله للسلام في عواصم اوربا ، من أدرى الناس بما يصنعه هؤلاء التجار . فمن عهد قريب ، اذ كان هندرسن يعد حقايبه لیسافر الى باريس فالى جنيف ، لیسعی مساعیه الصادقة في سبيل نزع السلاح ، والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، وقف اثنان من مواطنيه في جماعة من حملة الاسهم في شركتيهما ، فألقيا خطبتين زلزلتا كصاعقتين على رأس هندرسن فنبطتا من عزمه وفلسا من نشاطه ، لانه ادرك حينئذ أن قوى عظيمة تعمل من وراء ستار على احباط المساعي العظيمة التي يبذلها . هذان الرجلان هما السر روبرت هيدفيلدز رئيس شركة هيدفيلدز ليمتد والسر هربرت لورنس رئيس مجلس ادارة شركة فكرز وكلتا الشركتين من اكبر شركات صنع السلاح في بريطانيا

فالسر روبرت هيدفيلدز ، قال في التقرير الذي قدمه للمساهمين عن الارباح التي ينتظر توزيعها : « ولحسن الحظ اتجهت الاحوال اتجاهاً طيباً بعد وقوع الازمة العالمية ، واننا لشاكرون للنعم التي حيينا بها . بل ان شكرنا لا أعظم ، للنعم التي تتوقعها » ثم قال : —

« من عهد قريب صنعت شركة هيدفيلدز قنبلة قطرها ١٥ بوصة ووزنها طن ..... فلما اطلقت على درع معينة اختفتها مزيلة في اختراقها ما وزنه ٧٣٥ رطلاً من الصلب القاسي ، وظلت بعد



اختراقها للدرع حائزة لسرعة مكنتها من الانطلاق مسافة تسعة أميال . هذه القنبلة تضع في ايدي المهاجمين قوة عظيمة لا توصف » . اما زميله السر هربرت لورنس فقد اعلن في خطبته ان الشركة ربحت في السنة السابقة ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وان مجلس الادارة ينوي ان يوزع ارباحاً قدرها ٤ في المائة . ثم قال ان من بواعث سروره ورضاه ، ان الطلبات على الاسلحة من شركة فكرز التي يرأس مجلس ادارتها قد زادت زيادة كبيرة في تلك السنة

﴿ سوق السلاح ﴾ وقد اتسعت سوق الاسلحة والذخائر الحربية اتساعاً عظيماً ، بعد التقدم العظيم الذي طرأ على ادوات الحرب وأساليبيها من الوجهة الصناعية والعلمية . فالجندي الكامل العدة في العصر الحديث ، ليس ألاّ معملاً علمياً متحركاً ، ورغماً عن خطب رجال السياسة ، في سنة ١٩١٩ على اثر انتهاء الحرب ، وتسليمهم جميعاً بأن الاحتفاظ بالقوى المسلحة في المستوى الذي كانت فيه لا بدّ ان يسفر عن نشوب حرب اخرى ، نرى جيوش اليوم وهي اوفر عدة ، وأشدّ بطشاً من جيوش سنة ١٩١٩ . ومع ان عدد الرجال في الجيوش ما يزال عنصراً خطيراً في تنظيم كل جيش ، الا اننا نرى ان التقدم العلمي والصناعي في صناعة الاسلحة الهجومية والدفاعية قد حول مركز الثقل في تنظيم الجيوش من الرجال الى الاسلحة . ويقدر ما ينفق على جيوش الامم وأساطيلها الجوية والبحرية كل سنة بنحو الف مليون جنيه . من هذا المبلغ ١٥ في المائة من ميزانيات الجيوش و ٥٠ في المائة من ميزانيات الأساطيل ، ينفق على الاسلحة والذخائر المختلفة هذه الجيوش المجهزة باحدث وسائل الحرب ، هي الميدان الذي يتجه اليه اصحاب مصانع السلاح لترويج بضائعهم ومصنوعاتهم . واليك التقدير التقريبي التالي للجيوش الاوربية

عدد الرجال	عدد الرجال	
٢١١٥٩٢	٧١٧٧٥٠	فرنسا
٢٤٠٥٠١	٨٠٣٨٤	بلجيكا
٤١٤٨٥٩	٢٦٥٩٨٠	بولونيا
٥٦٢٠٠٠	١٥١٤٣٥	تشكوسلوفاكيا
		روسيا

أما المانيا فخيشتها النظامي بحسب معاهدة فرساي يبلغ مائة الف جندي ، ومن وراء هؤلاء الآن مليونان ونصف مليون من فرق الهجوم وفريق كبير منهم بحسب اعتراف قوادهم قد اتخذ رويداً رويداً شكلاً عسكرياً . وهذه الارقام لا تشتمل على نحو ٣٥ مليون جندي من الجيوش الاحتياطية المدربة في بلدان اوروبا المختلفة التي تقتضي اعداد المعدات لها وخزنها حتى يمكن استعمالها يوم تنشب الحرب . والمعدات تتباين من المدافع والقنابل الى الرشاشات والدبابات الى قنابل الغاز والكمامات الواقية منها . وهذه جميعها تصنعها مصانع الاسلحة وتبيعها للدول

﴿ النفقات البحرية ﴾ أما النفقات البحرية ، في الدول البحرية الكبرى ، فعظيمة جداً .



فنفقات بريطانيا البحرية قد زادت من ٥١ مليوناً من الجنيهات في سنة ١٩٣١ الى ٥٥ مليوناً ونصف مليون في سنة ١٩٣٤ . وميزانية اليابان البحرية قد زادت من ٢٢٧ مليون ين في سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢ الى نحو ٤٨٨ مليون في سنة ١٩٣٤ - ١٩٣٥ وينتظر ان تبلغ ٦٠٠ مليون ين في سنة ١٩٣٦ أما نفقات الولايات المتحدة البحرية فقد قدرت بنحو ٦٧ مليون جنيه لسنة ١٩٣٤ وبنحو ٩٥ مليون جنيه لسنة ١٩٣٥ ومائة مليون جنيه لسنة ١٩٣٦

ولما كانت هذه الاموال تنفق على ما يقال في سبيل الدفاع ، وحماية مصالح الدول التي تنفقها، فمن المعقول ان تتوقع من الحكومات ان يكون لها مصانعها الخاصة لصنع الاسلحة المختلفة ، كما تحتفظ كل دولة بحقها في ضرب النقود . ولكن الواقع ان الحكومات المختلفة ، تعتمد في الغالب على مصانع الاسلحة التابعة لشركات خاصة، وتسمح لهذه الشركات في ان تبحث عن أسواق لمصنوعاتها، عند ما تستطيع ان تنتج منها علاوة على ما تحتاج اليه حكومتها ، حتى تبقى هذه المصانع مستعدة لتجهيز حكومة بلادها بما تحتاج اليه عند نشوب الحرب . وهنا تجد مفارقة عجيبة في صناعة السلاح . البوارج ، والطيارات ، والدبابات ، والرشاشات ، والقذائف ، والقنابل ، والغازات - جميع هذه الاسلحة رمز للنزعة القومية الشديدة . ولكن أصحاب المعامل التي تصنعها لا يؤمنون إلا بالنزعة الدولية ، لأنهم يريدون ان يبيعوا أسلحتهم الى اكبر عدد من الدول ، سواء أكانت صديقة لبلادهم ام خصماً لها . ومع ذلك تجد ان أصحاب هذه المصانع كلمة خفية ، ولكنها كلمة مسموعة، في المجمع التي تقرّر فيها الخطط العليا التي تجري عليها دولهم في السياسة العالمية ﴿ مصانع الاسلحة الشهيرة ﴾ ليست أسماء هذه المصانع مشهورة شهرة وزراء الخارجية الذين يلقون الخطب الرنانة في وجوب خفض السلاح والتعاون لمنع الحرب والتضافر على رفع مستوى الحياة الانسانية بتعزيز السلام وتوفير اسباب العمل لبنائها ، ولكن أثر هذه الاسماء قد لا يقل عن أثر وزراء الخارجية أصحاب الخطب الرنانة !

والواقع ان عدد المصانع المسيطرة على تجارة الاسلحة قليل قد لا يعدو اصابع اليد الواحدة وفي مقدمتها جميعاً شركة ف.ك.ر.ز. البريطانية ، ولهذه الشركة فروع كثيرة واغلب ما تخرجه من الاسلحة تبيعه للحكومة البريطانية ولكنها لا تمتنع عن تلبية طلبات الحكومات الاجنبية وهي مثل جميع مصانع الاسلحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة البريطانية ورئيس مجلس ادارتها الآن كان ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش البريطاني . ومن الشركات المتصلة بها او التي من قبيلها شركة «أمبريال كميكلز» التي تخصصت في ادوات الحرب الكيميائية ، علاوة على صنع الاسمدة

أما في فرنسا، فثمة اتحاد لصناع الاسلحة يعرف باسم «كوميتيه ده فورج» ورئيس مجلس ادارته رجل يدعى فرنسوى وندل وهو من أصحاب النفوذ العظيم في دوائر السياسة الفرنسية . وأهم شركة داخلية في هذا الاتحاد شركة «شنيدر كروزو» التي تبيع اسلحتها لحكومة فرنسا وسائر بلدان العالم



وقد قضت معاهدة فرساي ان تمكك المانيا معامل الاسلحة فيها كعامل كروب وسيمز . ولكن يقال الآن — وقد اعترفت الحكومة الالمانية بذلك ضمناً في مذكرتها بتاريخ ( ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ للحكومة البريطانية ) — بأنها ماضية في التسلح . والاحصائيات التجارية تدل على ان المانيا تصدر أسلحة وذخائر ، وتستورد المعادن المختلفة وبعض الادوات اللازمة في صناعة الاسلحة وأهم معمل للأسلحة في اوربا الوسطى قائم في تشكوسلوفاكيا ويعرف باسم معمل سكودا وله فروع مختلفة في مدن مختلفة في رومانيا وبولونيا ، وهو خاضع لمعمل شنيدر كروزو الفرنسي . وهذه الظاهرة اي ظاهرة اتحاد معامل الاسلحة الدولية من اغرب الظواهرات في هذه الصناعة التي يقال فيها ان غرضها الاول انما هو اعداد معدات الدفاع عن البلاد التي يكون المعمل فيها ، بل لقد قيل ان لشركة شنيدر كروزو حصصة كبيرة في اتحاد الماني لصنع السلاح

هذا في اوربا — فكرز وشنيدر كروزو وسكودا في المقدمة — اما في الشرق الاقصى فصانع منسوي في اليابان اهمها : وهذه المصانع مشتركة او متحدة بمصانع فكرز الانجليزية . ومع ان في إيطاليا وبلجيكا مصانع للأسلحة ، الا أنها لا تبلغ في مقامها الدولي مقام المصانع التي ذكرناها اما في الولايات المتحدة الاميركية فلست تجد كذلك شركات ضخمة لصنع الاسلحة من مقام فكرز ولكن ٩٥ في المائة من معدات الجيش الاميركي تصنع في مصانع شركة بيت لحم ( اي مفارقة في اطلاق اسم بيت لحم حيث ولد عيسى على شركة لصنع السلاح ) وشركة دوبون . وهذه الاخيرة اقتصت بالاسلحة الكيميائية

المصانع والعداوات القومية من يطلع على البرقيات التي تنشرها الصحف العربية كل يوم ، يدرك مبلغ العنف والحدة في العداوات القومية في اوربا ، ولكن اصحاب مصانع الاسلحة لا يابهون لذلك كثيراً ، فانهم يبيعون اصدقاء بلادهم كما يبيعون اعداءها . وثمة في بحارة الاسلحة شيء لا تراه في غيرها ، فزيادة الطلب على احدى الشركات ، لا يعني ان الشركات الاخرى تحرم منه ، بل ان الزيادة تشمل جميع الشركات على السواء ، بل تكون باعثاً على توسيع نطاق الطلب لان الدولة الواحدة التي توصي بصنع قدر من الاسلحة في احد المعامل ، لا تلبث ان ترى مزاجتها وقد اوصت على قدر اكبر منها في معمل آخر . واذا استنبطت شركة من الشركات وسيلة جديدة تسرع جميع الامم الى شرائها لكي لا تحرم من ميزاتها ، فلا تلبث ان تستنبط شركة اخرى ، وسيلة جديدة لمقاومتها ، فتقبل جميع الدول التي اشترت الاسلحة الاولى على شراء الاسلحة الجديدة . وهذه الحقيقة في بحارة الاسلحة ، افضت الى التعاون بين شركات الاسلحة في مختلف الاقطار ، ومن هذا التعاون نشأ المخاطر التي تهدد السلام . ذلك ان مصانع السلاح يهتمها ، ان تنشئ جواً من الريبة والخوف يحمل الدول على التسلح

وكانت جمعية الامم قد عينت لجنة سنة ١٩٢١ للبحث في هذا الموضوع فأنتجت على صنّاع



الاسلحة باللوم الشديد ، وقالت ان ممثلها عمدوا الى خلق إشاعات الحرب ، ورشوا موظفي الحكومات ، وأذاعوا بيانات مختلفة عن الاستعداد البحري والبري والجوي في دول مختلفة ، وحاولوا التأثير في الرأي العام بواسطة الصحف — كل ذلك لكي يحملوا الدول على التنافس في التسلح لان هذا التنافس سبيلهم الى الثروة والسلطان . ولذلك يقول السر روبرت هد فيلدز ، ان شركته يجب ان تكون عظمة الشكر لما حبيت به من النعم . والنعم في نظره طبعاً ، هي زيادة الطلب على المدافع والبنادق والقنابل وسائر الاسلحة التي تصنعها شركته

✽ السلام ومندوبو مصانع السلاح ✽ نشرت احدى الصحف في اوائل الصيف انه بينما كان جو الاستعداد لاستئناف مؤتمر نزع السلاح رائقاً راجت اشاعة ، أخذت جنيف فجأة ، مؤداها ان الدول قررت فض المؤتمر من دون ان تحاول الخروج من المأزق الذي بلغته المفاوضات . فاضطربت جنيف لذلك ، واضطربت معها الدوائر الدولية العالمية ولكن الدول اسرعت الى تكذيب الاشاعة وكان الميسو بارتو وزير خارجية فرنسا من أصرحهم في تكذيبها

ولست هذه الاشاعة بالاشاعة الاولى التي تقلق مؤتمراً لنزع السلاح أو خفضه . ففي سنة ١٩٢٧ لما اجتمع المؤتمر البحري في جنيف استأجرت مصانع السلاح الاميركية رجالاً يدعى شير Scherrae ليذهب الى جنيف مراقباً بالنيابة عنها ، والواقع ان عمله كان محاولة احباط المؤتمر بكل ما يستطيعه من الوسائل ، كالتأثير في بعض المندوبين الذين يستطيع الاتصال بهم ، وخلق اشاعات تؤثر في الرأي العام الاميركي من جهة ، وفي الرأي العام الدولي من جهة اخرى . ولولا اختلاف شيرر بعدئذ مع الشركات التي نددته على قيمة الاتعاب التي طلبها لما فضحت المسألة . وليست المصانع الاميركية الوحيدة بين مصانع السلاح الكبرى التي تستخدم امثال شيرر ، فقد كتب المستر فيليب نويل بايكر ، سكرتير رئيس مؤتمر نزع السلاح في هذا الصدد ما مؤداه : —

« قضيت معظم ايامي في خلال الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٢ في أروقة مؤتمر نزع السلاح وما مضى علينا اسبوع واحد في تلك الفترة ، حتى سمعنا باشاعة تتناقلها الالسن ، مؤداها ان الدول قد قررت حل المؤتمر أو تأجيله ، وهؤلاء المروجون بارعون كل البراعة في خلق الاشاعات لانهم يحسنون ربطها بتطور المفاوضات ، حتى يسبغوا عليها ظلاً من الحقيقة . وكانت كل اشاعة منها ، تذاغ وفي عبارات اذاعتها ، اقوال خفية تشير الى ان ناقلها يملكون من الاخبار السرية ما لاتتسن معرفته لجميع الناس . فكان الناس — والمندوبون في المؤتمر ناس — يعتقدون حقاً ، ان الوقت لم يحن بعد للبحث في نقص السلاح أو خفضه دع عنك نزع ، وكانت هذه الاشاعات في الغالب على اقواها واكثرها ، لما كانت المفاوضات سائرة سيراً حسناً

« كنت أسمع هذه الاشاعات في أروقة المجلس ، وأنا عالم حق العلم — ( أليس هو سكرتير رئيس المؤتمر ) — ان الدول لم تكن تفكر في حل المؤتمر أو تأجيله بوجه من الوجوه ، فخرجت الى النتيجة التالية



وهي ان هذه الاشاعات تحتلّق اختلاقاً ولست أملك الدليل على رأيي هذا ، وقد لا أملكه حتى يطلع علينا حادث آخر من قبيل حادث شيرر ومصانع السلاح الاميركية . ولكنني اعتقدت حينئذ وما ازال أعتقد الآن ، ان لمصانع السلاح وكلاء يستأجرون خاصة لاضعاف الروح المعنوية في المؤتمر ، بخلق الاشاعات على المنوال المتقدم ، وإيهام الناس والصحافة والمندوبين أنفسهم بأن نجاح المؤتمر متعذر « بل انني أعرف أناساً في مقامات رسمية يذهبون الى ابعد من هذا فهم يعتقدون ان مغامرة اليابان في منشوريا وحرّيتها مع الصين في سنة ١٩٣١ أقرّت في دوائر اليابان العسكرية بعد اتفاقها مع صناع الاسلحة في أوروبا وان تاريخ تلك المغامرة العسكرية رتب خصيصاً حتى يجيء في وقت تكون فيه جمعية الامم قد صدمت صدمة عنيفة عند اجتماع مؤتمر نزع السلاح . ولا أريد ان اتحمل تبعة هذا الاعتقاد ، وانما هناك من الحقائق ما يحول دون اهماله كل الاهمال . فان عداوة العسكريين اليابانيين ، وصناع الاسلحة الاوربيين للمؤتمر تشير من وجوه مختلفة الى هذه العلاقة وتوضحها . فنحن اولاً الطلبات الكثيرة للسلاح التي طلبتها اليابان من مصانع السلاح الاوربية ، وثانياً السهولة التي دبر بها المال لتسديد ثمن هذه الطلبات بعقد قروض اوروبية خاصة لها ، وثالثاً التأييد الذي تناله اليابان في الصحف المتصلة بمصانع السلاح حتى في البلدان التي تطلب صحافتها تأييد جمعية الامم وتعزيزها — ان الادلة متوافرة على ان ذلك الاعتقاد الغريب له ما يستند اليه »

بل هنالك ما هو أغرب من هذه الحكاية . زاد انتاج مصانع السلاح ، زيادة كبيرة بعد قيام هتلر في المانيا ، وتقلده لأزمة الحكم فيها . وليس هذا بالامر الغريب فهتلر قد نفخ في أمته روح الكرامة الغاضبة ، وزوعاً الى المساواة في سبيل تلك الكرامة . فالناس في اوروبا يحسون قلقاً ، مهد السبيل الى المضي في التسلح . وانما يهمنا في هذا المقام ، أن نذكر ، ان مديري شركة سكودا — وهو مصنع سلاح كبير في تشكوسلوفاكيا متصل بمصنع شنيدر كروزو بفرنسا — اكتبوا بمبالغ من المال لتأييد حركة هتلر قبل تقلده الحكم ، مع ان هتلر كان حينئذ صريحاً في أنه يدعو الى تنقيح المعاهدات التي تدافع عنها فرنسا وتشكوسلوفاكيا بكل قواهما . والسري في موقف سكودا وشنيدر ، ان قيام هتلر يبعث القلق في أوروبا على سلامة كل أمة فتعتمد الى التسلح للدفاع عن كيانها . وهذا هو سبيل الربح لهذين المعلمين . بل ان ملكي صناعة الحديد والصلب في المانيا — أي تسن Thyssen وكروب Kruppe — اكتبوا كذلك بمبالغ لتأييد الهلر هتلر قبل تقلده لمنصب المستشار ، مع أن هتلر كان لا يخفي حينئذ أنه ينوي أن يجعل جميع الصناعات ملكاً للامة . أي أنه كان ينوي أن يجرد تسن وكروب من مصنعيهما

واذا أنت طالعت الصحافة الاوربية ، وهذه الحقائق الاساسية عالقة بذهنك ، تبينت كثيراً من الفضائح التي قد تند عنك في القراءة العادية . فانت تقرأ مثلاً في مجلة « هادي » الانكليزية عدد مايو سنة ١٩٣٤ العبارة التالية : — « والواقع أن واحداً على الاقل من أصحاب الصحف التي تعادي جمعية



الامم أعنف المعاداة يملك ألوفاً من الاسهم في شركة من الشركات التي تصنع الطائرات الحربية «  
 اقرن هذه العبارة بما تراه مثبتاً في صحيفة الديلي ميل من الدعوة الى تقوية سلاح الطيران  
 البريطاني او تقوية سلاح الطيران الفرنسي ، تدرك ان المقصود هو رودر مير نفسه . في ٢٩ نوفمبر  
 سنة ١٩٣٣ قالت الدايلي ميل ان بريطانيا تحتاج الى سلاح جوي اقوي عشرة اضعاف من سلاحها  
 الحالي . وفي الشهر نفسه قالت بتوقيع رودر مير نفسه ان بريطانيا تحتاج الى خمسة آلاف طائرة  
 اذا شاءت الا تبقى تحت رحمة جاراتها . وفي ديسمبر قالت ان فرنسا القوية ضمان للسلام واذن فيجب  
 ان يتألف سلاحها الجوي من ٢٠ الف طائرة . وبعد هذا يسهل على القارئ ان يصل الى النتيجة  
 الصحيحة عن الصلة بين هذه الدعاية وما يملكه صاحبها من الوفاء الاسهم في شركة الطيران الحربي  
 بل هناك ما هو انكى من هذا كله ، لانه مصبوغ بصبغة رسمية . ذلك ان جمعية الامم كانت  
 قد وجهت الى الحكومات اسئلة تتعلق بتنظيم صناعة السلاح في بلادها . فجاء في اجابة الحكومة  
 البريطانية : « ان مصانع السلاح الكبيرة كشركة فـكـرـز ارمسترونج ، تقف جانباً من وقتها فقط  
 على صنع الاسلحة ، واما الباقي فثقوف على مصنوعات لا صلة لها بالسلاح » . هذا جواب رسمي  
 من الحكومة البريطانية . ولكن رئيس تلك الشركة نفسه السر هربرت لورنس قال في خطبة له للجنة  
 اسهم شركته : — « اننا نجتهد ان نوسع نطاق اعمالنا الاخرى . . الا ان شركة فـكـرـز ارمسترونج  
 تعتمد في حياتها على صنع السلاح »

وقد جاءتنا ونحن نكتب هذا الفصل بعض نتائج التحقيق الذي تجريه لجنة عينها مجلس الشيوخ  
 الاميركي ، في فضاءات صناعات الاسلحة وتجارها ، فاذا كل ما فيها مؤيد لمجمل ما تقدم . خذ مثلاً على  
 ذلك شركة اميركية اسمها Electric Boat Co. متفقة مع شركة فـكـرـز ، فقد دفعت هذه الشركة  
 للسر باسيل زهاروف ١٥٠ الف جنيه من سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٠ عمولة على طلبات السلاح التي جاءها بها  
 من حكومة اسبانيا . ولما كانت شركة رـغـز Riggs تحاول ان تبيع مدافعها للحكومة التركية ، بعنت  
 وزارة البحرية الاميركية بالطراد راليه الى استانبول ، لكي يتاح للترك التفرج على مدافعه وهي من  
 صنع شركة رـغـز . وسمح لضابط من الضباط العاملين في الجيش الاميركي ان يصبح مستشاراً فنياً للحكومة  
 كولومبيا فوضع في مكتب شركة رـغـز تقريراً يشير فيه على حكومة كولومبيا بشراء مقدار كبير من الذخيرة  
 التي تصنعها تلك الشركة . وفي سنة ١٩٢٩ لما كان الجفء مستحكما بين بيرو وشيلي اتفقت شركة فـكـرـز  
 وشركة Electric Boat الاميركية على ان تبيع الاولى الاسلحة لشيلي والثانية لبيرو ثم تتقاسمان الأرباح  
 وكتب مندوب هذه الشركة في بيرو يقول انه يسعى لكي يعين مندوباً للحكومة في مؤتمر نزع  
 السلاح وغرضه حماية مصالح صناعات السلاح والذخيرة  
 هذه نواح من فضاءات اصحاب المصالح في صناعة السلاح ، وهم يحاولون ان يحبطوا كل مؤثر  
 لنزع السلاح او خفضه ، ويعرفلوا كل مسعى



## شعر ستيفن كراين

[ القطع التالية مختارة من شعر اديب يدعى ستيفن كراين مرة على مسرح الادب الأميركي مرور الشهاب اذ ولد سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٩٠٠ ولكنه ترك في القصة والاقصاصة والشعر الغنائي آثاراً رائعة ]

### الاعشاب

وقفت طائفة من الاعشاب في السماء امام العزة  
فقلت العزة لها : ماذا فعلت ؟  
فتمهلت جميعاً — الا واحدة منها — على تعديد مآثرها في الحياة .  
اما العشبة الصغيرة فانتحت مكاناً وراءهن وعليها آثار الحياء .  
فالتفت العزة اليها وقالت : وانت ماذا فعلت ؟  
فقلت : رباه ان الذكرى اليمية .  
واذا كان لي في حياتي حسنات فقد نسيتهما .  
عندئذ تجلت العزة في كل ابتهتها ونهضت  
عن العرش وقالت : يا افضل الاعشاب !

### كتاب الحكمة

التقيت بسيد يحمل في يديه كتاب الحكمة  
فقلت يا سيدي ، دعني اطالع فيه  
فقال : ايها الطفل — ولكنني قاطعته قائلاً :  
يا سيدي : لا تظن انني طفل ،  
لاني اعني كثيراً مما تنطوي عليه صفحات الكتاب في يديك  
نعم ، واعرف كثيراً منها . فابتسم الرجل وفتح  
الكتاب ونشر صفحاته امامي . فاذا بي — فجأة — قد كُفِفتُ



## الرجل الصريح

خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب الرياح  
ولما تلفت حواليه وجد نفسه في بلاد غريبة  
خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب النجوم  
فبهرة نورها الاصفر الساطع  
فالتفت اليه سائر حكيم وقال :  
ايها الاحق الصالح . ان جميع اعمالك حمق وجنون  
فصاح فيه الرجل الصريح قائلاً « انك كثير الصراحة »  
ولما هوت عصاته عن رأس محدثه كانت قطعتين

## القلب

رأيت في الصحراء كائناً ، ماريّاً ، وحشيّاً  
متربعاً على الارض ، وممسكاً قلبه بيديه  
وهو ينهشه

قلت : الذيذ ايها الصديق . قال :  
انه مرّ . مرّ . ولكنني استطيت  
لانه مرّ ، ولانه قلبي !

## طريق الحق

لما شاهد المسافر الطريق الى الحق  
اخذه العجب لانه رأى الاعشاب تغطيه  
فقال : ارى ان احداً لم يسر عليه من زمن طويل !  
ثم تبين ان كل عشبة سكنين حادّة ، فتمتم :  
« لا بدّ ان يكون هنالك طرق اخرى ! »



## الشعر الغربي

في مصر

صح عزمنا بعدما نقلنا طائفة مختارة من الشعر الغربي ان نقل  
مختارات من قصائد الشعراء المصريين والاجانب الذين ينظمون الشعر  
الغربي في مصر . وقد بدأنا بقصيدتين بليغتين للشاعر المصري الجيد خيري  
نشرت في العدد الماضي . وفي هذا العدد ترجمة قصيدتين فرنسيتين  
حامرتين للشاعر غاستون زانيري

### الشاعر

بيد ترعدها الحمى ، كان يخطئ كلمات تدعمها كلمات ، وتليها كلمات ، وبينما هو  
يكذب ويدأبُ سمع في قرارة نفسه صوتاً يهتف به قائلاً :

انا الوهم فائق الوصف ، الذي لا يتسنى التعبير عنه ، غير العاني بشرائع الحقيقة ،  
اسكب في القلوب جاذبيات نجواي ، واضع فيها سحر صفوي الخفي ، الذي لا تدركه  
عين ، انا مثيل موجة البحر ، الصخبة المضطربة ، التي تبتلع الغواص ، الساعي دون  
كليل ولا تمهل ، للحصول على ضياء الفضة النقية البراقة ، المشعة في مستقر اللجج ،  
كأنها الأمل البعيد المدى ، الذي لا يتسنى ادراكه ، ولا الوصول اليه

افتح آفاقاً ذات ضوء ونور ، يكادان يهزءان بحلول الليل ، ويتركان وراءهما ،  
بعد تلاشيهما ، سراياً تكفي لحظة واحدة ، لكي تعفوا أثره ، وتلاشي معالمه  
فالسماك في البحر ، والطير في الفضاء ، واللذة في الحب ، والبريق في العيون ،  
والنظر التائه في لانهية السماوات . . . جميع هذه الاشياء البديعة تضمحل دون  
ان تترك أثراً

ولكن ذلك الهاتف ، قُطِع في همسه بصوت السكوت ، وبحركة خفيفة في  
الظلام ، تُشبه النفس التي تمرُّ بقرب العقل ، فهض الشاعر من مكانه  
وكانت الغرفة قد سادها غيبش المساء . ورأى الليل يتسلل الى غرفته . فأظلم  
كل ما فيها ، وطاد لا يُبصر شيئاً



## ملجأ السموخ

لا يَضِيرُهُمْ ان تُغْشِي عِيُونَهُمْ سَحَابَةُ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنُ ، وان يَجْرُوا تَحْتَ اشْعَةِ  
الشمس الدافئة ، اعضاءهم المتخذة اليابسة . . لا يَضِيرُهُمْ ان تكون قبضات ايديهم  
خُلُوًا من كل حب وحنان ، وان تكون وجوههم منقبضة تحوطها الرزانة ، وجباههم  
معتمة تغشاها الظلمة والحلوكة

لا يَضِيرُهُمْ ان تكون السماء مشعةً بالانوار ، وان تكون اشجارُ الجمائل يانعةً  
مزهرةً . . لا يَضِيرُهُمْ ان تحنو قلوبهم على تذكارات الماضي ، وان يقبل الليل اليهم  
بذكرى ، تعيد لهم ما سلف من حياتهم الهائلة السعيدة

لا يَضِيرُهُمْ ان يصبح الاملُ حاملاً لذيداً ، وان يكون الليل المقبل غير ذي صباح . .  
لا يَضِيرُهُمْ ان تضحي حياتهم نهاراً ، ينقضي تاركاً في القلب أسف الصباح وغصته

لا يَضِيرُهُمْ كل هذا ، فقد عرفوا نهايتهم ، وهم ينظرونها بهدوء وسكينة ، ينتظرون  
حلولها بصمت وسكون ، دون ان يأتي اليهم من يزورهم في ملجأهم الاخير ، ولا  
من يقبل ليزودهم النظرة الاخيرة وهم على فراش الموت  
[ نقلهما جورج نيقولاوس ]

## لا تشفق عليّ

للمس أدانا سانت فنسنت ميلاي — شاعرة أميركية معاصرة —

لا تشفق عليّ لأن نور النهار، عند الغروب، عاد لا يتماوج في الفضاء  
لا تشفق عليّ لزوال الوان الجمال من الحقل والغابة باختلاف الفصول  
لا تشفق عليّ لنقصان القمر ، ولا لجزر البحر  
ولا لأن شهوة الانسان تحبوا بسرعة  
ولا لانك عدت لا تلقي عليّ نظرة الحب.

لقد عرفت كل هذا . ليس الحب اكثر من الزهرة التي تلفحها الريح  
ولا اكثر من المد يغسل الشاطئ فينثر عليه صرعى العواصف .

بل اشفق عليّ لأن القلب بطيء في ادراك ما يراه العقل في كل لقطة





لودفيك آربوستو  
شاعر ايطالي يقال انه تأثر بألف ليلة وليلة  
مقتطف اكتوبر ١٩٣٤ أمام صفحة ٢٢٣



## لودفيك آريوستو

| شاعر إيطالي تأثر بألف ليلة وليلة |

في اليوم السادس من شهر يونيه من العام الماضي احتفل الايطاليون في مشارق الارض ومغاربها بمرور اربعمائة عام على وفاة شاعرهم القصصي الكبير لودفيك آريوستو مؤلف قصة « اورلاندو فوريوزو » الخالدة . وكان اكبر هذه الاحتفالات واعظمها شأنًا ذلك المهرجان العظيم النادر المثال الذي اقامته مدينة « فرارا » Ferrara مسقط رأس الشاعر وقد قام بتنظيمه نفر من كبار رجالات تلك المدينة وعلى رأسهم السنيور ايتالو بالبو وزير الطيران الايطالي سابقاً . ويهمننا نحن الشرقيين ان نعرف شيئاً عن هذا الشاعر الفذ وعن قصته الطريفة التي ادعى كثير من الكتاب الافرنج ان قصة الف ليلة وليلة العربية انما هي مأخوذة منها لوجود شبه كبير بين القصتين مع ان هناك من الكتاب الايطاليين انفسهم من يقول بغير هذا القول . فقد اتى المستشرق الكبير الدكتور لويجي رينالدي في عام ١٩٢٠ محاضرة نقيسة عن المدينة العربية في الغرب بمدينة القاهرة كان لها وقع عظيم في نفوس الشرقيين عامة والمسامين بنوع خاص ونشرتها مجلة المقتطف في حينها وقد جاء فيها ما يأتي بالحرف الواحد :

« انظر الى قصة « اورلاندو فوريوزو » تجد انها مأخوذة كلها من كتاب الف ليلة وليلة الشهير الذي احتوى على قصص عربية وفارسية وهندية غريبة وانك لتجد فيهما الاسلوب واحداً والمغزى واحداً ولا سيما تلك النقطة التي تدور حولها جميع هذه القصص وهي زعمهم بأنه ليس في العالم امرأة عفيفة

«وبيننا كثيرون يعتقدون ان العرب هم الذين عربوا كتاب «اورلاندو فوريوزو» ولكن هذا محض افتراء ولقد تكلم في هذه النقطة المؤرخ الشهير آمارى Amari فقال «اقول ان سرقة وقعت لكتاب الف ليلة وليلة ذلك ان قصص اريوستو وحوادث استولفوجوكوندا كلها مقلدة من اولها الى آخرها او بالاحرى منقولة من قصص الف ليلة وليلة ما عدا تغيير بسيط في بعض الاسماء وفي بعض الظروف القليلة الالهية» ولكن هذا على فرض التسليم بصحته لا ينقص من قيمة قصص آريوستو ولا يفقدها شيئاً من جلالها وسلاستها وروعها لان هذه القصص انما هي من بدائع الشعر الايطالي التي خلدت واستخلد على كثر الزمن ومرور الايام



اما لودفيك آريوستو فقد كانت ولادته في اليوم السادس من شهر سبتمبر سنة ١٤٧١ بمدينة ريجيو ديميليا Reggio d'Emilia وكان ابوه رجلاً من اشراف « فرارا » وكان قائداً لقلعة « ريجيو » من لدن الدوق هرقل الاول واما امه « داريا مالا جوتزي » فكانت احدى نبيلات مدينة ريجيو .

تلقى آريوستو تعليمه الاول في مدينة فرارا حيث انتقلت أسرته ولم يبلغ الثانية عشرة من عمره ولم يكن كثير الميل الى التعلم على ان امياله جميعها كانت متجهة نحو التمثيل المسرحي الذي نبع فيه الى حد كبير حتى انه في سنة ١٤٩٣ استنداه هرقل الاول الى مدينة بافيا Pavia للتمثيل في حضرة لودفيك المورو . وعلاوة على اشتغاله بالتمثيل كان يميل الى قرض الشعر ولقد نظم في ايام شبابه قصة « تسي Tisbe » التي قام بتمثيلها هو واخوته واخوانه وكان موضع اعجاب المتفرجين لمبتدعاته الشعرية التي زانت القصة اكل زينة

ولقد تحدث آريوستو حديثاً مستفيضاً في قصيدته الهجائية السادسة التي وجهها الى « بيترو بمبو » عن تعليمه وعن غرامه بالشعر . فقد حاول والده عبثاً حمله على دراسة الكتب والتعليقات الشهيرة لانه كان حتى سن العشرين يكاد يجهل اللاتينية وكان يجد صعوبة كبيرة في مطالعة قصة فدرو Fedro ولكن اباه عاد واطلق له الحرية في ممارسة المهنة التي كان يهيم بها وكان من حسن حظه ان تتلمذ على عالم كبير من علماء اللاتينية واليونانية هو « جريجوريو دا سبوليتو » وكان ذلك لمدة قصيرة لان هذا الرجل الاديب سرعان ما استدعي الى ميلانو للتعليم في بلاط سفورزسكا Sforzesca لما ناله من الشهرة الواسعة مضى آريوستو بعد ذلك في دراسة اللاتينية وحده دون معلم فقرأ مؤلفات فرجيل وهوراس وتيبولو وكاتولو واعجب بها كل الاعجاب ولقد بلغ من اتقانه اللغة اللاتينية ان نظم بها بعض اشعار لا تقل جودة ومتانة عن اشعار اشهر شعرائها الانسانيين المعروفين

ولقد كان فقده لاستاذه المحترم ثم فقده لوالده في سنة ١٥٠٠ في الوقت الذي فقد فيه ابن عمه العزيز باندولفو من بواعث حزنه الشديد فاضطر الى حمل عبء الاسرة وهي مؤلفة من الام واربعة اولاد وخمس بنات لان ما ورثه عن ابيه لم يكن ليسد حاجاتها وكان عليه ان يعلم اخوته واخوانه ولكن هذا لم يكن لينعه لحظة واحدة من قرض الشعر الذي كان يقبل عليه بحماسة لانه كان يرى فيه سلواه الوحيدة في غمار هذه الهموم والآلام



اضطرَّ أريوستو اذ ذاك ان يلتزم منصباً في بلاط آل دستي Deste فانظم في خدمة الكردينال ايمولينو ولم يكن عمله يحول دون نظم الشعر فكتب كثيراً من القصائد الرائعة بقي في خدمة الكردينال اكثر من خمس عشرة سنة بمرتبة لم يكن كبيراً مع انه كانت توكل اليه في بعض الاحيان مسائل غاية في الخطورة تدل على ما حازهُ من الثقة كما كان يرسل في سفارات لم تكن دائماً قليلة الخطر كان ينتقل من اجلها الى مانتوفا وميلانو وبولونيا وفلورنسه وفي اغلب الاحيان الى مدينة روما وكان يطلب اليه ان يكتب بعض الروايات الهزلية فكانت اولها قصة كاساريا Cassaria التي مثلت في سنة ١٥٠٨ وقصة الوكلاء Suppositi في سنة ١٥٠٩ ثم قصة الساحر Il Negromante والتنافس La Lena والطلبة وهي قصة التي بلغ فيها نصفها واكملها من بعده اخوه جبرائيل أريوستو ثم القصة المدرسية La Scolastica وكانت القصتان الاوليان مكتوبتين في مبدأ الامر بالنثر ولكنه عاد ووضعهما شعراً وكانتا اولي الروايات الهزلية في الادب الايطالي وكانت جميع رواياته على نسق روايات Trenzio ترزيو وPlauto بلاوطو

وفي الفترة التي مضت بين سنة ١٥١٣ وسنة ١٥٣١ نظم أريوستو سبع قصائد هجائية تحدث فيها عن عصره وعن عاصره من الرجال وعن بلاط روما وعن البابا ليون العاشر وعن مدينة جرافانيانا وبلاط فرارا والدوق الفونسو والكردينال ايمولينو وعن عادات النساء وعيوب الرجال وقبل كل شيء تحدث بأسهاب عن نفسه وعن امياله وعن سوء حظه وعن جملة حياته وكان حديثه حديث رجل مخلص مستقيم ولكنه ضعيف الارادة قد خلا من الاطماع لا يهتم بالانعامات ولا بالرتب ويقتنع بان يعيش حراً بين جدران داره بين كتبه واوراقه تحوطه عناية زوجته وحباها . ولقد روى لنا الشاعر في قصيدته الهجائية الاولى التي وجهها في سنة ١٥١٧ الى السيد جالاسو أريوستو انه كان مريضاً وكان يشكو السعال ولذلك اعتذر عن الذهاب في سفارة الى مدينة بودا في هنغاريا في سنة ١٥١٧ وكان يكفي هذا الرفض الذي كان العذر فيه واضحاً لكي يحرم الشاعر من عطف الكردينال ويقال من خدمته

بعد ذلك عطف عليه الدوق الفونسو الذي اراد ان يصلح من خطأ الكردينال والحقه بخدمته واعطاه مرتباً لا بأس به وكان أريوستو يشكو دائماً حظه الذي كان يضطره لان يعيش على اكتاف الغير على انه كان مغتبطاً ببقائه في خدمة الدوق لانه كان ينذر ان يبتعد عن موطنه وكان هذا يتيح له فرصة المطالعة والدرس وتصحيح



الشعر الذي لم يكن ينقطع يوماً واحداً عن العمل على تجويده كانت علاقات الصداقة بين الشاعر وآل مديس قديمة ولذلك لم يكد يظهر كتاب « فوريوزو » حتى منح البابا حق الطبع للمؤلف وامتدح الكتاب وذكر صداقة آريوستو الثابتة والمستمرة لاسرته. ونستطيع ان نقرأ شيئاً عن ذلك في مراثية لجوليانو دي مديس الذي ذهب ضحية مؤامرة المهروسين في سنة ١٤٧٨

او عز اليه اصداؤه ان يسافر الى روما لمقابلة البابا وبعد الحاح نقر منهم سافر الى روما واستقبل فيها استقبال الغزاة والفاتحين قال فيه « ان البابا نزل عن كرسيه المقدس ومد الي يديه مصاحفاً » ثم بقي آريوستو في روما فترة من الزمان ضيفاً على الفاتيكان وكان يأمل الحصول على مرتب من بلاط البابا ولكن لما لم تتحقق هذه الامنية عاد ثانية الى ( فراا ) حيث كتب قصيدته الهجائية الثالثة التي وجهها الى ابن خاله هانيبال مالا جوتزي و اشار فيها الى رحلته الى روما قائلاً « انه رأى ثروة عظيمة تختفي من امام عينيه دون ان يأسف عليها » ولما عاد الى بلاط الدوق الفونسو لم يكن لديه ما كان يتمتع به من الطمأنينة فيما مضى ولم يكن عمله في البلاط ليساعده حتى من وجهة النظر الاقتصادية لانه بسبب الحرب التي كانت ناشبة بين الكردينال دستي والبابا اوقف صرف راتبه فجعله يشكو قائلاً انه اذا لم يدفع اليه المتأخر له فانه سيضطر الى البحث عن طريقة اخرى لصرف هذا المتأخر

وفي سنة ١٥٢٢ ارسل الى مدينة جارفانيانا ليصلح بين احزابها المتخاصمة ولكي يلزم اهلها باحترام القانون فذهب اليها والحسرة تملأ فؤاده لفراق بيته ولكنه لما كان يأمل ان يصلح فيها من احواله الاقتصادية بقي حوالي ثلاث سنوات من سنة ١٥٢٢ الى سنة ١٥٢٥ نجح في خلالها في تهدئة المنطقة التي لم تكن تخضع لسلطان السلطات المدنية بقي في هذه المدينة بضع سنوات اخرى ولي فيها القضاء بعيداً عن بلاده حتى سئمها ورغب في العودة الى حياة المنزل الهادئة فطلب ان ينقل الى منصب آخر ولقد اقترح بعضهم على الدوق ان يرسله سفيراً لدى بلاط البابا الجديد لانه كان الشخص الوحيد الذي يصلح اكثر من عداه لمثل هذا المنصب نظراً لصداقته بال مديس ولكنه لم يعرب عن رغبته في قبولها — مع انه لم يرفضها — محتجاً بأنه لم ينل شيئاً من البابا السابق ولا ينتظر ان يحصل لآل دستي على شيء من هذه الاسرة. ولكنه لم يصرح بأن بقاءه بعيداً عن داره كان يسبب له كثيراً من المتاعب والآلام . وفي سنة ١٥٢٦



اشترى منزلاً صغيراً في مدينة فرارا يقع في شارع ميراسولي Mirasole واخذ في تجميله وادخال كثير من وجوه التحسين عليه ووضع لوحة على بابه كتب عليها باللغة اللاتينية «ان بيتي صغير ولكنه يكفيني وليس لاحد عليه سلطان وهو في نفس الوقت ليس قبيحاً واثم شيء عندي انني حصلت عليه بكدي وعرق جبيني» وبعد وفاته اضاف ابنه فرجينيو الى اللوحة هذه العبارة : « ليلبارك الاله بيت آل اريوستو كما باركته آلهة الشعر »

ولقد اضيفت الى هذا المنزل الصغير حديقة لم تكن انيقة حتى لقد تجرأ احد اصحابه ان يقول له « ما بالك قد استطعت انشاء ابیات من الشعر غاية في الجمال دون ان تستطيع ان توجد عملياً واحداً منها » ولكنه اجاب بأنه لا يستطيع ان يوجد حديقة جميلة بنقود قليلة قضى الشاعر سنين سعيدة في هذا المسكن الصغير مع صديقه الكسندرا ابنة السيد فرانيسكو بينوتشي التي كانت زوجة للشاعر الفراري النبيل تيتو ليوناردو ستروستي Strozzi والتي تزوج منها في آخر سني حياته وربما كان ذلك في سنة ١٥٣٠ مع انها كانت تصرح له بأنها لا تريد ملاءة ولا خاتماً تقيد بهما حريتها

وفي سنة ١٥٣١ ربط له الدوق الفونسو دافالو مركز فاستو مرتباً سنوياً قدره مائة دوقية غير المساعدات الاخرى التي كان يحصل عليها من الدوق اركولي دستي ولما حل الفونسو ولده محله قدم له مساعدات اخرى سهلت له اسباب الحياة

في هدوء تلك الدار التي تمتع فيها بالحُب والعناية التي كانت تحوطه بهما امرأته Bennucci بينوتشي اشتغل بحمد وبهمة لا تعرفان الكسل في نظم قصائده الهجائية وفي اعادة طبع قصته العظيمة بعد ان ادخل عليها كثيراً من التعديل والتنقيح في سنة ١٥٣٢. عند ذلك بدأت تظهر عليه علامات المرض والسقم والح عليه مرض السل الذي لا يرحم ثمانية اشهر كاملة فارق بعدها الحياة في ليلة ٦ يونيه سنة ١٥٣٣ ودفنت جثته في كنيسة القديس بنيدتو San Benedetto القديمة وبعد اربعين سنة من موته شيد له احد اشراف فرارا مقبرة اثرية فخمة وفي ١٦١٢ اقام له احد حفاده الذي كان يحمل اسمه ولقبه مقبرة اجمل وانفهم من الاولى ونقل اليها جثمانه في احتفال مهيب ثم في سنة ١٨٠١ نقل جثمانه مرة اخرى الى سراي المدارس بأمر الجنرال ميوليس Miollis

أعطي آريوستو بسطة في الجسم وكان متناسب الاعضاء قوي البنية ذا شكل حسن ومنظر نبيل مهيب وكان طيب الشائل حلو الحديث حاضر البديهة مما جعل حديثه مقبولاً



لدى الطبقات العالية التي كانت تحب مجلسه والتي كان يبهرها بمواهبه النادرة وهي صفات قلما اجتمعت في شخص متعلم اعتاد محالطة العظماء والكبراء. على انه كان يفضل الحياة المنزلية على حياة البلاط بما فيها من مسرات واحتفالات ومظاهر وافراح وكان يقول « اريد الهدوء فهو عندي خير من الحياة والغنى »

كان الدرس والشعر يفضلان لديه كل ماسواهما من الاعمال وفضلاً عما أوتيته من دماثة في الخلق فقد كان طيب القلب ميالاً الى الحب احب بلده كما احب بيته وزوجته كما احب اميره الذي كان يفخر بحبه ويتفانى في الاخلاص له

كان آريوستو دائماً مشغولاً بكتابهاته الادبية ومؤلفاته حتى في الساعات التي لا يكون فيها على مكتبه لدرجة انها كانت تصير مذهباً شتيت الفكر . وعلى ذكر هذا يروي ولده ثرجينيو ان اياه خرج في صباح يوم من ايام الصيف من كابري Capri للتنزه فا زال سائراً يوماً كاملاً حتى وصل الى فرارا دون ان يشعر انه ينتحل خفيصين او انه كان يسير وقال عنه ايضاً انه كان يأكل بسرعة دون ان يميز اصناف الطعام الذي يتناوله

كان آريوستو يحب اصدقاءه ويحترمهم ويعظمهم ويعترف بحميل من كانوا يساعدونه ويعاونونه كما كان يحب سادته الذين سرد لنا اسماءهم في آخر النشودة من اناشيد قصته « فوريزو » بعد ان تغنى في الانشودة الثالثة منها بنسب آل دستي

ولعل احب شيء لدى آريوستو كانت الحرية التي كان يهيم بها ويشيد بذكرها في قصائده ولو انه لم تتح له الفرص للتمتع بها يوماً من الايام فهو يضعها قبل كل شيء ويضحى في سبيلها بمنصبه وبصداقته للعظماء وحتى بحبه لانه كان يخشى ان يتزوج من المرأة التي احبها لئلا يقيد حريته بزواجه . وبعد الحرية كان كل غرامه متجهاً الى الشعر لانه كان يرى فيه اكبر عزاء لنفسه وكان يوحى اليه بانبل المشاعر والاحساسات وفي مقال آخر سنتكلم عن قصة « اورلاندو فوريزو » التي صادفت نجاحاً عجيباً والتي لا تزال الى يومنا هذا موضع اعجاب المتأدبين والتي بلغ من عظمتها وتعلق الناس بها ان كان لها كثير من المقلدين بينهم الكونت فنشرو بروسانتيني دا فرارا الذي كتب قصة « انجليكا العاشقة » ولودفيك دولتي الذي وضع قصة « سا كربياني » و « محاولات اورلاندو » ثم بيترو آرتيني في رسائله عن مارفيزا ودموع انجيليكا واستوليفيدي وغيرهم ولم تكن جميع هذه الا محاولات غير مجدية لان فن لودفيك آريوستو كان فناً لا يمكن تقليده ولا الاتيان بمثله



# مقام المرأة وأجهاها

في المانيا النازية

كتب الفرد روزنبرج ، في مؤلفه الكبير « روح القرن العشرين » العبارة التالية : — « الرجل المتأث والمراة المترجلة ، دليلان على الانحطاط السياسي والثقافي . فنتيجة السيطرة النسائية على حياة اميركا ظاهرة في انحطاط مستوى الثقافة في تلك الامة » . وعنده ان ادوار الانحلال في المانيا ، وبوجه خاص في الفترة التي انقضت بين هزيمة المانيا سنة ١٩١٨ وبلوغ النهضة الوطنية الاشتراكية مقام الحكم سنة ١٩٣٣ اقتضت نشوء الرجل المتأث والمراة المترجلة فيها

والهر روزنبرج هو الرجل الذي عيَّنه هتلر اميناً على التعليم الروحي والفلسفي في المانيا ، ورسالة المراة في رأيه — وهو شبیه بالرسمي — ان تحتفظ بالسلالة نقيمة من اية شائبة تشوبها ولما كانت الحركة الوطنية الاشتراكية تبغي انشاء سلالة نقيمة عديدة ، فهي تقتضي من المراة الالمانية خضوعاً لمقتضيات الاسرة والدار ، وتأييداً لسياسة الحزب . وشعار هذه الحركة ، من ناحيتها النسوية ، « العودة الى البيت » . وثمة وسيلتان يتوسل بهما الزعماء لجعل هذا الشعار مما يحلو في عيون النساء . فهم ينددون بالحركة النسوية ، التي انتشرت قبل الحرب وافضت بعينها الى منح النساء جميع حقوق الرجل في دستور فيمار سنة ١٩١٩ ، ويقولون انها افضت بهن الى المناداة بالسلام كائناً منه ما كان ، وجعلتهن لا يعبان بالتقاليد . فالحالة التي قصد بها الى تمهيد طريق الاستقلال للمراة ، قوت فيهن حب الذات والايفار ، وقدفهن الى الشوارع . ثم ان التحرر الصحيح في نظرهم ، هو تحرر المراة من واجب الارتزاق ، فازعجة النسوية النازية الدكتورة صوفيا رابي Rabe تقول : « اننا نطلب تحرر المراة من قيود الارتزاق ، لا تحرر المراة من الرجل »

اما قول هتلر فلا يختلف عن قولها كثيراً . ففي توجيهه النداء الى كل الماني للدفاع عن حرية الامة قال : — ليس ثمة كفاح للرجل ، ليس هو كفاحاً للمراة . وليس ثمة كفاح للمراة ، ليس هو كفاحاً للرجل . اننا لا نعترف بحقوق للرجل وبحقوق للمراة . اننا لا نعترف الا بحقوق واحدة لجنسين . نعرف بحق هو في الوقت نفسه واجب ، حق الحياة والعمل والكفاح معاً في سبيل الامة » ومع ان زعماء النازي يحاولون ان يثبوا المراة عن اي عمل الا العمل البيتي ، ولا يشجعونها الا على الزواج واخلاف النسل ، لكنهم في الوقت عينه ، لا يمنعونها رسمياً من الانتظام في الحرف والاعمال المختلفة ، الا القضاء والادارة الحكومية والجيش . وحجتهم في منعها من الانتظام في سلك القضاء والادارة الحكومية ميل المراة الى اللين . ولذلك ترى ان النازي لم يبعثوا بنائبة واحدة الى الريخستاج مع ان النائبات في الريخستاج في العهود السابقة بلغن احياناً تسعاً وكان هن شأن غير يسير في التشريع



وقد نظمت الآن جميع الجمعيات النسوية في ألمانيا في جمعية واحدة تدعى «دويتش فراو نورك» يقال ان عدد اعضائها يختلف من ثمانية ملايين الى عشرة ملايين . ورغبة في تنسيق اعمالهن ، اخضعت هذه الجمعية الى جمعية نسائية نازية عدد اعضائها من اربعة ملايين الى خمسة ملايين

وعلى رأس هذا النظام سيدة تدعى فرو شولتس كلنك . فهي زعيمة هاتين الجمعيتين ، وزعيمة قسم العمل النسائي وممثلة الجمعيات النسائية الألمانية في جمعية الصليب الاحمر الألماني . قالت كاتبة اميركية : ولما ذهبت الى احدى السيدات اللواتي تعاونها في عملها وسألتها هل سيرة الفرو كلنك سيرة حافلة قالت تلك السيدة « انها والدة اربعة اولاد . فلما حاجتها بعد ذلك الى سيرة حافلة ؟ »

ان عمل المرأة في رأي النازي اخلاف جنود المستقبل . وقد ضم عدد حديث العهد من المجلة النازية الرسمية الخاصة بالنساء ، مقالاً يمين نواحي عمل المرأة . ففي ناحية واحدة من عملها عليها ان تربي الاولاد على اصول الثقافة العسكرية . يضاف الى ذلك تنشئتهم على فضيلة البساطة الاسبرطية ، وتنمية قوة المقاومة الروحية فيهم ، لانها تحميهم من الهم الاجنبية . حتى النساء العوانس واللواتي يمارسن عملاً فنيّاً يستطعن ان يؤدبن نصيبهنّ التثقيفي ، بالعمل في الجمعيات الدينية والعسكرية والمسلم به في ألمانيا الآن ، ان اقل عدد من الاولاد يجب ان تنجبه المرأة النازية هو اربعة

اولاد . وقد لاحظ بعض الكتاب الاجانب في ألمانيا ، انه اذا زاد عدد الاولاد في الاسرة الواحدة الى خمسة او ستة منح الوالد وساماً يرتديه ويباهي به . لان الدولة النازية تشجع على الزواج بتمهيد العقبات المالية لمن ينبغي الزواج ولا يستطيعه ، ثم انها تتبع ذاك بمنح امتيازات مالية وغيرها لمن يكون كثير الانجاب . ومع ان دستور فيمار نصّ على وجوب العناية بالأم ، الا ان ألمانيا النازية تفتخر بان الام موضوع عناية خاصة منها . فعيادات الامومة في ألمانيا تحاول ان تتصل باكثر عدد من الامهات . وثمة معرض تقال يعرف باسم معرض « الام والطفل » يتنقل في الريف ، ويسدي الى الامهات الارشاد الصحي والنصح الخاص بالتناسل

ثم ان النساء النازيات ، يقاومن مذهب تعليم المرأة تعليماً عالياً . وعندهن ان جميع النساء اللواتي انتظمن في الجامعات في الفترة بين ١٩١٨ — ١٩٣٣ انما فعلن ذلك تقليداً ومجاعة . فكان عملهنّ هذا باعناً من بواعث تعقيد مشكلة التعطل عن العمل التي يعانها خريجو الجامعات . فاذا سألت : « ولكن الا يمكن ان يكون بين اولئك اللاتي انتظمن في الجامعات ، نساء على جانب عظيم من الذكاء » اتاك الجواب الغريب : لا ريب في ذلك ، ولكن مبدأ الزعامة عندنا يمكن الزعماء من تبين النساء المتفوقات واختيارهنّ ومنحهنّ امتيازات خاصة ، تفتح امامهنّ آفاق البحث والارتقاء العلمي ان اذكي النساء ، في نظر المرأة النازية ، يجب ان توجه عنايتها الى اخلاف النسل ، اكثر مما توجهها الى ممارسة ذكائها . والظاهر ان عدد النساء في الجامعات الألمانية في المستقبل ، سوف لا يزيد عن نسبة ١٠ في المائة من مجموع الطلاب . لذلك يجب ان يكون اختيارهنّ دقيقاً كل الدقة



وطريقة الاختيار هي انتخاب المتفوقات عقلاً وذكاءً من النساء اللواتي عرفنَ بإمكان الاعتماد عليهنَّ من الناحية السياسية ، فيسمح لهنَّ بالانتظام في سلك الجامعات . وعلى الفتيات قبل بدء حياتهنَّ الجامعية ان يشتغلنَّ ستة اشهر في « معسكرات العمل » حيث تتعلم الفتيات اعمال البيت ، فيعدهنَّ تمرينهنَّ فيها ليتقذن زعامة الحركة الالمانية التي شعارها « العودة الى الارض » . فاذا زاد المواليد في المانيا كما يتوقع زعماءها ، اقتضى ذلك توسعها ، اما شرقاً ( على ما يرى هتلر في كتابه « كفاحي » ولكن هذا متعذر الآن بسبب معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التي عقدت بين المانيا وبولونيا لمدة عشر سنوات ) او في المستعمرات الالمانية القديمة بعد استردادها او استرداد بعضها ، وعندئذ يكون لهؤلاء النساء الشأن الاكبر ، في استثمار الاراضي الجديدة وقد قلَّ في المانيا شأن النساء اللواتي يبالغن في الانفاق على الملابس ووسائل التجميل ، حتى لتجد ممثلة مشهورة من ممثلات الصور المتحركة مثل « بريدجت هلم » تقول لمن يقابلها من رجال الصحافة ، مشيرة الى لباسها : لا يمكنك ان تعلم انني كوكب سينمي ! وقد غني رجال النازي في اول عهدهم بدعوة النساء الى الاستغناء عن وسائل النظيفة والتجميل والتبرُّج فصار الوجه الذي لا تعطيه المساحيق ، موضعاً للاستحسان

اما النساء اللواتي تلقين العلم العالي ، فقد سدَّت في وجوههنَّ ابواب الرزق او كادت ، لان موقفهنَّ نحو الزواج واختلاف النسل ، مما لا يروق زعماء النازي . فالمدرسات اللواتي كنَّ يدرسن الفرق العالية في مدارس البنات ، قد حلَّ محلَّها في الغالب مدرسون ، او عهد اليهنَّ في تدريس فرق الصغيرات ، يدلك على ذلك ان مدرسة الرياضة في مدرسة بثورنجيا ، اضطرت الى التخلي عن تدريس المسائل الرياضية اللذيذة والاكتفاء بتدريس : ( اثنان زائد اثنان يساوي اربعة )

ثم ان الطبيبات لا ينلن من اولي الامر اي تشجيع على المضي في ممارسة صناعتهنَّ اما موظفات الحكومة فكنَّ قلائل في العهد السابق ، وكان جلهنَّ من اليهود والاشتراكيين فهؤلاء فصلنَّ من وظائفهنَّ طبعاً ، وحلَّ رجال محلنَّ

وكان الظنُّ في بدء العهد الهتلري ان الكواتب على المكاتب ( تيب ريتز ) في الشركات والبنوك سوف يستغني عنهنَّ ليحلَّ الرجال محلنَّ . ولكن اصحاب هذه الاعمال ومديريها رفضوا الاستغناء عنهنَّ . وكذلك البائعات في المخازن الكبيرة . اما العاملات في المصانع فقد استغني عنهنَّ بوجه عام ، بيد ان الدكتور لاي Ley زعيم « جبهة العمل » قال ان ذلك يجب الا يكون اطلاقاً لانه من العبث الاستغناء عن النساء في اعمال يجدها اكثر من الرجال

فالاتجاه العام في المانيا النازية ، هو حصر عمل النساء في البيت وخدمته واختلاف النسل والاستعداد بالتمرين لاستعمار الاراضي الزراعية مع رجالهنَّ ، والاعراض جهد الطاقة عن التعليم العالي والاعمال التي يستطيع الرجل ان يتولاها



# الفروق الجنسية

## بين الرجل والمرأة

فصل من كتاب « علم النفس » الجزء الثالث

تأليف محمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر

ان الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه وسجاياه الخاصة فحسب، ولكنه يختلف عنها أيضاً من حيث كونه رجلاً، كما أنها تختلف عنه من حيث كونها امرأة، إذ ان الاختلافات الجنسية والجنسانية الهامة المشاهدة بين الرجل والمرأة تعد موازية لاختلافات عقلية ليست بأقل منها أهمية. والمعقول ان يكون لهذه الاختلافات الجنسية العقلية آثار في السلوك. وان التاريخ الانساني يبرهن لنا على ان وظائف المرأة لم تكن في يوم من الايام مثل وظائف الرجل في الحياة، وان قانون الرقي المستمر الذي يعمل عمله في الحياة الانسانية يبرهن لنا على ان الرقي لا يمكن ان يكون الا بتوزيع الاعمال، وتخصيص كل من الجنسين لأعمال خاصة، وعلى ان التخصص في الاعمال والوظائف يتبعه على مر الزمن تغير ظاهر في التكوين الجنساني

وليس لنا ان ننتظر التقارب والتشابه الشديد بين الجنسين الا اذا كنا ننتظر ان تقترب من الحياة الساذجة الاولى، فن المشاهد ان اختلاف الجنسين ليس من الظهور بين الامم المتوحشة التي هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الامم المتقدمة

ولا تزال الحوادث التاريخية تبرهن لنا على ان مساواة المرأة بالرجل في الاعمال والوظائف تؤدي الى انقلاب اجتماعي. وقد يؤدي هذا الانقلاب الى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتماعية لا يعلم الا الله تعالى مصيرها

وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة، ولا البحث فيما يمكنه لنا المستقبل، ولكننا نريد ان نقول ان المشاهدات والتجارب قد برهنت على ان المرأة ليست كالرجل في الاستعدادات الجسمية، ولا في المواهب العقلية، ولا في النزعات الخلقية وأهم ما بينهما من فروق :-

١ - ان المرأة تنظر الى العالم متأثرة بوجدانها اكثر من الرجل \* فزاجها اقرب ما يكون الى المزاج الانفعالي، ويشهد تأثرها بجمال الاشياء وتناسبها مع بيئتها، وتقل عنايتها بالافكار المجردة، واذا حاولت التعميم والوصول الى قواعد كلية فانها لا تعنى بالتحليل والتدقيق والبحث العميق، وهذا هو السبب في انها تميل الى التسرع في الحكم والخطأ في التطبيق



وكرهة التحليل المنطقي العميق الذي يصل به الرجل الى القوانين العلمية الصحيحة يعد من اهم ما يمتاز به المرأة عند الرجل

٢- ان المرأة عملية اكثر منها فلسفية \* أما الرجل فيميل الى النظر ، ويخرج الى التفلسف والتدبر والتفكير في العواقب فاذا رأى خطراً محدقاً به فكر في طرق تجنبه وهو هادىء الفكر وربما اعتراه ألم او ضجر وقد يشور أو يغضب او يسب ويلعن اذا لم يصل الى نتيجة مرضية ، اما المرأة فانها تبكي وتصيح وتولول في وجه الخطر ، وقد يعثرها اضطراب يمنعها من التفكير والتروي والرجل ينظر الى دواخل الاشياء وبواطنها ، ويعتد بقيمتها الذاتية الحقيقية وحقائقها الواقعية ، ولا يغير بظواهرها ، اما المرأة فتغرها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وان ساء المخبر ، فالجواهر الزائفة ، الحسنة الشكل ، المنسجمة الصوغ تقع لديها موقعاً حسناً—وان كانت قليلة القيمة في ذاتها

٣- ان الرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية الى الزعامة والقيادة \* لقدرة على التصرف في المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة ، اما المرأة فانها لا تبلغ منزلة الرجل في ذلك ، وان كانت تفوقه في الصبر والجلد ، والقدرة على المقاومة ، والسرعة في التنفيذ ، ولذا يقال ان الرجل اكثر استعداداً للتشريع والابتداع ، اما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ، ومن ثم كانت الأغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال ، ولم يعرف عن امرأة انها برزت في عالم العلم،<sup>(١)</sup> او ابتكرت آلة قيمة ، وهي بصبرها ، وقوة وجدانها وحنوها ، وشفقتها ، مستعدة استعداداً طبيعياً لأن تكون أمّاً ، وطبيبة وممرضة ، وسلوة للرجل اذا حلت به النكبات ، او استولت عليه الهموم ، او تحكمت فيه الامراض

وان هذه الاختلافات والفروق التي بين الرجل والمرأة لتظهر واضحة جلية بعد النمو والكبر ، أما في عهد الطفولة فان هذه الفروق تكون يسيرة غامضة ، فالذكر والانثى لا يكادان يختلفان عند الولادة ، وبعد ذلك تأخذ فروق ما في الظهور ، فانت اذا رأيت طفلة صغيرة سنها اربع سنوات لا تشك في أنها بنت صغيرة بمعنى الكلمة واذا رأيت طفلاً صغيراً في هذه السن علمت انه غلام صغير بمعنى الكلمة أيضاً . والبنت في العادة تسبق الغلام في القدرة على الكلام ، وقامت اصاب باضطراب في اعضاء التكلم، ومعنى ذلك ان المراكز العصبية والخيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو في الطفلة قبل نموها في الطفل

وبلاحظ ان لعبها يختلف في النوع والاسلوب عن لعب الطفل سواء ألعبت وحدها ام مع غيرها فلعبها ينقصه النشاط في الحركة ، وسعة النطاق التي تلاحظ في لعب الغلام . وهي تصل الى مرتبة اللعب التقليدي قبل الطفل ، وتبقى في هذه المرحلة مدة اطول منه . ومن المشاهد انها تلوع حتى في عهد الطفولة الاولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الاطفال ، فتلبسها ملابسها ، وتحملها الى مراقدها

(١) المقتطف : ألا تستثنى مدام كوري على الاقل ؟



وتحاول إطعامها ، كما أنها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطمعها كلما سنحت لها الفرصة ، أي أنها تحاكي أمها في أداء وظيفتها ، كأن طبيعتها تملي عليها أنها ستصير يوماً ما من الأمهات والبنات تفوق الغلام في إظهار شعورها بوحدة ، فهي تضحك وتبكي بصوت مرتفع ، وتظهر تأثرها ببيئتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل إلى الانكماش والانزواء والمقاومة السلبية إذا أغضبا أحد ، في حين أن الطفل يحتد ويقاوم مقاومة إيجابية عند الغضب والبنات لسن كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهما ، فهن يشكون ويبكين ويسبن ، في حين أن البنين يتقاتلون ويتضاربون ، ويهاجم بعضهم بعضاً مهاجمة فعلية ، كأن طبيعتهم تملي عليهم أنهم سيصيرون رجالاً مسؤولين عن الدفاع عن أنفسهم وعن ذويهم والنزاع لا يحسم بين البنات بصفة نهائية ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة ، وقد يسعى بعضهن في الكيد والدس لبعض . ولكن البنين كثيراً ما يتصافحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر وفي الغالب يتلون التنافس بين البنات بألوان سيئة ، وأخلاق مكروهة ، كالخقد والكراهة وحمل الضغينة ، لا سيما ضد من كانت منهن موضع التفات وعناية من بعض الأقارب أو الأصدقاء وتظهر الفروق التي بين الجنسين من الناحية الإدراكية في المواد التي تحتاج إلى بحث فكري واستنباط وابتكار ، فالبنات يساوين البنين بل يفقهن في السنين الأولى من سني الدراسة التي يكون التعليم فيها محصوراً في دائرة المحسوسات ، إذ أنهن يستظهرن المعلومات بسهولة ، ويعنين بالنظافة ، والنظام ، والدقة في عمل التمرينات التي يعملنها ، ويقدرن الجمال تقديرًا تاماً ، ولذا يولعن بالأدب قبل أن يولع به البنون ، ويجدن الكتابة الانشائية في أول الأمر ، لاعتمادهن على محاكاة ما قرأن في كتب الأدب ، أو على ما كتبه لهن الأساتذة . وهذا يظهر بنوع خاص في القصص ، فالحكاية التي ينشئها الغلام تكون في الغالب مفككة الاوصال ، أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجاً محكماً مترابط الأجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارئ إلى نقطة الموضوع الهامة سيراً منسجماً ولذلك نرى أن الغلمان يكذبون ، ولكن كذبهم يظهر ، لأنهم لا يجيدون التلفيق . أما البنات فيفقهن على العموم في اجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على أن كذب البنات أكثر من كذب البنين ، وإن كذبهن يتأثر في الغالب بنزعات واغراض شخصية ، فقلما تكذب البنت لانتقاد غيرها ، أما الولد فكثيراً ما يفعل ذلك . والحق أن الغلام المربى تربية حسنة لا يكذب مطلقاً إلا لهذا الغرض ، فالأولاد تنقصهم المهارة ، والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب ، أما كذب البنات فمنق ملطف ، مفرغ بصيغة توهم السامع أن ما قيل هو الحق الصراح . وهذا نوع من المهارة اللغوية ، وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء في وصف الحوادث الخارجية ، وتقدير الأعمال ، فالحق عند الرجال ما كان مطابقاً للواقع — بصرف النظر عن شكله أو صيغته . أما النساء فالذي يظهر أنهن يتخذن بالشكل الظاهري ، وبالصيغة ، والانسجام ، والزخارف



وقد اثبتت التجارب التي قام بها كثير من العلماء في ظروف مختلفة ان البنين يفوقون البنات — في ادوار التعليم الراقى — في العلوم والرياضيات ، وان البنات يفقن البنين في الفنون كالرسم والتصوير والموسيقى والادب وتعلم اللغات

وقد بحثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف الانجليزية سنة ١٩٢٢ الفروق التي بين البنين والبنات من هذه الناحية ، مستندة في ذلك الى الدرجات التي حصل عليها كل منهما في امتحانات كيمبردج المحلية فتبين لها :

« ان الدرجات التي حصل عليها البنون كانت اعلى في الرياضة — ومنها الحساب ، وفي الطبيعة ، والكيمياء ، واللغة اللاتينية ، وكذلك في الجغرافية الطبيعية وان البنات فقن البنين في اللغة الانجليزية ، والتاريخ الانجليزي ، وعلم النبات ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية كتابة ومحادثة ، وكذلك في الرسم والتصوير »

وهذه الفروق راجعة الى الفرق الاساسي الذي لخصه مسيو لافيت بقوله : « نستطيع ان نقول على وجه العموم : ان المرأة على ما يظهر تتأثر بالحقيقة الحسية الواقعية اكثر مما تتأثر وتعني بالفكرة العامة ، واننا معشر الرجال نعني بالعلاقة بين الاشياء اكثر مما نعني بالاشياء ذاتها ، وان عقل المرأة يتغلق بالحسيات اكثر من عقل الرجال الذي يسبح في عالم المعقولات اكثر من عقل النساء »

وقد وجد تيرمان <sup>(١)</sup> ان الكتب التي يميل البنون الى قراءتها وهم في الحادية عشرة : هي كتب المغامرات ، والاقتاصيص المشتملة على مفاجآت غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ، وكتب الاختراع والكشف ، وكتب العلوم الطبيعية وغيرها

\*\*\*

اما البنات فيملن في تلك السن الى القراءة في كتب العشق ، وفي كتب القصص المتعلقة بالحياة المنزلية والمدرسية ، وفي الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والازهار او بفلاحة البساتين ، ولا تملن الى الكتب العلمية او الميكانيكية

وقد وجد تيرمان ايضاً ان البنين في الرابعة عشرة يميلون كثيراً الى قراءة المجلات ، ويحبون قراءة عن الرياضة البدنية وعشاقها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب الاسفار ، وحكايات الغابات والادغال

ويميل البنات في هذا السن الى القراءة في المجلات ايضاً ، ويشتد ولعهن بالاقتاصيص الغرامية والشعر ، ولا يحفلن كثيراً بحكايات المغامرات ، ولا بكتب الاطفال

وقد اختبر « جوردان » عدداً من البنين والبنات ليعرف انواع الكتب التي يحب مطالعتها كل فريق فوصل الى النتيجة المبينة في الجدول الآتي

(1) Terman. See. The Psychology of Adolescence, by F. D. Brooks P. 295—297



النسبة المئوية		النسبة المئوية		النسبة المئوية		المادة
من ١٧ — ١٨ سنة		من ١٤ — ١٦ سنة		من ١٢ — ١٣ سنة		
بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات	
٢٤ر٦	٥٦ر٩	١٣ر٩	٤٨ر٣	١١ر٧	٣٤ر٦	حكايات خرافية عن الكبار
١ر٩	٩ر٧	٢ر٥	١٧ر٣	٣ر١	٣٨ر٥	حكايات خرافية عن الصغار
٥٢ر٨	٢٧ر١	٦٣ر٣	٢٥ر٤	٦٢ر١	١٩ر٧	كتب المغامرات
١ر٣	١	٢ر٣	٨ر	٣ر١	٦ر	كتب التراجم
١ر	—	٥ر	—	٢ر٣	—	كتب التاريخ
٣	٢ر٦	١ر٢	١ر٦	٥ر	—	كتب الشعر
١ر	١	١ر	١ر	—	—	كتب العلوم
١ر	—	١ر	—	—	—	كتب الاسفار
٦ر	—	٦ر	—	٥ر	٢ر	كتب المعلومات العامة
٨ر٥	١ر٩	٧ر٣	٣ر٣	٩ر٩	٢ر٥	كتب المزاح
١ر	—	١ر	—	٣ر	٤ر	كتب فنون مختلفة
٨ر٩	١ر٧	٨ر١	٣ر٢	٦ر٥	٣ر٥	لا يولعون بشيء خاص
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

ولا يجوز أن يحولن بخاطر القارئ الكريم أن معنى هذه التفرقة استصغار شأن المرأة أو الحط من كرامتها، إذ أن التفرقة لا تستدعي الحط من الكرامة وصفات المرأة الخاصة لم تنشأ عن تأخرها في سلم الترقى، ولكنها نتائج طبيعية للاتجاه العام المستمر نحو التخصص وتوزيع الاعمال يقول فوييه: « أن المرأة لم تتأخر عن الرجل بل أنها سارت معه جنباً لجنب، ولكن تقدمها دائماً الى الغاية التي ترغبها طبيعتها على السير نحوها »

ويقول جيمز ولتون: <sup>(١)</sup> « أن قياس قوة المرأة الفكرية بقوة الرجل قياس باطل، وأن استنباط أن الرجل أعلى منزلة من المرأة من عجزها عن التفكير الفلسفي استنباط كاذب. نعم أن تقدير الرجل للقوانين والاحكام العامة شيء، وتقدير المرأة للأمثلة والنماذج الحسية المادية شيء آخر، ولكننا لا نستطيع أن نقول أن هذا أقل منزلة من ذلك، فكل منهما ضروري في الحياة، والمرأة باتجاهها الى ناحيتها الخاصة تكمل الرجل في اتجاهه الى ناحيته، كما أنه باتجاهه الخاص يكمل المرأة في اتجاهها فكل منهما مكمل للآخر » فليست المسألة مسألة تفضيل الرجل على المرأة، ولكنها مسألة بيان اختلاف كل عن الآخر

(1) See : The Psychology of Education, P. 131—132



في الصفات الجسمية والعقلية ولذا نعد عبثاً كل محاولة عملية يقوم بهما المجتمع ، وكل منهج تسير عليه الأمة يكون الغرض منه جعل المرأة مثل الرجل في قواه العقلية ، لأنها تكون حينئذ محاولة ضالة ، ومنهجاً مبنياً على أساس سيكولوجي وإم لا يلبث ان ينهار»

وبهمنا كثيراً ان نلفت نظر القارئ الى ان هذا البحث يفضي بنا الى نتيجة عملية لا نزاع في صحتها هي : انه ليس من الحزم في شيء ان نرغم البنت على ان تسير مع الولد جنباً لجنب في ادوار التعليم ، او ان نجعل المناهج التي تسير عليها في تعليم البنين مثل التي تسير عليها في تعليم البنات ، فلعل ميول واستعدادات ، ولكل وظيفة خاصة في الحياة تنتظره . فلنعد كلا لوظيفته خير اعداد متعين في ذلك ما تمليه علينا الطبيعة البشرية ، وما يرشدنا اليه القانون الالهي الاعلى ، الذي يأبى الا أن يكون الرجل رجلاً ، والمرأة امرأة

اننا ان خالفنا تلك الطبيعة البشرية ، وخرجنا على ذلك الناموس الالهي فاننا نعرض ابناؤنا لآخطار اجتماعية ربما لا يستطيعون مقاومتها ، ونقع في اخطاء تعليمية قد لا نستطيع اصلاحها

## سر النوم وقرب سر

علاج للارق والامراض العصبية

يعمل نقر من علماء مستشفى الامراض العقلية في هوايتشرتش بلندن ويميلون همة عظيمة لحل لغز يعد من اهم الاسرار الطبيعية وهو لغز النوم لكشف الحجاب عن سره وهم يأملون انه لا يمضي طويل حتى يستطيع الطبيب جاب النوم الطبيعي الى المريض الذي يعالجه اذا برّح به الارق مع الداء ولا سيما اذا كان من المصابين بالنورستينيا فيخلص بذلك الوفاً من الذين يموتون كل سنة لان الارق ينهك قواهم او يساعد امراضهم على الفتك بهم

والمبدأ الذي اتخذه اساساً لبحثهم هو ان الغدد النخامية التي في قاعدة الدماغ تفرز شكلاً من اشكال البرومين وان سبب النوم اطلاق البرومين لسريانه مع الدم

وقد وصف طبيب معروف في مستشفى تشارنغ كروس معنى هذا الاكتشاف لعالم الطب فقال : ان خلو النوم ثمانى ساعات من الاحلام والتقطع المزعج يعود بأعظم فائدة على المرضى والمصابين بالارق . فلذلك يعد هذا الاكتشاف اعظم نعمة على البشرية لان المريض او المؤرق الذي ينام نوم العافية بلا تقطع ينسى كل شيء في نومه فيزول المله كما يفعل السحر فاذا صحا من نومه والالم على حاله في ساعات يقظته امل ان ينام نوماً هادئاً في الليلة التالية وهذا مما يساعده على التغلب على الداء لانه يذهب تنبيهاً معنوياً اذا صرفنا النظر عن التأثير الطبيعي ويسبغ عليه شجاعة لمحاربة الداء ان النوم اعظم لغز في العالم ولا يعلم احد سببه الحقيقي فاذا تمكن اولئك الباحثون من ان يقولوا لنا ما هو كان لهم فضل عظيم على الطب وعلى النوع الانساني



## مرام المرأة في الحياة

للمسز روزفلت

سيدة البيت الابيض

نشرت المسز فرنكلين روزفلت قرينة المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة هذا المقال في احدى الصحف الاميركية وهو ينطوي على كثير من الاختبارات والآراء النافعة فلخصناه فيما يلي: صرت جدة واريد الآن ان اذيع اني بلغت الخمسين من عمري من دون ان اشعر بذلك واذا قدر لي ان اعيش السنين السبعين التي تمنحنا اياها التوراة فاكون قد طويت الآن من عمري ثلثيه اسمع كثيرين وكثيرات يلقون عليّ السؤالين الآتيين :- لماذا تظهرين يا مسز روزفلت بمظهر الشباب ولماذا لا تزالين تنهضين باعباء اعمالك كأنك في مقبل العمر مع انك اصبحت جدة ؟

ان هذين السؤالين يثيران في عاطفة الاعجاب ولما كنت لا ازال اشعر انني في نضارة الشباب لم يخطر لي قط ان اسأل هل اخذ ديبب الشيوخوخة يدب اليّ او هل يهددي الوهن لا اشعر بانّي شيخوخة وهذا لا يمنعني من النفور من الذين يصرون على التصرف تصرف الشباب مع ان شببيتهم قد ولت من عهد بعيد ولذلك احاول غير مرة ان اتذكر بانّي ادركت سن الكهولة ولا اسمح لنفسي او لاولادي او لاصدقائي ان ينسوا هذا الامر. ومع كل ذلك فلا اشعر البتة بانّي «شيخوخة» وقد صرت من عهد بعيد اشعر بوجود تمتع الانسان بالحياة والتمرس بشتى الشؤون الخطيرة التي تعرض له في حياته فان اكتفاءه بالاهتمام بالامور التي يراها عند متناوله والتي قضت عليه الاحوال بالتأمل فيها يحكي بسخافته جلوسه على كرسي وتأمله في الورق الملصق على جدران الغرفة بدلاً من النافذة فيجب علينا ان نوسع دائرة افق حياتنا وتندرع بما يتسنى لنا من الذرائع لفهم حياة قريبنا ونكثر من الاصدقاء في مختلف الاوساط ونطلع على ما يشغل خواطر الناس ويستهوهم

اعرف سيدة تجاوزت السبعين من عمرها وارتاح كثيراً الى محادثتها وتشعر ابنتي بمثل ما اشعر به من الارتياح الى معاشرته تلك السيدة العجوز في صحبتها نزول فوارق السن بيننا ولا نضطر الى التحفظ من القاء الكلام على عواهنه فكأن تلك السيدة الكريمة قد اكتشفت سر الشبيبة الدائمة وما ذلك السر سوى شبيبة الفكر فكمن من الذين يشيخون مع بقاء اعضائهم على مرونتها في الحركة ينفرون من معاشرته الشبيبة . لقد صدئت اداة التفكير عندهم واحاطت بها الاوهام فلا قيعة عندهم الاً للمبادئ التي كانت شائعة في شببيتهم واصبحت اذهانهم عاجزة عن تمثيل المبادئ الجديدة لانهم لم يعرفوا كيف يدربونها على معالجة الجديد فهولاء يشيخون قبل وصولهم الى سن الشيخوخة



وهذا ما جعلني أدرك سبب عدم تفاهم الوالدين والاولاد . ولا تقضي علينا الحال بان نهتم بترويح خواطر الفتيان والفتيات العاشقين معنا بمثل اهتمامنا بترويح خواطرنا

وما عرفت واسطة لبلوغ الشيخوخة قبل الآن كترك سوانا يعمل لنا كل شيء . فالناشئة الجديدة نعدنا — من دون اطالة التفكير في ذلك — في مصاف العجائز او الضعيفي البنية لتوهمهم اننا نعجز عن عمل ما يعملونه لنا . وما نقوله عن الجسم يمكننا ان نقوله عن الفكر وقد لا يتيسر لنا في شيخوختنا تجنب الامراض التي تلم بجسمنا ولكننا اذا فكرنا تفكيراً جدياً في ذلك مشينا منتصبي القامة الى القبر وانا موقنة ان نشاط الفكر المنوع هو افضل علاج لادواء الجسم

كنت اعرف من سنوات سيدة طاعنة في السن نحيلة الجسم لطيفة المعاشرة فذهبتُ وسيدة في مقتبل الشباب لزيارتها ذات يوم وبعد ما قضينا زيارتنا ورجعنا قالت لي السيدة الشابة هنيئاً لك بمقامك في مدينة تستطيعين كلما شئت ان تزوري فيها مثل هذه السيدة الفاضلة التي يسري حديثها الهم عن الفؤاد والحق يقال ان صديقتي العجوز كانت تنسى نفسها وتظهر بمظهر اللطف والرفقة والعطف والجودة والذكاء والتساهل وقد اقتبست تلك الاخلاق من التجارب وكانت تتفنن في طرق ابواب الموضوعات فتلجها ذاهبة فيها كل مذهب . ويحسن بالنساء الا يزينن ان بقاءهن على نصارتهم منوط بحسن صحتهم فيجب على كل منهن ان تنظم اسلوب معيشتها بتعيين ساعات النوم ومقدار الغذاء وانواعه ومواعيد النزله وترويح الخطر من دون اذاعة ذلك على رؤوس الاشهاد

وما اكثر النساء اللواتي يعنين بتربية اولادهن ويهملن العناية بانفسهن فالالعب الرياضية تعد من خصائص المرأة العصرية وهي تشمل رياضة الجسم ورياضة الفكر . ولا ينبغي للمرأة ان تنبذ هذه الرياضة مع تقدمها في العمر فلعبة الجولف مثلاً تلائم المرأة التي هي في الستين من عمرها ملاءمتها للفتاة التي لا تزيد سنها على ثماني عشرة سنة . واذا كانت المرأة قد تعودت ركوب الخيل في العشرين من عمرها فلا مسوغ للعدول عن ذلك حينما تبلغ الثمانين ولكن لا بد لها حينذاك من الاعتدال

أما مهمة المرأة الجوهرية فهي ان تجعل حياتها وحياة الذين تحبهم والذين لها صلة بهم على جانب عظيم من الهناء والراحة ومن الواجب عليها ان تجعل الحياة محبوبة وذات معنى

فالمرأة التي تعود بالفكر الى الذكريات الماضية تغتبط بان يكون لها الفضل على والديها وزوجها واولادها بجعل روض حياتهم خصباً وجعل شمس البهجة تشرق فيه

واذا شاءت المرأة ان تجعل الذين يحيطون بها راتعين في محبوبة الهناء كان امامها مجال واسع للعمل والتفكير ولا يبقى لها وقت لجمود جسمها وقلبيها وفكرها . والمرأة الطاعنة في السن لا تخلو حياتها من الفائدة أبداً . أجل انه لا سبيل لها الى المجاهرة بمثل ما كانت تجاهر به من الحب في ابان شببتها ولكنها تشتد فيها قوة الفهم والادراك والشعور والحنان مما يساعد الذين تحبهم على المعيشة وفقاً لما تمليه عليهم عواطفهم من دون ان تضطروهم الى العمل بمشيئتها



# باب المراسلة والمنظرة

صورة فلمية

ديمتری بك خراط

بقلم نقولا شكري

كل ما هو خير وقوة في الطبيعة يستحيل في الغالب الى مزايا وصفات سامية في الانسان .  
كذلك استحال اخلاف النورماندين الذين انحدروا الى غرب اوربا من ملاّحين وغزاة الى تجار  
ومستعمرين بسطوا جناح سيطرتهم على جزء من العالم لا تغيب عنه الشمس  
ومن الممكن ان يقال ايضاً عن طبيعة الشرقي انها بمقدار ما تحتزن من الخير منذ القديم لا تزال  
تهب الشرقيين مزايا وصفات يندر ان توجد في غيرهم . ولم تكن رمال الصحراء في بوادي الحجاز  
يخلو من هذه المزية فان العرب قد استحالوا من رجال اكفاء الى فاتحين وحكّام  
وكأنما يعد من تقاليد الشرق ان يكون الشرقي تاجراً وفي الوقت نفسه أديباً او عالماً واسع  
الاطلاع او بالعكس مشغلاً بالعلم وفي مزاجه حب العمل والتوسع في الرزق بوسائل تتم على ذكائه  
واتصاله القوي بالطبيعة عن طريق المعاملات المادية

ولقد سبق ان كتبنا عن شرقي كبير من العصامين الذين استحال فيهم خير الطبيعة الشرقية  
الى مزايا وصفات سامية ونعني بذلك كبير تجار الخشب الكاتب الباحث أسعد باسيلي  
ونود ان نقوي هذا المثل في نفوس النشء بوصف شخصية اخرى من هذا الصنف من الرجال  
الذين كان اساس نجاحهم يرجع رأساً الى الفطرة . شاعر وتاجر من الطراز الاول لا تزال حياته واعماله  
مثلاً يستحق ان يقنّدى به هو حضرة صاحب العزة العالم العامل ديمتري بك خلاط  
قلنا ان خير ما في الطبيعة يستحيل بالعصامين الى مزايا ومواهب سامية ولعلّ اصدق صورة  
لذلك تتمثل في ديمتري بك خلاط

بدأ حياته بالاشتغال بالادب والعلم وهي وظيفة لا تزال نعدّها من الوظائف الكمالية ولكن  
يغيب عنا دائماً انها من تقاليد الفطرة الشرقية التي كأنها تأتي ان تقطع شوطاً في سبيل النبوغ  
والنجاح قبل ان تدل على مواهبها السامية أما في العلم او في الادب . وقد كان نبوغه في التجارة  
والاعمال المادية الصرفة بعد ان اشتهر اسمه كشاعر وكأديب . وكانت كبريات المجالات العربية قد



فتحت لكتاباته صفحاتها فانتج كثيراً من قبل ان يحقق بذكائه ذلك النجاح العظيم الذي وفق اليه في الاعمال التجارية . ولم يكن من الممكن لرجل دلّ على مواهبه السامية في الادب ان يؤدي مهمته الكبيرة في الاعمال المادية من دون ان يحقق معجزة تميزه وتشير الى فضله وقد كانت العادة المتبعة لعهد ان التجار يستوردون بضائعهم من الاسواق الكبيرة في اوربا ولكن ديمتري بك خلاط التاجر خالف هذه السنته بذكائه وجعل يستورد هذه البضائع عينها من مواردها الاصلية فخلق لنفسه خطوطاً تجارية جديدة ساعدت كثيراً على نجاحه . ويجب ان نعترف بأن النجاح الكبير في التجارة ليس بالمهمة اليسيرة ولكن ديمتري بك خلاط امتاز فضلاً عن مواهبه بالجرأة وهي رأس مال التاجر وربما كانت جرأته هي اساس اتساع معاملاته عند ما اختار ان يكون من رجال الاعمال . وهي تلك الجرأة نفسها التي جعلت منه في بادى الامر أي قبل هجرته الى مصر كاتباً حرّ الفكر لا يطيق الصبر على الافتئات والازدراء بالحقوق . فقد يذكر ديمتري بك خلاط الاديب تلك المقالات الرنانة القوية التي ثار بها على رجال الحكومة في بيروت وطرابلس الشام وقت ان كان الشاعر الرقيق والاديب السليم الذوق والافكار . وقد استحال ذلك الشاعر عند ما بدت له وجوه النقص التي يكبدها الجمهور الى صحافي جريء لا يهاب تهديداً ولا وعيداً في سبيل نصره الحق فأفضت حملاته الى قيام النزاع بينه وبعض أهله . بل لقد أفضت الى هجرانه لموطنه وهبوطه مصر حيث صار من رجال الاعمال البارزين

ولم تكن هجرته سبباً في ظهور مواهبه وفطرته الشعرية فقد اشتهر بهذه المواهب وتلك الفطرة وهو بعد فتى في موطنه طرابلس الشام وكان يملأ بمقالاته وشعره اعمدة « الجنان » و « الجنة » اللتين كان يصدرهما المرحوم المعلم سليم البستاني فقد خص الاولى بالادب والثانية بالسياسة وربما كان من المستظرف ان نذكر لهذه المناسبة محاولة قامت بها الجنان وقتئذ في تعريب قصة « سرفانتس » الشهيرة باسماء عربية . وهي محاولة تدل على اخلاص ذلك الجيل من الادباء في جهودهم . ولم يكن شاعرنا وقتئذ ينقصه ذلك الاخلاص في اعماله الادبية . بل لقد كان اخلاصه مقروناً بالجرأة وحرية الفكر فكان الى جانب شاعريته وأدبه خطيباً قوي النفس اتفق انه في سنة ١٨٨٩ الى خطاباً في تاريخ التمدن الانساني على غرار خطاب جان جاك روسو في الاختلاف بين حالات الناس « عدم مساواة الناس » ونشر الخطاب في صحيفة الاهرام فكان له اثره العظيم الذي ادى الى تعرفه بتلاميذ جمال الدين الافغاني ولا سيما امير بلغاء ذلك العصر وسيد خطبائهم ونعني به اديب بك اسحق وكان وقتئذ يدير جريدة مصر ويحررها . ونحن نعلم مقام اديب بك اسحق وفضله واثره العظيم الذي خلقه في ادباء العصر الاخير فجعل ديمتري بك — وكان لا يزال شاباً مملوءاً حماسه يعمر قلبه الاخلاص والوطنية والشعور القومي — يكتب المقالات والرسائل في جريدة مصر . ولا شك في ان الذين يحفظون ذكرى اديب بك اسحق يغبطون ديمتري بك خلاط على الحقبة التي نغم بها بصداقة خطيب عصره



صاحب جريدة مصر . ولا شك ان هذه العلاقة وغيرها لم تكن بلا تأثير في شاعر ناشئ قد ادّخر له الزمن القيام بمجهود ادبية ومادية من الطراز الاول

وفي الحقيقة ان ديمتري بك خلاط جعل يباري بقلبه واتخذ من جريدتي مصر والاهرام ميداناً لاطهار مواهبه وبلاغته فنشر في الاخيرة رواية «عزة النفس» ضمنها افكاره الحرة عن دياجي الاستبداد التي كانت مخيمة وقتئذ على افق الشرق وكان ذلك قبيل سنة ١٨٨٢ وكذلك شهد ديمتري بك خلاط خير عصر من عصور الادب في مصر ، هو ذلك العصر الذي اشتهر بالاسماء الخالدة التي تستحق تمجيدنا واعترافنا بالجميل ، عصر جمال الدين الافغاني ومحمد عبده واديب اسحق وعبد الله نديم و ابراهيم اليازجي وغيرهم من الذين اقاموا قواعد هذه النهضة وبنوا للاخلاف ذلك الهيكل العظيم الذي نمجده الى اليوم وفي ذلك العصر الذي امتاز بتحرره من القيود عاش ديمتري بك خلاط . ولا شك ان ارتباطه بالعلاقات الادبية مع عظماء ذلك العصر قد وهب لتفكيره كثيراً من الحرية والروح العملي الذي هو اساس الانتاج . ولما كان ديمتري بك خلاط قد هبط مصر قبيل الثورة العربية وشهد حريق الاسكندرية سنة ١٨٨٢ لم يكن من الممكن ان يشذ عن الحالة التي سادت مصر في ذاك الوقت ، فانه عقب خمود تلك الحركة استأنف الناس في مصر اعمالهم وكان ذلك بقوة وجهد عظيمين كما يكون عادة عقب الفترات التي تشل فيها حركة الاعمال فاختار ان يقف كل جهوده على توسيع دائرة اعماله التجارية وكان لا بد ان تعينه مواهبه وذكاؤه الفطري على النجاح فكان اول ما فكر فيه كما قلنا استيراد انواع من البضائع من مصادرها وعيونها على خلاف ما يفعل سائر التجار ولم يستنفد العمل التجاري مع ذلك جهوده فقد كان يسترق الوقت للاطلاع والتأليف ولم يترك وقتاً يفلت منه دون ان يقيد رسالة او ينظم قصيدة وكان من حظه وحظ الادب وقتئذ ان قدم استاذ وصديقه العلامة الدكتور يعقوب صرّوف مع رفيقه الدكتور فارس نمر فنقلوا الى القاهرة ادارة المقتطف وانشأوا بالاشتراك مع المغفور له شاهين بك مكاريوس جريدة المقطم فظل من ذلك الحين يوالي المقطم والمقتطف بمقالاته وقصائده . ونذكر انه في سنة ١٨٨٨ نشر في المقتطف قصيدة سماها « القصيدة الهندية » وهي من بدائع الشعر العصري ومن خير ما نظمه شاعرنا منها قوله : —

أراك في يقظة من لوعة الألم      إني شبّيهك مكوم فمي كلي  
أصغي ولا تعجبي مما أصبت به      إني سمعت الى حثي على قديمي  
وقد حصدت ثمار الوجد يالعة      لما زرعت بذور الضر والنقم  
وهكذا الذنب مشفوع بنقمته      وصاحب البر لن يشقى ولم يضم

وقد نشرت هذه القصيدة في خير صحف العلم والادب في الشرق العربي وفي مصر حيث امتازت الاكثرية بتذوق الشعر الجيد وتقديره . نقول انه بلغ من استحسان القراء لهذه القصيدة ان المقتطف اعاد نشرها كاملة بعد سنوات



ومثل ديمتري بك خلاط الرجل الذي كان حب الاطلاع قد استحوذ على ذهنه ، وكان شغفه بالجديد والطريف مزية لمواهبه كشاعر عصري وأديب ملم باللغات الحية ينقل عنها مختارات الرسائل بدق سليم ومقدرة فائقة — كان من الطبيعي ان تحمله مهمته كتاجر الى القيام برحلة واسعة في انحاء اوربا فجعل زيارته لمعرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٩٠ وسيلة لتحقيق هذه الرحلة التي اطلع فيها على مراكز الصناعة والتجارة في العالم المتمدن وقيد ملاحظاته كتاجر واسع المعاملات او كاديب دقيق الملاحظة ميال بفطرته الى الطريف من الاشياء غراب اوربا غرباً وشرقاً وزار متاحفها والاساط الكيرة ورافقته في تلك الرحلة زوجته الفاضلة وهي من السيدات المستنيرات تجيد مع لغتها العربية الانجليزية والفرنسية وتحسن الكلام بالاطالية واليونانية والالمانية . ونعلم ان والدها المرحوم وهبة الله كرم عني بتنقيفها عناية كبيرة ونعتقد ان من النعم الكبرى ان تكون الزوجة مستنيرة تشارك زوجها افكاره وطباعه وتعينه في جهوده كذلك كانت مدام ديمتري بك خلاط وقد جمعت الى هذه الاستنارة اخلاقاً سامية وتواضعاً كبيراً ولا تزال تساعد زوجها في اعماله وتقيد ما يعليه عليها بعد ان حال الداء الذي اصابه في عينيه عن ادائه لهذه المهمة

ولما عاد من رحلته وضع كتابه النفيس الذي اسماه « السمر في السفر » وضمنه ملاحظاته ومشاهداته وظهرت في ذلك الكتاب مواهب الشاعر والاديب الاريب في تصوير المحدث والناس ووصف العادات ولولا ان اصاب منذ سنوات بداء كان يوشك ان يودي بحياته وكتب له الشفاء منه لما انقطعت اعماله الادبية الجليلة التي كانت نواة مجده ونجاحه الكبيرين في ميدان الاعمال ولقد زرت ديمتري بك اخيراً في منزله وسرني ما شاهدته في فردوسه الارضي كما يسميه وحسب هذه التسمية دليلاً كبيراً على حب الشاعر التاجر لمغناه الذي تتولاه سيدة من انبل العقيلات وافضلهن خلقاً فانشدني ابياتاً فكسبه شكابها الداء الذي اصابه في عينيه « كتر اكرت » وحجب النور عنها ضمناً مصرعاً من شعر لبيد قال :-

ولقد سئمت من الحياة وطولها	وسؤال اهلي ماذا تأكل في غد
اكبية ام سمكة مشوية	ام لون أرز بالفراخ مزود
ام هل تروم السير في سيارة	تطاً الثرى في خفة كالهدد
ومنها : — كلاً . فما من لنة مذ مقلتي	حرمت قراءة كل سفر جيد
حسي ضباب بالعيون مخيم	في كل آن بالظلام مهدي
وانشدني قصيدة اخرى عن الحيرة قال :-	

جاءت مقنعة بالحلم زائرة	تشق صدر الدحي في طلعة الفجر
فقلت يامهجتي طال البعاد فهل	يبقى الحجاب على محياك والنجر
هلاً تميطنه قالت أنضمن لي	رؤيا الرقيب فيدري كامن السر



ومنها: — تورعت من هوى المحبوب في زرد  
والحب ليس جميلاً إلا صادفه  
ومنها: — بالله يا معشر العشاق فائتدوا  
فهل تظنون قلبي كرة صنعت  
ومنها: — هل حالة القفص المصنوع من ذهب  
لنفسنا فرج من خيفة الحصر

وبقي ديمتري بك خلاط ينهض بأعماله التجارية خير نهوض من دون ان ينقطع عن الاشتغال بالكتابة والشعر. وفي سنة ١٩٢٠ نقلت جرائد سوريا قصيدته اللبنانية التي نشرها في المقطم يؤيد بها رأي اللبنانيين في ضم مدن صيدا وبيروت وطرابلس الى لبنان بعد انفصالها عنه سنة ١٨٦٠ وكانت منه بمنزلة القلب من الجسم فأفضى السعي الى ان رفعت الدولة المنتدبة ذلك الجور عن لبنان واعادته الى حدوده القديمة واطلقت عليه اسم لبنان الكبير وكذلك كان شاعرنا الجليل موفقاً الى القيام بمجهود مثمرة في دائرة السياسة كتوفيقيته في الشعر والادب

وفي غضون ذلك كان تقدير صفات ديمتري بك خلاط من جميع الذين عرفوه وعرفوا فضله ومواهبه فاعم عليه سنة ١٩١٧ برتبة البكوية تقديرًا لمكانته وكان من قبل قد اشترك في عضوية بعض الشركات والجمعيات لاسيما مجلس ادارة البورصة ومجلس ادارة شركة الملح والصودا والجمعية الخيرية للسوريين الارثوذكس وهو الذي تولى تصفية البورصة من المساهمين وكان وقتئذ قد احرز مكانته العظيمة في الدائرة التجارية بمقدار ما ذاعت شهرته كاديب وشاعر. وفي سنة ١٩٢٦ انعمت عليه الحكومة البلجيكية بنشان رفيع تقديرًا لمكانته وجهوده في سبيل شركة ترام الاسكندرية والرمل

\*\*\*

هذه الحياة الكبيرة الحافلة بالاعمال والانتاج القيم التي جعلت من ديمتري بك خلاط تاجرًا عظيم المكانة تستحق ان نسوقها لشباب هذا العصر لكي يقتدوا بها فان الاعمال المادية لا تعوق ابداً الاشتغال بالتفكير المنتج ولا تحول دون الانتاج في الادب. لقد رأينا كيف ان شاعرنا كان يقوم بتوسيع علاقاته ومعاملاته التجارية دون ان يمنعه ذلك من الاشتغال في الادب والشعر. ولا بد من معرفة الصفات التي امتازت بها شخصية ديمتري بك خلاط فهو رغم اشتغاله بالاعمال التجارية التي رفعت مكانته قد اشتهر بميوله الانسانية وتواضعه وهدوء نفسه

وديمتري بك قد بلغ اليوم حدود السبعين ولا يزال على عهده من الصراحة والجرأة وتلك الدقة التي الفها في تنظيم حياته واعماله. ولعل ذلك اظهر صفاته وهي الصفات التي كوَّنت عناصر نجاحه. وهو رغم الصبغة الاوربية التي استحوذت على حياته بداعي الضرورات الاجتماعية فان هذه الحياة في جوهرها تمثل الاحتفاظ بالتقاليد الشرقية



# مكتبة المقتطف

عصر التبسيط والتعميم (١)

فتوحات العلم الحديث

في هذا العصر حاجة دائمة الى تبسيط العلوم والمعارف وتعميمها ، لانه عصر الجمهور وعصر الاختصاص

فالجمهور لا يفهم التفاصيل العلمية والدقائق الفنية ، ولا طاقة له بدرس المشكلات وحل الغوامض ولكنه يعيش في عصر كثرت فيه المخترعات التي يستفيد منها ولا بد له من السؤال عن سببها ، ولا بد له من جواب سهل صحيح يغنيه ما استطاع ويتيح له ان يعيش في زمانه كما يعيش البصير المدرك لما حوله . فكتب التبسيط العلمي تسد هذه الحاجة وتحقق وجود الانسان في عصره ، لانه بغير المعرفة التي يستمدّها من تلك الكتب يعاني غربة عن الزمن شرّاً من الغربة عن الوطن ، ونعم الكتاب الكتاب يضع الحياة في مستقرها ويرد العقل الانساني الى زمانه ومكانه

وهناك من العلماء السابقين من يفهم الدقائق المفصلة في علمه ولا يتسع وقته لفهم المبادئ الجملية في العلوم الاخرى فقد يبلغ من اتساع الطب والهندسة وعلوم الطبيعة ان يكون الفرق بين طبيب في فرع من الطب وزميل له في فرع آخر كالفرق بين الطبيب عامة والمهندس عامة ، من حيث الاحاطة باجزاء العلم وابوابه ، فليست الحاجة الى التبسيط والتعميم مقصورة على جمهرة العامة والسواد دون الخاصة من فطاحل العلماء ، بل هي حاجة يدعو اليها فرط العلم وقلة الحظ منه في آن واحد ، إذ ليس يحمل بالقانوني الضليع أن يصغى الى حديث عن « المذيع » الذي يسمعه باذنيه كأنه يصغى الى رطانة او طلاس ، وليس يحمل بالعالم الزراعي ان يصغى الى حديث عن السماء وشموسها وسياراتها كأنه لا يرفع بصره من الارض التي يزرعها ، وانما يحمل بكل عالم ان يستوفي علمه ولا يجهل الضروري من العلوم كافة ، وهو في هذا يلتقي بجمهرة السواد في الحاجة الى مراجع التبسيط والتعميم

(١) « فتوحات العلم الحديث » اسم الكتاب الذي اصدرته مجلة المقتطف في اوائل سبتمبر ليكون هدية الى مشتركيها بلا من عديدي اغسطس وسبتمبر سنة ١٩٣٤ — صفحاته ٣٣٦ صفحة قطع المقتطف . وهذا هو المقال الذي نقل فكتبه فيه الاستاذ عباس محمود العقاد ونشره في الصفحة الادبية من جريدة الجهاد وقد نقلناه باذن منه



وقد نشأت في اوربا شركات كبرى لنشر الاصول العلمية والفلسفية والادبية في قالب سهل التناول مفيد لجميع الطبقات، فاصبح في مقدور كل قارئ ان يطلع على اغرب الحقائق العلمية والعقلية مفسرة ميسرة في رسائل صغيرة حسنة التهيد والتقسيم تعطيه ما يغبنيه وترجحه مما يشكل عليه . والى جانبي — وانا اكتب هذا — عشرات من العجالات تصدرها شركة ارنست بن في مختلف المعارف الانسانية وقد عهدت في كتابة كل عجالة منها الى حجة عليم بتلك المعرفة، وهأنذا أتناول عشرًا منها بغير ترتيب مقصود، فاذا العجالة الثامنة عشرة في تاريخ الهند، والتاسعة عشرة في الاسلام، والعشرون في عهد الاصلاح، والحادية والعشرون في الصحافة، والثانية والعشرون في السكك الحديدية، والثالثة والعشرون في المصورين الانجليز بالالوان المائية، والرابعة والعشرون في فلاسفة العالم العظام، والخامسة والعشرون في الحرب على اليابسة، والسادسة والعشرون في رؤساء الوزارات الانجليز، والسابعة والعشرون في علم الجريمة، والثامنة والعشرون في القصة الفرنسية، وقس على ذلك تنوع المعارف واتساع الافق وكثرة الموضوعات، فاذا فرغت من قراءة الرسالة ولم نستوف كل ما تنوق اليه من شرح وتفصيل فأنت واجد في الصفحة الاخيرة منها سجلاً باسماء الكتّاب المطولة يحصي لك اهم المراجع واحقها بالاعتماد ويدع لك ان تختار منها ما تشاء للتوسع والاستقصاء

ونحن احوج من الاوربيين الى امثال هذه العجالات او الى تبسيط المعارف وتعميمها وتشويق القراء اليها . ولهذا نرحب كل الترحيب بالسفر الجديد الذي اصدره الاستاذ الباحث فؤاد صرّوف محرر « المقتطف » ونعني به « فتوحات العلم الحديث » فانه سفر حافل بالبسائط الجلييلة يدور البحث فيه على نحو ستين موضوعاً من المعارف الانسانية التي تدخل في علم الاجتماع وال عمران او علم الفلك والسموات او علم الطبيعة والغازها او علم الطب او علم الحياة وما بين ذلك من مباحث يمتزج فيها العلم والفلسفة والتقرير بالتقدير ، وقد افتتحه الاستاذ بكلمة مقتبسة من « هيرت هوفر » رئيس الولايات المتحدة السابق يقول فيها : « ان علماءنا ومستنبتينا اغلى الممتلكات القومية التي نملكها . كل مبلغ من المال مهما يعظم ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملكون قوة الابداع والتفاني والمثابرة على ترقية الفكر العالمي خطوة خطوة حتى يصلوا به الى البيوت فينشروا فيها اسباب الصحة والراحة والرفاهة ، اننا لا نستطيع ان نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل ارباح البنوك في جميع ارجاء المعمورة »

وهذه كلمة بدئية ولكنها ضرورية من رئيس جمهورية يخاطب الناس عامة ، فان الغريب في نظرنا ان توضع « ارباح البنوك » موضع المقابلة والموازنة لفتوح العقول ، ولكن ربما كان في الدنيا ملايين يستغربون ان توضع فتوح العقول موضع المقابلة والموازنة لارباح البنوك في جميع ارجاء المعمورة ، فهؤلاء يحتاجون الى تلك الكلمة من رئيس حكومة يعنى بالمعيشة قبل عنايته بالتفكير . وتحضرنا لهذه المناسبة كلمة الشاعر الالماني الاسرائيلي هنريك هيني التي يقول فيها على طريقته



في مزج التهم بالجد : ان ابناء اسرائيل تركوا هيكل سليمان يحترق بما فيه من الحلى والجواهر والتحف النواذر ولم يستنقذوا منه الا الكتاب . . . اليس هذا حجة على فضل الكتاب من « آل خبرة » بالاموال والنفائس !!

وسيرى الذين يطلعون على «فتوحات العلم الحديث» انه امتع من قصة واولى بالقراءة من كتاب تسلية، فهو اشبه بدليل الآثار الذي يتفقد السائح كل لحظة ولا يستمتع بسياحته أو يستفيد منها بغير الرجوع اليه ، وكذلك هذا الكتاب عند من يرى عجائب الكون وألغاز العلم في العصر الحاضر فهو دليل يريه واضحاً متمعاً ما كان يراه غامضاً مغلقاً لا يتصل بالعقل ولا بالشعور ، وان انساناً يعيش في عصرنا ولا يشعر بالحاجة الى استطلاع هذه العجائب والالغاز لهو أغرب من سائح يزور الاهرام وابواب الملوك وقصر أنس الوجود ولا دليل معه ولا اطلاع على التاريخ

\*\*\*

قال الاستاذ فؤاد صرّوف في مقدمته على مقام العلم في الحضارة : « كثيراً ما نسي في فهم الفرق بين البحث الصناعي العملي والبحث العلمي المجرد ، ان البحث الصناعي بطبيعته يتجه الى حل مسألة خاصة تعترض سبيل الصناع في عملهم ، فاذا توصل الباحث الى حل المشكلة الذي امامه قضى لباتته من البحث وحول جهده الى غيره جاعلاًهم في كل عمله الوصول الى غاية معينة . اما البحث العلمي فغاياته توسيع نطاق المعرفة بكشف نواميس الطبيعة والحياة ، وبعض هذه المباحث قد يعود - وكثيراً ما يعود - على الصناعات بفائدة اكبر واعم من المباحث الصناعية الضيقة النطاق التي يقصد منها حل مشكلة خاصة . فالببحث الصناعي قد يكون وسيلة لا تقان جزء خاص من المحرك الكهربائي او المصباح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد الذي كشف لنا ناموساً واحداً من نواميس الكهربائية جعل كل المحركات وكل المولدات الكهربائية في حيز الامكان ، ولولا كشفه لما كانت هي على الاطلاق »

وقد صدق الاستاذ في ملاحظته العلمية الفلسفية . فان الواجب الاول على طلاب الخير للانسانية ان يفرسوا في النفوس حب الاستطلاع لانه يدل على سعة الحياة والشوق الى المزيد منها ، ثم تحمي الصناعات والفوائد المعيشية مما يكشفه المستطاعون ويبدعه المخترعون ، فحب الاستطلاع كفيل بأن يمتعنا بالحياة والشعور ، ويزودنا بالمنافع والصناعات ، وليس الفرق بين امة رفيعة وامة وضعة الا الفرق في حب الاستطلاع الذي يؤدي الى اقتحام الجديد من الابواب وفتح المغاق من الاسرار ، وأول ما يبدو من علامات ارتفاع الامة ان تتصرف في معاشها تصرف المؤمنين بهذه الحقيقة . اما الامم التي لا يطمح فيها الانسان الى شرف المعرفة الا اذا تقدوه الثمن سلفاً من الفوائد المحسوسة فبينها وبين التقدم والارتفاع شوط بعيد

عباس محمود العقاد



## ما قلّ ودلّ

تأليف احمد الصاوي محمد — مجلدان صفحاتهما ٤٧٨ — قطع صغير — مطبعة دار الكتب

ينعم بعض الناس ، بموهبة النظرة السريعة الخاطفة ، يستجلون بها غامضاً من الغوامض ، او ينفذون بها الى كنه عمل من الاعمال او نفس من النفوس ، او يرون بها في حادث عبرة لا يراها الغير ، او يصيبون نكتة قد تجبي هي والعبرة سواء . والصاوي أحد هؤلاء . بل انه علاوة على ذلك كاتب رسّام ، يرسم بالكلمات المشاهد والحوادث احياناً ، وخلجات النفس او همسات الضمير او العبر المستخرجة من كل ذلك احياناً اخرى ، وهو الغالب . فهو اذا رأى في الشارع فتاة تسير مرفوعة الرأس معتزة بحماها مزهوة زهواً يكاد يبلغ حد الصلف كأنها تتحدّث النساء وتكيد للرجال لم يكتف بقوله انها مسرفة وانها معتدة بنفسها ، بل نظر اليها نظرة عاطفية فأسند اعتدادها بنفسها الى « ان قلبها لا يزال خالياً ، فهي تسير شاعرة باستقلالها ، تقطع الطريق رافعة الرأس لانها ترى من حولها القيود والاغلال . . . . أنا افهم هذا الجبين المرفوع . . . . انه رمز التحرر من عبودية الجليل ، ولكنه رمز لا يطول مداه ، فان الرجل يتربص به . . . . » وفي هذا التعليل كثير من الشعر

او قد تأتبه رسالة يستفتى فيها في موضوع عاطفي خاص وهو في الوقت عينه اجتماعي عام . أن تضع قلبها ؟ فيردّ وفي قوله حكمة خالصة : « نعم يا سيدي لها حق الحب والحياة على شريطة ان تعرف اين تضع قلبها ، صحيح ان هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك ان يلقي برأس ماله كله في البحر ويجلس بعد ذلك على الشاطئ يندب سوء المآل ، بل ان المال الضائع قد يعوّض اما القلب المنكسر فهيهات ان يجبر . والفقاة المصرية يا سيدي . قلما تعرف كيف تحب ، لانه لا سبيل لها الى اختبار النفوس ، فهي لا تكاد تحب الا الوجوه ، والوجوه كثيراً ما تكون خادعة »

واغلب ما يراه في شؤون المرأة المصرية ونهضتها ومكانتها الاجتماعية ، متسم بسمة الجراءة والحكمة . وقد تكون اقواله هذه في نظر الذين خبروا الحياة في الاوساط الاوربية او في اوربا نفسها ، كلاماً معاداً ، ولكن هؤلاء ينسون ، ان « نسبية » اينشتين ، ليست محصورة في الرياضة العليا والطبيعة

وله كذلك في الاجتماع المصري نظرات ينقد بها ما يراه فيه من مواطن الضعف ، في بعض العادات والتقاليد ، ولكن ذلك لا يحول دون تمجيد ما يراه جديراً بالتمجيد ، مستميناً عليه بأقوال الحكماء وعبر التاريخ . بل انك لتقع احياناً على مقطعات في صفحاته هذه ، تنم على شاعرية صاحبها مع اننا لا نعلم انه نظم او حاول نظم الشعر

ولقد أنصف الاستاذ انطون الجميل بك في تقدير هذا الكتاب اذ قال في مقدمته : « بعض مقالات « ما قلّ ودلّ » وليد الحوادث اليومية العابرة ، يذهب معها وينطوي بطيئها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لا تضع بهجتها ولا تبلى جدتها » . فالذين يطلبون



من الصاوي التعمق في كل موضوع يتناوله ، ينسون انه صحافي ، يكفيه في التعليق على حوادث يومه ، ما تمليه عليه البداهة التي صقلها الاختبار وحفزها حب الخير ، فيدل على مواضع البحث والتنقيب والتبسط ، يعالجها المتفرغون لذلك . ولا يصح ان نختم هذه العجالة في كتاب « ما قل ودل » من غير ان نشير ، الى ان الصاوي — مشتركاً مع مطبعة دار الكتب المصرية — جدير بأعظم الثناء ، على عنايته العظيمة بالناحية الفنية من طبع كتابه . فالحجم الذي اختاره ، والرسوم التي زان صفحاته بها ، والغلاف البسيط الرزين القوي الذي غلفه به ، كل ذلك يجب ان يصبح مثلاً للمؤلفين والناشرين يحتذونه . فانه اثبت ان في إمكان المطبعة العربية ، اخراج كتب متقنة الطبع تهيج رؤيتها العين والنفس ، وكمن كتاب نفيس كانت بليته في سخف ورقه وسقم طبعه .

### تاريخ الامير نحر الدين المعني الثاني

حاكم لبنان من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٦٣٥

صفحاته ٤٥٠ بالقطع المتوسط وثمنه ١٣٥ قرشاً سورياً في الخارج

الف هذا الكتاب حضرة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو مجمع اللغة العربية المليك بمصر وعضو الجمعيتين العلميتين في دمشق وبيروت فجاء حافلاً بالمعلومات التاريخية الطريفة والبيانات المفيدة التي كان اكثرها مجهولاً لدى المشتغلين بالتاريخ . ويحتوي هذا الكتاب على خلاصة وجيزة لتاريخ لبنان في زمن الفتح العثماني استطراد منه المؤلف الى الكلام عن نسب الاسرة المعنية وعن نشأة نحر الدين الثاني المعني وعن توليه حكم لبنان وعن سفره الى ايطاليا لاجئاً الى حكومتها ثم رجوعه الى بلاده وعودته الى تسلم زمام الحكم وتوسيعه لطاق امارته حتى طرابلس وحلب وفلسطين ودمشق وما تلا ذلك من حرب الدولة العثمانية له والقبض عليه وعلى اسرته وارسالهم الى الاسطانة وقتله واولاده فيها وفي الكتاب مباحث وافية عن اعمال المعني العمرانية وعن علاقاته بفرنسا وايطاليا ومعاهداته معها وعن البعثات الدينية الاجنبية وتاريخها في الشام . وعن عادات الامير واخلاقه وعائلته مع رسوم شمسية نادرة . وقد رجع مؤلفه الفاضل الى كثير من المصادر التاريخية الايطالية والفرنسية والتركية والروسية والالمانية والمخطوطات العربية التي لم تنشر فجاء وافياً بالمقصود يمثل الحياة العامة في لبنان اصدق تمثيل في تلك الحقبة ولا يستغنى عنه الذين يعنون بالعلوم التاريخية ويحرصون على دراسة حالة لبنان في تلك العصور وما بلغه من تقدم وعمران على يد اميره المعني .

واعترافنا بفائدة الكتاب وتنويعها بخطورة شأنه من الجهتين التاريخية والعلمية لا يمنعنا من تذكير حضرة مؤلفه الفاضل بملاحظة بسيطة نختم « بالشكل » لا « بالموضوع » . وهي كثرة الحواشي ونعدها في ذيل صفحاته حتى يكاد القارئ يضل في تيهها الواسع فينصرف عن تلاوة المتن مع انه لو ادماج معظمها في متنه ما دامت متصلة بالموضوع او لو افرد لها صفحات خاصة وضعت كلاحق رجع اليها القارئ المتبحر تخلفت بعض العناء عنه ولعله يأخذ بها في الطبعة الثانية ان شاء الله .



## مفتاح كنوز السنة

وضعه بالانجليزية الاستاذ فسنك وترجه الاستاذ «محمد فؤاد عبد الباقي»  
نشرته «لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية» مطبعة مصر سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م

كتب الاستاذ العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا المقدمة الاولى لهذا الكتاب ، والمقدمة الثانية كتبها المحدث البارع الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر ونحن ننشر هنا جزءاً من هذه المقدمة النفيسة لنبني بالغرض في تعريف القراء بهذا الكتاب : قال  
هذا الكتاب جعله مؤلفه فهرساً لثلاثة عشر كتاباً من امهات كتب الحديث وهي : مسند  
الامام احمد بن حنبل ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن الدارمي ، سنن ابي داود السجستاني  
سنن الترمذي ، سنن النسائي ، سنن ابن ماجه ، وهذه الثمانية هي اصول السنة ، ومصادرها  
الصحيحة الموثوق بها ، ويندر ان يكون حديث صحيح خارجاً عنها ليس موجوداً في احدها  
ثم موطأ الامام مالك ومسند ابي داود الطيالسي ، وهما من اقدم الكتب المؤلفة في الحديث ،  
فان مالكا والطيالسي من علماء القرن الثاني الهجري ، وان كان الطيالسي تأخر وفاته الى اول  
القرن الثالث (سنة ٢٠٤)

ثم سيرة ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هجرية ، وهي اختصار وتهذيب لاول كتاب ألف في  
السيرة ، وهو كتاب محمد بن اسحق رئيس اهل المغازي المتوفي سنة ١٥١ هجرية  
ثم كتاب المغازي للامام محمد بن عمر الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧

ثم اعظم كتاب جمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وهو كتاب  
( الطبقات الكبيرة ) للامام الحافظ الثقة محمد ابن سعد المتوفي سنة ٢٣٠ وهو تلميذ الواقدي وكتبه  
والكتاب الرابع عشر : المسند المنسوب للامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المتوفي  
شهيداً سنة ١٢٢ . وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة ، ولو صحت نسبته  
الى الامام زيد عليه السلام لكان اقدم كتاب موجود من كتب الأئمة المتقدمين ، الا ان الراوي  
له عن زيد رجل لا يوثق بشيء من روايته عند أئمة الحديث ، وهو ابو خالد عمرو بن خالد  
الواسطي ، رماه العلماء بالكذب في الرواية ، قال الامام احمد بن حنبل في شأنه : « كذاب ، يروي  
عن زيد بن علي عن آبائه احاديث موضوعة »

وقد رتب الاستاذ ونسبك كتابه على المعاني والمسائل العلمية والاعلام التاريخية ، وقسم كل  
معنى او ترجمة الى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك . ثم رتب عناوين الكتاب على حروف  
المعجم . واجتهد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الاحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب ،  
ولكنني في مطالعتي وجدت انه لم يستقر كل الاستقراء ، وهذا مرجعه الى صعوبة العمل الذي قام  
به عن غير مثال يحتذى



واعتمد في مسند الطيالسي على طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢١ هجرية ، وفي مسند زيد على طبعة ميلانو سنة ١٩١٩ ميلادية ، والاحاديث في الكتابين لها ارقام متتابعة ، فأشار الى ارقامها فيهما واعتمد في مسند احمد على طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هجرية ، وفي طبقات ابن سعد على طبعة ليدن سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٨ ميلادية ، وفي سيرة ابن هشام على طبعة غوتنغن سنة ١٨٥٩ - ١٨٦٠ ميلادية . وفي مغازي الواقدي على ترجمتها المطبوعة في برلين سنة ١٨٨٢ ميلادية . وأشار الى ارقام الصحف في كل منها

ولكثرة الطبعات في سائر الكتب — وهي الكتب الستة والموطأ والدارمي — اعتمد على ارقام ابتدعها لكل واحد منها باصطلاح له أبان عنه في مقدمة كتابه ، وذلك أنه قسم كلًّا منها ماعدا صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك — الى كتب ( او مجموعات للابواب ) وكل كتاب الى الابواب التي ذكرها مؤلفه فيه ، وجعل لكل كتاب منها رقماً متتابعاً ، ثم لكل باب من كتاب رقماً متتابعاً ايضاً ، وأشار الى مواضع الاحاديث بأرقام الكتب والابواب ، الآ في كتاب التفسير من صحيح البخاري وهو المرقوم برقم ( ٦٥ ) ومن صحيح مسلم ، وهو برقم ( ٥٤ ) ، ومن سنن الترمذي ، وهو برقم ( ٤٤ ) فاعتمد على عدد سور القرآن ، وأشار الى كل سورة برقمها في موضعها من المصحف واما صحيح البخاري فان طبعة ليدن فيها ارقام الكتب والابواب من عمل مصححها وأما صحيح مسلم فانه ليس فيه راجم للابواب من عمل مؤلفه ، بل التراجم التي كتبت على حاشيته من وضع الشراح الذين جاءوا بعده ، واهمهم الامام النووي رحمه الله . وبوجد في صحيح مسلم كثير من المتابعات ، وهي الاسانيد التي يروي بها حديثاً تأكيداً للاسناد الاول الذي رواه به ، فالراوي الثاني يتابع الراوي الذي ذكر قبله في روايته ويؤيده . فرأى الاستاذ ونسك ان يعتبر الاحاديث الاصول في الابواب ويدع الاشارة الى المتابعات ، ورقم الاحاديث الاصول في كل كتاب من كتب صحيح مسلم بأرقام متتابعة يشير اليها في كتابه

واما موطأ مالك فان الاستاذ ونسك قسمه الى كتب ، لانه لم يكن مقسماً تقسيماً واضحاً ، ثم وضع ارقاماً متتابعة للكتب وللاحاديث فقط ، وترك ما لا يحتوي الآ على آراء مالك وغيره من الأئمة ، لانها ليست من مقاصد هذا الفهرس

والطبقات التي اعتمد عليها في تقسيم الكتب والابواب الثمانية هي : البخاري طبعة ليدن سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٨ و ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ، ومسلم طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ ، وابو داود طبعة القاهرة سنة ١٢٨٠ ، والترمذي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ ، والنسائي طبعة القاهرة سنة ١٣١٢ ، وابن ماجه طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ ، والدارمي طبعة دهلي سنة ١٣٣٧ ، والموطأ طبعة القاهرة سنة ١٢٧٩ وقد وضع الاخ محمد فؤاد عبد الباقي افندي جداول مفصلة للكتب والابواب والاحاديث في كل كتاب من هذه الثمانية ، لتكون مرشداً للقارئ يستعين بها على البحث عما يريد من الاحاديث



« وانا انصح لكل من يقتني هذا الكتاب النفيس ان يعنى بدراسة اصطلاحه في تقسيم الكتب والابواب والاحاديث في الكتب الثمانية ، ثم يضع ارقام الكتب والابواب ، والاحاديث على النسخ التي لديه منها ، وبذلك يسهل عليه البحث عن اي حديث يحتاج اليه ، بأيسر الطرق واسرعها دالة » ولعل نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة يكون سبباً في اقبال المتعلمين من جميع الطبقات على الاشتغال بالسنة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث ، وهي كنوز العلم والحكمة ، التي اعرض عنها اكثر الناس . اما جهلاً بفائدتها ، واما عجزاً عن المراجعة فيها عند الحاجة هذا وقد عني الصديق فؤاد افندي بالدقة في الترجمة اتم عناية ، فانه لم يترجم معنى من المعاني حتى رجع الى الاحاديث في مصادرهما التي أشار اليها المؤلف ، وعبر عنها بالعبارة الصحيحة التي تدل عليها الاحاديث ، ولذلك مكث في ترجمته اربع سنين ، ثم لم يرض على طبعه بالمال ، فاختر له ارق المطابع في القاهرة . وهي ( مطبعة مصر ) ، وانتقى اجود انواع الورق ، فأبرز الكتاب كاملاً »

« ملوك الطوائف ، ونظرات في تاريخ الاسلام »

تأليف دوزي (المستشرق) وترجمه الاستاذ كامل كيلاني . نشرته مكتبة عيسى الحلي وشركاه سنة ١٣٥١ و ١٩٣٤ دوزي — مستشرق معدود في الطبقة الاولى من الاعاجم الذين صرفوا قلوبهم الى دراسة العربية وما فيها من الكتب . و « بعد » فقد كتبنا في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣ ان الأمة العربية ابتليت بيليتين : اولاهما ، انه لم ينتدب أحد من اهل هذه اللغة الى التنقيب عن آثار الامّة العربية التي طويت في أرضها بين يمنها وشامها وحجازها وعراقها ومصرها ومغربها وما سوي ذلك ، والاخرى : انه لم يخف أحد الى دراسة كتب العرب ولم يشتاتها واستخراج ما خفي من أساليب العرب واحوالها وعاداتها في الاجتماع والادب واللغة حتى جاءنا في هذا العصر أصحاب الألسنة العجمية من دول اوربا بأقوالهم في تاريخنا وأدبنا وديننا بالكلام الجيد تارة والفهم المتنوي والتعليل الفاسد تارة أخرى

فهذا الكتاب الذي ترجمه الاستاذ كامل كيلاني وتنصّل من الاثم فيه بقوله « اذا كان العلامة نحر الدين الرازي يقول في مقدمته لشرح «الاشارات» لابن سينا : «ان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد » فما أجدنا ان نقول « والترجمة غير النقد » نقول هذا الكتاب قسماً الاول ما كتبه دوزي عن ملوك الطوائف والآخر فصول من كلام دوزي في تاريخ الاسلام . والاول أهونها خطراً وأقلهما خطأً والآخر ما هو الأخطر كيب فاسد قد اجتمع لهذا المستشرق من ( استخراج ) فاسد من كتب التاريخ الاسلامي وغيرها وترقى فيها بالخدعة الكتابية الى تأليف كلام يشبه التحقيق العلمي وما هو منه في شيء . وهذه عادة هذه الفئة من المستشرقين الذين يتعرضون لتاريخ الاسلام ورجالها ، لا يتورعون عن عرض آرائهم في اسواق الكتب ثم لا يبالون الا بالنسج الذي نسجه غير ناظرين الى الحقيقة العلمية



ولقد قرأت هذا الكتاب ووقفت على ما فيه من مواضع الخطأ وأحصيت عليه الآراء التي زرق في عرضها وأخذ يلوكها مرة ثم مرة مجمعا غير مصرح، وكنت على عزيمة تبينها للقارئ ولكني رأيت أن ذلك مما يستنفد معنا في هذا الباب من المجلة صفحات كثيرة، ثم وجدت أن الأستاذ «محمد أمين هلال» قد سبقني وكتب في جريدة البلاغ مقالات دقيقة اطاعت على الرابعة والخامسة منها، وقد وقف فيها عند ما وقفت عليه ودافع كلام هذا المستشرق بالحجة الصحيحة، وأوثر أن أنقل إلى القارئ هنا جزءا من كلمة الأستاذ «محمد أمين هلال» التي نشرت في بلاغ (الثلاثاء ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ - ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٤) لما فيها من الفائدة

«يظهر أن اتهام رجال العرب الفاتحين - خصوصاً في الدولة الأموية - بالوثنية والحنين إلى عهودها كان صدقاً لما كان يشيعه أعداء الإسلام من أنه دين وثني وأن المسلمين جماعة من الوثنيين تغلبوا على الأرض المقدسة ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص ولقد رأينا هذه الأقوال الكاذبة ينشرها دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة إبان الحروب الصليبية فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة ومجاملة

» ونحن إذا تخيرنا من بين خلفاء الأمويين الذين يتهمة العلامة دوزي ببغض الإسلام ابغض هؤلاء الخلفاء وابعدهم عن قلوب المسلمين وهو يزيد بن معاوية مثلاً نجده كان يعمل للإسلام ويأمر فواده بذلك فقد حدثنا التاريخ أن عقبه بن نافع عامل يزيد لما فتح بلاد البربر وسار إلى السوس الأقصى حتى وصل إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) قال «يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك» وأنه لما سار إلى (تهودا) ورآه الروم في قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقتلوه وهو يدعوهم إلى الإسلام ثم تكاثروا عليه وقتلوه

«ورأينا قتيبة بن مسلم عامل الحجاج بن يوسف «المشهور بغطرسته وقسوته» يخطب في الناس ويقول لهم: إن الله قد أحل لكم هذا المحل ليعز دينه وينذب بكم عن الحرمات ويزيد لكم المال استفاضة والعدو قعاً ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بمحدث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطمئنون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين \* ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون \*» ثم أخبر عمن قتل في سبيله أنه حي يرزق فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون \*) فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمض ألم وإياي والهوبنا !

«وقتيبة هذا هو الذي تلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ودماه إلى بلاده وكذلك



فعل ملك كفتان وأنصف له من ملك آخرون وشومان وكتب إليه الحجاج يقول : اذا غزوت فكن مقدم الناس واذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقهم ، حتى فتح بلاداً واسعة نشر فيها الاسلام فأخرجت العظماء من كتب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم

«وهذا أشرس بن عبد الله السامي عامل هشام بن عبد الملك على خراسان ارسل لاول عهده الى اهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فسارع الناس هناك الى الاسلام وحين كتب اليه امير سمرقند انهم لم يسمعوها الا تعوداً من الجزية قال له من اختن واقم الفرائض وقرأ سورة من القرآن فأرفع خراجك . وقد روى عن يوسف بن عمر عامل هشام على العراق انه مع اسرافه في العقوبة كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه واهله — وكان يصلي الصبح ولا يكلم احداً حتى يصلي الضحى . ولقد كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام وقد كانت سيرته بلغتهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب

«هذا قل من كثر من موقف خلفاء الامويين وعملهم ازاء الاسلام وعملهم على نشره والترويج له في غير عنف ولا شطط ، أفبعد هذا يقول عنهم قائل « ان تلك الاقلية العربية التي اضطرت الى الاسلام اضطراباً واكرهت على الدخول في هذا الدين اكرهاً ، عرفت كيف تنار لنفسها حين سئجت لها فرصة الانتقام فتقاضت ثمن ذلك الفوز مضاعفاً وشفّت غلة صدورها المكتومة » اهـ هذا وكنا نراه لازماً على مترجم الكتاب الاستاذ كيلاني ان يتعرض لهذه المواضع ولا يتصل

منها ، نعم نحن نقول معه ان الترجمة غير النقد ، ولكن ذلك صحيح حين يترجم للعلماء دون غيرهم أما حين يظن في كتاب مترجم انه مما يقع في ايدي الناشئين ، فلا . . . . ان أبناءنا في المدارس المصرية من ثانوية وعالية لا يعرفون عن مثل عمرو بن العاص الا انه فتح مصر ، وعن عمر بن عبد العزيز انه كان خليفة وعن فلان وفلان مثل هذا او اقل فكيف نترك مثل هذه الآراء الفاسدة غذاء ألباب الذين يريدون من ابنائنا ان يقرأوا كتاباً سهلاً داني الثمرة . وهم لا يعلمون من التاريخ دقائقه ولا من الاسلام الا كلمات حفظوها لا تبلغ بهم درجة من العلم فيه . والمترجم الذي يقول في مقدمة كتابه للقراء اني قد آثرت نقل هذه الفصول من دوزي « لتبيان وجهة تفكير عالم اوربي كبير ، وهي — وان خالفت آراءنا احياناً في بعض مناحيها — جديرة ان تقرأ بعناية فائقة » الذي يقول هذا يجب عليه ان ينقد المغالطات والمفاسد بعناية فائقة كذلك في زمن قد اجتمعت فيه على التاريخ الاسلامي عناصر الفساد والافساد من كل ناحية . بل في زمن نحن نهياً فيه لاعادة المجد الضائع والحق المغتصب بفقده ما كان عليه اسلافنا فقهاً صحيحاً لا يميل الى الخرافة ولا يشط مع التقليد والتورط والفساد اقول هذا وانا اشكر المترجم على ما اضاف الى قليل علمنا عن آراء هذه الفئة المستشرقة التي نفعت العربية نفعاً كبيراً بحفظ كتبها ونشرها حين اضاعتها ابناؤها وعموا وصموا ثم عموا وصموا اولوا رجة الله عن نشأنا فيها واحيا بعض مجد العربية لغمرتنا الموجه الطاغية التي وقانا الله بعض شرها \*\*\*



## الروافد

نظم شكر الله الجر — صفحاته ٩٦ — مطبعة الاندلس الجديدة — ريو د. جانيرو برازيل  
يقول الشاعر في مقدمة ديوانه « هذه مجموعة قصائد تمخضت بها النفس في حوادث مختلفة وهي  
كما يراها القارئ ليست بمجملتها من الشعر الوطني المفرق الذي يستشوق السامع فتعقد له مجالس  
السمر عند القوم » ... ثم يقول في ختام كلمته « واني وان اصاب هذه المجموعة وشلاً مما نوهت  
به فلا يعني انني راضٍ عنها كل الرضا بل احب اليّ منها مجموعة اعدها الآن للنشر تحت اسم «الغمام»  
ربما كانت أرى وآثر من الوجهة المعنوية لدى جماعة المفكرين الاولى يعنون بالشعر من حيث عمقه  
وجدته وتعدد صورته واصباحه ». وقد تصفحنا هذه المجموعة الشائقة فوجدنا شاعراً جزل اللفظ  
حسن الاداء بارع التصوير ولولا بعض ألفاظ تنبو بها قوافي بعض القصائد مثل  
واسكب رحيقك في النفوس مطيماً أنفاس ككارع

خلال الديوان من المآخذ . ولقد أبان الشاعر في مقدمته عن اتجاه شاعريته الى الناحية الانسانية  
واعتمد عن شعره الوطني ونحن وان كنا نوافق الشاعر على قيمة الشعر ونعز بهذا الغرض الانساني  
التبيل الذي يرمي اليه الادب العربي الحديث فانا ايضاً نقدر الشعر الوطني ونقول اننا في حاجة اليه  
على الاقل لتخليد تاريخ نهضتنا والاشادة بمجاد حاضرننا والتغني بالمستقبل المرموق وحفز ابنائنا الى  
المجد . وخلا هذا فانا نوقن ان الشعب البريطاني مدين بمحنة جوانبه الاخلاقية ونبل اغراضه وقوته  
وعظمته الى ادب شكسبير . ولولا هذا الميراث الحي الذي يجري في دم الامبراطورية من ادبه الخالد  
لما وجدت صيحات كبلنج الوطنية محيياً لصداها ولا محتفلاً بسماها

وبعد فان «الروافد» ديوان لم يخل من شعر الطبيعة والانسان والوجدان وأنت تنهل من رحيق  
هذا الشعر في قصائد «على متون الامواج» و«شواطيء الاندلس» و«قطرة كأس» وغيرها . وفي الديوان  
قصائد حسان يمجدر بكل اديب شرقي ان يقرأها فانها صدى لآلام هذا الشرق واحلامه \*\*\*

## الثورة العربية الكبرى

أنجزت مطبعة عيسى الحلبي وشركائه بمصر طبع كتاب الثورة العربية الكبرى للباحث المحقق  
لاستاذ امين سعيد فصدر اليوم في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها ١٤٠٠ صفحة بالقطع الكبير فيها  
لائح خراطات و ١٥٠ صورة . والكتاب الجديد مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن اي من  
١٩٠٨ الى ١٩٣٤ والجزء الاول منه خاص بأخبار النهضة العربية من ظهورها حتى دخول الجيش العربي  
الى سورية في ختام الحرب العظمى سنة ١٩١٨ وانشاء الدولة الفيصلية في الشام فهو تاريخ مسهب  
لفضال العرب والترك . اما الجزء الثاني منه فخاص بالنضال بين العرب من جهة والفرنسيين والانكليز  
من جهة اخرى وينطوي على اخبار الدولة الفيصلية في دمشق من قيامها حتى زوالها مقروناً بتاريخ  
ثورة العربية في العراق وما تلاها من قيام الدولة الجديدة في بغداد . والجزء الثالث خاص بتاريخ



رسائل بديعة وامثال لطيفة وقصص قصيرة  
جامعة وحكايات على ألسن الحيوانات ناطقة ونوار  
يلذ سماعها — طبعت بمطبعة المعارف بمصر

﴿ مثلنا الأعلى ﴾ رواية تمثيلية وضعها  
عبد الحميد عباس وهذبها الاستاذ اكرم زعير  
وهي تشمل كثيراً من المبادئ القومية والخلقية  
التي يجب ان يدين بها الطالب العراقي طبعت  
بمطبعة الحكومة ببغداد

﴿ ايزيس ﴾ قصة تمثيلية يدور محورها  
حول رجوع الروح وضعها الاستاذ محمد زكي  
صالح، طبعت بمطبعة النظام بمصر

﴿ هام او في حاصمة الاحقاف ﴾ رواية  
شعرية تمثيلية للاديب علي احمد باكير ورجع  
ناظم هذه الدراما جهل شعبه الحضري الى جهل  
المرأة فهو يريد لها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات  
طبعت في المطبعة السلفية بمصر

﴿ الحسناء العربية ارينب بنت اسحق ﴾  
رواية تمثيلية تاريخية اخلاقية ذات ثلاثة فصول  
بقلم الاستاذ فريد شاهين ابي فاضل منشاء  
مجلة الرياض يتجلى فيها دهاء معاوية وشهامه  
الحسين ووفاء المرأة العربية طبعت في مطبعة  
الرياض بالنظلياس — لبنان

﴿ دلال ﴾ رواية تاريخية في عهد الأمير  
بشير الكبير بقلم الاديب كميل قرألى تصف الامير  
وحاشيته ورجال لبنان في عصره وعادات أهله  
وقتح الجيش اللبناني لمدينة دمشق سنة ١٨١٠  
واقلة سانور في نابلس سنة ١٨٢٩. طبعت  
في مطبعة « المجلة البطريركية » في بيت  
شباب — لبنان

أمارة شرقي الاردن وقضية فلسطين وقد بسطهما  
المؤلف بسطاً وافياً وعزها بأخبار سقوط الدولة  
الهاشمية في الحجاز وما تقدمها من سعي الانسكين  
لتصفية عهدهم مع الحسين وما تلاها من حوادث  
ثم تاريخ الحركة الوطنية في سورية من سنة ١٩٢٠  
حتى اليوم. وفي الكتاب ما لا يقل عن ٥٠٠ وثيقة  
سياسية وجانب كبير من معلوماته مما لم ينشر قبل  
فلا يستغني عنه باحث ولا كاتب ولا عربي يهمه  
الاطلاع على تاريخ قومه ونهضتهم فهو في الواقع  
تاريخ العرب القومي والسياسي في العصر الحديث  
﴿ الاصلاح ﴾ مجلة ادبية اقتصادية

تصورية جامعة . لصاحبها الدكتور جورج  
صوايا وقد أصدرت عدداً فخماً ممتازاً يضم بين  
دفتيه كثيراً من المباحث العلمية والمقالات  
والأشعار البليغة منها قصيدة الحمر والحب  
والشباب للشاعر المبدع فرحات ووداع قنديل  
وهي قصيدة عصماء رائعة للشاعر القروي المعروف  
﴿ الارلزيانة ﴾ مأساة تمثيلية ذات ثلاثة  
فصول تأليف الكاتب الافرنسي الشهير الفونس  
دوده وتعريب الدكتور جورج صوايا صاحب  
مجلة الاصلاح في بونس ايرس ( الارجننتين )

﴿ في سبيل الحرية ﴾ بقلم الاستاذ الياس  
قمصل وهي خلاصة رواية تمثيلية للكاتب الشهير  
فرنسوى كوينه جرت حوادثها في احدي  
مقاطعات ايطاليا في القرن الخامس عشر طبعت  
في المطبعة السورية اللبنانية في بونس ايرس  
( الارجننتين )

﴿ القراءة الفريدة ﴾ الجزء الرابع للمدارس  
الابتدائية للاستاذ شريف النشاشيبي وهي تضم



# باب الاختراع العلمي

## كرة الاعماق وريادة الاغوار

صافية كل الصفاء، ويشاهد اشكال الاسماك والوانها، ويستطيع الآخر، ان يصورها، باليد او بالآلة فتوغرافية يتصل بها مصباح كشاف قلنا ان الكرة مقفلة اقفاً محكماً، حتى لا تنفذ اليها قطرة ماء واحدة، فكيف يتنفس الرجلان داخلها؟ انها في الواقع تشتمل على جهاز للتنفس، مؤلف من حوضين محتويان على الاكسجين اللازم للتنفس، ولجهاز صمام يخرج لترين من الاكسجين الى فضاء الكرة الداخلي كل دقيقة. ومقدار الاكسجين الذي في الحوضين يكفي رجلين مدى ثماني ساعات وقبل الغوص يوضع فوق الحوضين طبقان على احدهما مركب من الجير والصوديوم لامتصاص اكسيد الكربون الثاني الذي يفره الرجلان، وعلى الآخر كلوريد الكالسيوم لامتصاص الرطوبة. وهناك مراوح لتحريك الهواء

فهذه الوسائل تكفل للغائص اسباب الراحة الجسدية. وقد غاص «بيب» واحد اعوانه غير مرة فلم يستشعر في خلال غوصهما اي ضيق ناجم عن قلة الاكسجين او كثرة الرطوبة وثاني اكسيد الكربون في الهواء

اما في محاولتهما الاخيرة فقد بلغا الى عمق ٢٥١٠ اقدام، على مقربة من جزيرة نولستش

نشرت الصحف في اواسط الصيف صورة الكرة العظيمة، التي استعملها الدكتور بيب الاميركي والمستر اوتس بارتن، ليغوصا بها الى اعماق لم يبلغها انسان من قبل. وتعرف هذه الكرة باسم باثيسفير Bathysphere اي «كرة الاعماق» ولعل هذا افضل اسم يطلق عليها باللغة العربية

هذه الكرة مبنية من الصلب وزنتها نحو ٥٥٠٠ رطل، وقطرها اربع اقدام وتسع بوصات وثخانة جدرانها بوصة ونصف بوصة، ولها ثلاث فتحات قطر كل منها ثمان بوصات وقد وضع فيها وضعاً محكماً الواح من زجاج البلور الصخري (الكوارتز) بعد صهرهم وتجميده، وسماكة كل لوح اربع بوصات وقطره خمس بوصات

الغرض من هذه الكرة ان تكون وسيلة للباحث العلمي، تمكنه من بلوغ اعماق لا يستطيع الانسان ان يبلغها لشدة ضغط الماء وبرده في الغالب وعجز الغائص عن ان يلبث وقتاً ما يمكنه من اجراء المشاهدات العلمية على الاسماك التي تقطن هناك. فهذه الكرة تتسع لرجلين، يجلسان فيها ثم تقفل اقفاً محكماً وتدلّى رويداً رويداً ثم تستقر عند عمق مطلوب، فينظر الباحث من خلال الواح البلور الصخري، وهي



وهي احدى جزائر برمودا ، ففاق العمق الذي بلغاه في السنة الماضية وهو ٢٢٠٠ قدم ولا يخفى ان الاقدام على الغوص بكرة من هذا القبيل مغامرة تنطوي على خطر عظيم . لذلك جربت كرة الاعماق قبل زول ييب وبارتن بها لمعرفة مقدار الضغط عليها عند اعماق مختلفة وهل تستطيع ان تتحمل هذا الضغط فثبت ان الضغط على كل بوصة مربعة منها يبلغ ٦٥٢٦٧ الرطل عند عمق ربع ميل اي ان مجموع الضغط على الكرة كلها ، كان عند هذا العمق ٣٦٣٦٦ طنًا . ولكنها تحمّلت هذا الضغط ، فلم تتحطم الواح الكوارتز في عيونها ولا نفذت اليها قطرة ماء والكرة عند غوصها تظل متصلة بالسفينة التي تدلى منها ، بسلك تلفون ، وسلك للاضاءة الكهربائية . والحبل الذي تدلى به طوله ٣٠٠٠ قدم وهو من الصلب وثخنة سبعة اثمان البوصة ويقوى على حمل ٢٩ طنًا . ومن ادواتهما مصباح كشاف يوجه من احدى عيون الكرة لاستكشاف الاغوار القائمة وما فيها من الاحياء

### بلون كشاف

يحمل مذيعة لاسلكية

استنبط الدكتور ارثر كمتن استاذ الطبيعة في جامعة شيكاغو طريقة جديدة لاستكشاف احوال الجو في الطبقة الطخروية stratosphere ذلك انه صنع بلونات صغيرة لا يزيد وزن البلون منها على ١٦ رطلاً وقطرها على ١٥ قدماً يطلقها في الجو صُعُداً فترتفع الى اعالي الطبقة الطخروية من تلقاء ذاتها . وجهازها بأداة

لاسلكية عجيبة ، وصلها بمقياس للحرارة ومقياس لضغط الهواء ومقياس لقوة الاشعة الكونية . وهذا الاداة انبوب لاسلكي متذبذب يرسل اشارات لاسلكية بأمواج طول الموجة منها عشرون متراً . فاذا حدث تغيير في ضغط الهواء ، بحسب ما يدونه مقياس الضغط ( البارومتر ) اثر ذلك في طول الموجة التي يطلقها الانبوب اللاسلكي ، فيعرف بذلك علو البلون . ثم ان الانبوب متصل بأداة دقيقة هي متصلة بدورها بمقياس الحرارة . فاذا تغيرت حرارة الجو ، دون ذلك في مقياس الحرارة وأثر في الاداة المتصلة بالانبوب اللاسلكي . وهذا الاداة فيها عجلة كعجلة الساعة تختلف سرعة دورانها باختلاف الحرارة . فاذا بطأت سرعة العجلة او اذا اسرعت ، زادت المسافة بين فترات اطلاق الامواج من الانبوب اللاسلكي . وهذا يفسّر في المحطة الارضية فيعرف منه حرارة الجو على ارتفاع معين . ثم ان قوة الاشعة الكونية تؤثر في مقياس خاص بها ، وهذا بدوره يؤثر تأثيراً خاصاً في الامواج اللاسلكية يمكن فهمه على الارض ولا يخفى ان نوعاً من هذه البلونات كان قد استعمل قبلاً في استكشاف طبقة الجو العليا ، وكان كل بلون منها يجهز بآلات تدون من تلقاء نفسها اعلى درجات الحرارة واخف درجات الضغط وقوة الاشعة الكونية . ثم اذا هبط البلون الى الارض اخذت هذه الآلات وقرىء ما كان مدوناً فيها . وهي طريقة لا بأس بها وانما يؤخذ عليها انه لا يمكن استعمالها إلا



القصيرة في المواد العضوية المختلفة. وقد جربت تجربة من هذا القبيل بعين ثور فثبتت ان عدسة العين البلورية لم تتأثر كثيراً بالامواج، ولكن نسيج العين الاخرى تأثرت بها تأثراً عظيماً. ويرى الاستاذ جلينك ان درس اثر الاشعة اللاسلكية القصيرة في النسيج المختلفة وما تولده فيها من الحرارة لا بد منه لضبط استعمال هذه الاشعة في الطب

### سياحة زجاجة

في عشرين ابريل سنة ١٩٢٧ كتب الضابط بارستو الاميركي في السفينة الاميركية هاهيرا ورقة ووضعها في زجاجة وسد الزجاجة سداً محكمًا والقها في البحر بين جزائر برمودا وشواطئ الولايات المتحدة الجنوبية. فتقاذتها تيارات المحيط الاطلنطي سبع سنوات الى ان قذفها من عهد قريب على شواطئ ولاية تكساس وتقدر المسافة التي قطعها في خلال هذه المدة بنحو ٨٠٠٠ ميل

### الاشعة التي فوق البنفسجي

يختلف اثر هذه الاشعة في قتل خلايا النبات باختلاف طول امواجها. ذلك ان الاستاذ فلورنس ماير Meier احد علماء المعهد السمثسوني الاميركي اخذ لوحة مستطيلة من الزجاج وغشاها بطبقة من الفطر البحري سمكها سمك خلية واحدة، ثم وضعها في تيار من الاشعة التي فوق البنفسجي، بعد ما حلها بموشور الى مناطق كل منطقة منها تحتوي على اشعة يختلف طولها عن طول الاشعة في المنطقة التالية او

في البلدان المزدحمة بالسكان. لانه من المتعذر ان تعلم اين يقع البلون عند هبوطه. فالعلماء يعتمدون على معاونة الناس لهم، في العثور عليه وارساله الى المحطة التي اطلقتها وفقاً لبيان ملصق عليه. فاذا كانت المنطقة قليلة السكان، تعذر وجود البلون اذا سقط في قفر. اما البلون الجديد فلا حاجة بالعالم اليه، بعد تدوين الرسائل اللاسلكية التي يبعثها في عنان الفضاء، وسواء اهبط في قفر ام في منطقة مأهولة. فانه يؤدي مهمته وهو في الفضاء، ونفقات بنائه واطلاقه يسيرة، فلا يعبا باسترداده او فقدته

### عجيبة في بيضة

اخذ العالم الفرنسي الاستاذ جلينك Jellinek بيضة نائمة ووضعها بين لوحين مكثف كهربائي Condenser ووصل اللوحين بمذيع لاسلكي فضاير الامواج، مستعملاً قوة كهربائية قدرها الف واط وموجة طولها ثلاثة امتار. فاخترقت الامواج البيضة. وبعد خمس دقائق اخذ البيضة وكسرها، فوجد تحتها (صفارها) قد تجمد، واما زلالها فلم يتأثر بالامواج التي اخترقه لأن قوامه من قبيل قوام الهلام. ثم ثبت عند فحص حرارة الملح والزلال، ان حرارة الاول لا تعدو ١٤٠ درجة بميزان فارنهایت (اي ٦٠ درجة مئوية) حالة ان حرارة الثاني بلغت ١٧٦ درجة بميزان فارنهایت (اي ٨٠ درجة مئوية). ولم يكن الغرض من هذه التجربة الكشف عن شيء يبعث الدهشة، بل كانت تجربة من سلسلة من التجارب غرضها معرفة اثر الامواج اللاسلكية



السابقة . وعدد هذه المناطق ثمان . فوجدت ان الخلايا المعرّضة لاشعة منطقة منها اسرع تلفاً من الاخرى مع ان الخلايا واحدة . والأشعة من مختلف الاطوال تدمت الخلايا ولكنها تختلف في سرعة الفعل

### النحاس المشع

نشرت مجلة نايتشر العلمية ان الدكتور وستكوت Westcot والدكتور بيرج Bjerge من علماء معهد كافندش بجامعة كمبردج اطلقا النوترونات على النحاس فأصبح عنصراً مشعاً والنحاس المشع ينحل كما ينحل الراديوم وهو عنصر مشع بطبيعته ولكن الفرق بين النحاس المشع والراديوم ، ان الراديوم يفقد نصف وزنه بالاشعاع في مدة ١٦٠٠ سنة واما النحاس المشع فيفقد نصف قوته على الاشعاع في ست ساعات . ولكنه على كل حال يفوق العناصر الاخرى التي حولت الى عناصر مشعة باطلاق قذائف عليها ، لان معظم هذه العناصر يفقد كل قوته على الاشعاع في بضع دقائق

اشعة غاما والايديروجين الثقيل

يعلم قراء المقتطف ان للايديروجين نظيراً يدعى في الولايات المتحدة الاميركية دوتيريوم ونواة تدعى دوتوناً ، ويدعى في انكلترا دبلوجين ونواة تدعى دبلوناً ، وهو يختلف عن الايديروجين في خواصه الطبيعية وفي مقدمتها وزنه الذري فانه ضعف الوزن الذري للايديروجين المألوف . وقد غني الاستاذ شديك ( مكتشف

النوترون ) والدكتور غولدهابر Goldhaber باطلاق اشعة غاما من طاقة ٢٦٢٠٠٠٠ فولط على الدبلونات فحل كل دبلون منها الى ذرة ايدروجين مألوف ونوترون . فكان الدبلون مؤلف من بروتون ونوترون . والنوترون مركّب في نظر العلماء من بروتون والكترون قريب احدهما من الآخر . وهذا القرب بين الاكترون والبروتون ، في النوترون ، هو الفارق بين النوترون وذرة الايديروجين المألوف ، لانها هي الاخرى مؤلفة كذلك من الكترون وبروتون ولكن احدهما بعيد عن الآخر بعداً نسبياً . ولما كانت الطاقة التي تربط بين الدقائق التي يتركب منه الدبلون كبيرة وجب استعمال اشعة غاما وهي اسرع ما ينطلق من الراديوم من الاشعة واعظمها طاقة

### شهاب يرى في النهار

في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم ١٤ سبتمبر ١٩٣٤ شوهد في انكلترا شهاب مرق في الفضاء كالسهم الناري . وقد وصفه المستر كلن من موظفي مرصد غرينتش فقال انه خرج بعد الظهر لتدوين قراءات الترمومترات وكان الجو ازرق صافياً فاسترعى نظره جسم لامع كالصاروخ ، له نواة لامعة ووراءه خط مضيء . وظلت رؤيته مستطاعة مدة ثانيتين او ثلاث ثوان . ثم اختفى كأنه انشق الى جسيمين لامعين ، ولكن المستر كلن لم يسمع فرقعة الانشقاق وقد رآه غير واحد من سكان جنوب انكلترا



## العنصر الثالث والتسعون

يرى عالمان من علماء جامعة شيكاغو ان  
العنصر الذي اطلق عليه اسم «العنصر الثالث  
والتسعين» (راجع مقال «العنصر الثالث  
والتسعون» في هذا الجزء صفحة ١٩٥) قد لا  
يكون عنصراً جديداً كما ظنَّ أولاً بل يرجحان  
انه نظير للعنصر الحادي والتسعين  
حرب المكروبات

ان التقدم العجيب الذي تمَّ في ميدان  
الطيران، قد قلب قواعد الحرب التي جرى عليها  
كبار القواد والفاتحين من هنيبال الى الاسكندر  
الى نبوليون الى جوفر وفوش وهندنبرج. ذلك  
ان القيادات العليا في الجيوش الكبيرة اصبحت  
زمت الى اضعاف الروح المعنوية في جيوش  
الاعداء بتدبير الخطط لالتقاء القنابل من الجو  
على مراكز الصناعة التي تجهز الجيوش بما يلزم لها  
من وسائل الكفاح، وعلى المدن الآمنة الآهلة  
بالسكان وراء خطوط القتال. وقد لا تقتصر هذه  
القبائل، على المواد المتفجرة، تدمير الدور  
ونحوها الى انقراض، بل قد تحتوي على غازات  
كيميائية تفعل في الجلد او في العيون او في الاثاث  
فتعطل عن العمل، او تسقي ناشقيها كأس الردى  
وقد تفنن الكيميائيون في صنع الغازات  
المختلفة من هذا القبيل، واستنباط الكمات  
الواقية حتى اجمع الثقات ان امة من الامم لا تستطيع  
ان تنفي اغارة الاعداء عليها من الجو، الا اذا  
تزنت شبيها وشبانها واطفالها ذكوراً واناثاً على  
استعمال هذه الكمات، وجيز كلٌّ منهم بكامة  
منها تفي بالغرض. ومما يدلُّ على احتمال حدوث

ما هو من هذا القبيل، ان الخزائن الجديدة التي  
بنيت لبنك ده فرانس تحت الارض، ابتدع لها  
المهندسون الفرنسيون طرقاً عجيبية لاتقاء الغاز  
الخائق الذي قد يتغلغل حتى يتصل بها. والراجع  
ان هذه الوسيلة طبقت على المعامل التي بنتها فرنسا  
على حدودها الشرقية. لذلك اجمع الثقات على ان  
الطيران الحربي خطر يهدد الحضارة بالانقراض،  
واذا كان للطيارات الحربية ان تلقي قنابل تحتوي  
على الغازات المختلفة فما يمنعها ان تلقي قنابل تحتوي  
على مكروبات مميتة

هذا الاحتمال هز الدوائر العالمية في شهر  
يوليو الماضي، على اثر مقالة نشرها المستر  
وكهام ستيد محرر التيمس سابقاً في مجلة القرن  
التاسع عشر. وستيد رجل متزن رزين والمجلة  
التي نشرت مقالته ذات مكانة عالمية لا تعاصر  
بها في سبيل مقالة تستثير النفوس

قال المستر ستيد، انه حصل من مصادر  
غير يهودية على وثائق خطيرة لا يرتاب في صحتها  
وهذه الوثائق صادرة على ما يقال من مصلحة في  
وزارة الحرية الالمانية تعرف باسم (لوفت-غاز  
— انجريف) اي «هجوم الهواء والغاز» وهي  
في شكل رسائل تبودلت بين المصلحة المذكورة  
وبعض خبراءها ووكلائها والمصانع المعنية  
بالطيران والحرب الكيميائية

بسطت في هذه الوثائق تجارب بدأت سنة  
١٩٣١ — اي نحو سنة كاملة قبلما تقلد هتلر  
أزمة الحكم في بلاده — غرضها درس أفضل  
الوسائل لالتقاء السوائل المحتوية على مواد كيميائية  
او مكروبات من الجو على مدائن الاعداء



سلاح الجو لشن الحرب من دون رحمة او شفقة على المراكز العسكرية والصناعية بل على الاهلين في المدن الكبيرة

وثمة وثيقة اخرى تاريخها اكتوبر ١٩٣٣ تحتوي على خطط للهجوم بالغاز على مدن مختلفة في فرنسا منها متر وستراسبورج وبلفور وفردون وضواحي باريس ومرسيليا وطولون وليون وهافر وغيرها . وليس الغرض من هذا المقال البحث في صحة هذه الوثائق . فقد انبأنا البرقيات العامة ان الدوائر المسؤولة انكرت صحتها ولكن الامر الذي لا جدال فيه ان ليس ثمة ما يمنع القيام بهذه التجارب ، من جانب المانيا او جانب غيرها من الدول . ويقول كاتب في الابرر ان لارب في ان هذا الفرع في الاستعداد الحربي ، نال الآن عناية خاصة مثل سائر الفروع . واطلاق الغاز والمكروبات على الطريقة المتقدمة يمكن ان يتم بواسطة الطيارات الحربية والمدنية على السواء الهيموفيليا او النزف الوراثي

كانت الهيموفيليا او داء النزف الوراثي سبباً في وفاة الامير غوزالونج الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا سابقاً . والغريب في هذا الداء انه وراثي في الذكور دون الاناث ، لذلك لما حدثت حادثة الاصطدام اصيب الامير غوزالو وشقيقته برضوض ، فتوفي هو متأثراً بها لانها احدثت فيه نزيفاً داخلياً لم يستطع وقفه ولكنها لم تصب هي بنزيف مثله ، فنجت . واعجب من هذا ان النساء تنقل هذا الداء دون الذكور لذلك نهى الملك الفونسو ابنتيه في سنة ١٩٣١ عن الزواج لئلا تنقلا هذا الداء الى اولادها

ولكن اهم ما جاء في مقالة المستر ستيد ان رجال هذه المصاحبة من وزارة الحربية الالمانية اختاروا مكروباً اسمه العلمي « ميكروكوكوس بروديجيوسس » لا يسبب مرضاً ما ويستعمل في دراسة الطب في التمثيل والاختبار . وانهم بعد ما اختاروا هذا المكروب ، جربوا تجارب به في لندن وباريس غرضها الوقوف على كيفية ازدياد هذا المكروب في مزدردات خاصة لذلك توضع عند مداخل قطارات الانفاق ، حتى اذا اطلق في الجو ، وهبطت بعض عمائره الى الارض لصق بعضها بهذه المزدردات ، فتتكاثر وتنتشر في الهواء فيستشققها الناس

طبعاً ان تجربة التجارب بهذا المكروب لا تسفر عن خطر يتعرض له سكان العاصمتين المذكورتين الآن ولكن اذا صححت هذه الوثائق فان التجارب المذكورة لا بد ان تكشف للمجربين ، الوسائل التي يستطيعون الجري عليها اذا نشبت الحرب ، في اطلاق مكروبات ليست مثل هذا المكروب في عدم ضررها . وقد جربت تجارب في سنة ١٩٣٣ لالقاء السوائل المحتوية على هذا المكروب من طيارات على ارتفاعات مختلفة تتباين من ٥٠٠ متر الى الف متر ، لمعرفة اصلح ارتفاع لالقاء السوائل منه . وتقول الوثائق ان هذه التجارب اسفرت عن نتائج تبعث على الرضا

وقد جاء في وثيقة تاريخها يوليو سنة ١٩٣٢ ما مؤداه ان المعازل العظيمة التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية تجعل كل هجوم عليها من المشاة او المدفعية عبثاً ، واذن لم يبق الا استعمال



في جو الارض بكامله . ولما كان الدكتور آدل عالماً طبيعياً فإنه لم يتعدّ حدود التقدير الى التكهن بعلاقة هذا المقدار الكبير من ثاني اكسيد الكربون بالحياة على سطح الزهرة

اخونا سليم

[تابع الصفحة ١٩٨]

وكان الفقيه محدثاً بارعاً قوي الحجة واسع الرواية ونذكر اننا ذهبنا في صحبته يوماً لزيارة لورد بيثربروك، فجلسنا نتجاذب اطراف الحديث وبدأ الفقيه يقصُّ على بيثربروك قصة زيارته للفيلسوف سبنسر، وبيثربروك مأخوذ بطرافة الحديث . وتبيّن سليم شغف مضيفه، فجعل يتوقف في الحديث، كأنه أتى عليه، فكان اللورد وصحبه يستزيدونه ولا يسلمون باي اجاز في روايته . اما زهده في حطام الدنيا، ومروءته، واقباله على نجدة من يطلب نجدة، فكانت مضرب الامثال . كان حراً يأبى الضيم ويمقت الجور، فكان اذا عرف مظلوماً، لا يقر له قرار، حتى يكشف غمته . وعني بباعة المقطم فأنشأ لهم مدرسة علمهم فيها القراءة والكتابة، وكان يعنى بصحتهم وصحة اهلهم ويدفع عنهم نفقات الاطباء والعلاج بماله الخاص، ولا ينثني عن تزويدهم بالنصائح وحشهم على البعد عن المنكرات

وكان الى ذلك ادبياً، نظم بالانكليزية شعراً حكماً بليغاً، ووعى من تاريخ الادب الانكليزي وآثار شكسبير بوجه خاص شيئاً كثيراً، حتى كان من النادر ان يخطئ امرؤ في سرد بيت شعر من روايات شكسبير المشهورة الا وبرده سليم الى الصواب . رحمه الله وتقعنا بذكر مناقبه

ولست اسرة بوربون — التي منها الملك الفونسو — بالاسرة المالكة الوحيدة المصابة بهذا الداء الويل . بل اسرة رومانوف كانت مصابة به كذلك . فالقيصر نقولا الثاني وولي عهده كانها مصابين به، ويقال انه نقل اليها من اسرة هبسبرج، وكثيراً ما يعرف هذا الداء باسم « لعنة آل هبسبرج » . ولقد تعذّر حتى الآن الكشف عن طريقة لمنع او علاجه، ولكن الدكتور برتش Bireh احد اساتذة كلية الطب بجامعة وسكنسن الاميركية، يظن ان حقن احد هرمونات الانثى في الذكر قد يفيد في علاجه وهو يجرب التجارب الآن لامتحان هذا الرأي جو الزهرة

يؤخذ من المباحث الفلكية الحديثة ان في جو الزهرة قدراً كبيراً من ثاني اكسيد الكربون كان الدكتور ادمن والدكتور دنهام Dunham من علماء مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا قد اثبتا في سنة ١٩٣٢ ان جو الزهرة يحتوي على ثاني اكسيد الكربون، ولكنهما لم يستطيعا ان يعينا مقداره حينئذ، لانهما ما كانا يعرفان مقدار النور الذي يمتصه هذا الغاز عند مرور النور فيه . بيد ان الدكتور ارثر آدل احد علماء جامعة مشيغن كتب الى المجلة الطبيعية يقول انه عني بدراسة موضوع امتصاص ثاني اكسيد الكربون للضوء فوصل الى نتائج مكنته من تقدير ما يوجد من هذه المادة في جو الزهرة . فقدّر ان الطبقات العليا من جو الزهرة فيها مقدار من ثاني اكسيد الكربون يفوق عشرة آلاف ضعف مقدار ما تجده منه



## الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

- ١٣٣ مدام كوري ( مصورة )
- ١٤١ تمحضت الفأرة فولدت جبلاً : لميخائيل نعيمه
- ١٤٦ الزراعة والحضارة
- ١٤٩ بين الحيوان والنبات : للامير مصطفى الشهابي
- ١٥٢ زهر يتفتح ليلاً
- ١٥٣ احمد زكي باشا : للدكتور بشر فارس
- ١٥٧ الغريبة ( قصيدة ) : لخليل شيبوب
- ١٥٩ صلة الكندي بعصره : لمحمد متولي
- ١٦٥ الشباب والاشباب : للدكتور شوكت موفق الشطي
- ١٧٢ مصطلحات علم النفس : لمحمد مظهر سعيد
- ١٧٦ عبقرية محيطة : لاديب عباسي
- ١٨١ التعقيم واصلاح النسل
- ١٨٥ الادوات الزراعية الفرعونية : للدكتور حسن كمال ( مصورة )
- ١٩٢ استدراك على معجم الحيوان : للفريق امين المعلوف باشا
- ١٩٥ العنصر الثالث والتسعون
- ١٩٧ اخونا سليم
- ١٩٩ احدث معجزات الصوت : لعوض جندي
- ٢٠٥ سير الزمان : روسيا بعد القيصر ( مصورة ) . تجار الحرب
- ٢١٩ حديقة المقتطف : الاعشاب . كتاب الحكمة . الرجل الصريح . القلب . طريق الحق . الشاعر . ملجأ الشيوخ . لا تشفق علي . لودفيك آريوستو
- ٢٢٩ مملكة المرأة : مقام المرأة واتجاهها في المانيا النازية . الفروق الجنسية . سر النوم . مهام المرأة في الحياة
- ٢٤٠ باب الرسالة والمناظرة \* ديمتري بك خلاط : لنقولا شكري
- ٢٤٥ مكتبة المقتطف \* فتوحات العلم الحديث . ما قل ودل . تاريخ الامير نجر الدين المعني الثاني . مفتاح كنوز السنة . ملوك الطوائف . الروافد . الثورة العربية . وكتب اخرى
- ٢٥٧ باب الاخبار العلمية \* وفيه ١١ نبذة